الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين

١ اغسطس سنة ١٩٣٩ — ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٨

السر في اشراق النجوم

قد تكون الاجابة عن اسهل الاسئلة في بعض الاحيان من اشق الامور . فعلماء الفلك والطبيعة الفلكية في العصر الحديث يعرفون حقائق كثيرة عن طبائع النجوم : أبعادها وأفلاكها ومقاديرها واشراقها ، ويعرفون في غير نجم واحد اقطارها الصحيحة . ولكنهم تعثروا زمناً قبل ان تمكنوا من الاجابة ، ولو بعض إجابة عن السؤال التالي : ما سبب اشراقها ؟

والاجابة عن هذا السؤال تبدو سهلة عند ما نقول ان سبب اشراق النجوم هو حرارتها . والواقع ان النجوم اجسام مرتفعة الحرارة حتى في طبقاتها الخارجية . ذلك انه اذا لم تكن حرارة الطبقات الخارجية في النجوم اعلى من نفس حرارة تستضيء توليدها في فرن صناعي كان من المتعذر علينا ان نشرق اشراقاً نستضيء بنوره على هذه المسافات الشاسعة التي تفصلها عنا . والعلماء يستعينون بقياس حرارة النجوم كما يقيسون حرارة فرن صناعي من حيث المبدإ أي بقوة الضوء المنبعث ولونه . وعلى ذلك وجدوا ان نجماً احمر (وهو نجم بارد بالقياس الى النجوم الاخرى) تتفاوت حرارة سطحه من الفي درجة مئوية الى ثلاثة آلاف درجة مئوية . اما حرارة سطح الشمس فتبلغ ٥٧٠٠ درجة مئوية ثم تزداد الحرارة في النجوم البيض الى ١٠ آلاف درجة مئوية وتفوقها الى عشرين الف درجة مئوية في نجوم منطقة الجبار وقد تبلغ ٥٠ الف درجة مئوية في نجم النجوم

وفي استطاعتهم كذلك ان يحسبوا حساباً لما يجب ان يكون عليه اشراق نجم ما اذا عرفوا حجمهُ وحرارتهُ وبعده . ولكن ذلك لا يجديهم كثيراً في الاجابة عن السؤال المتقدم : ما سبب اشراقه او اشراق النجوم جميعاً

وقد يحاول بعضهم ان يقول ان سطح النجوم حارٌّ لأن باطنها اشد حرارة من السطح فيردُّ عليهم السائل : ولكن كيف تستطيعون النفوذ الى باطن النجوم لتعرفوا انهُ شديد الحرارة؟ والرد على هذا السؤال أن داخل النجوم يجب ان يكون شديد الحرارة ، اذا كانت مادة النجوم من نوع المواد التي تناولها في مسائل علم الطبيعة . ان النواميس الطبيعية تقتضي ذلك . واما الادلة على ان مادة النجوم من نوع هذه المواد فمتوافرة

تعرف كتلة الشمس من مقدار جذبها للسيارات ثم تحسب كثافتها فاذا هي تبلغ ١٫٤ كثافة الماء . ثم إن جذبها لطبقاتها الخارجية ، يحدث ضغطاً عظيماً على باطنها . واذا فرضنا أن كثافة الارض موزعة توزيعاً متساوياً في جميع جهاتها فالضغط على مركزها يبلغ ٩٨ مليون طن على البوصة المربعة . ومن المسائل السادية في علم الطبيعة استخراج حرارة كتلة غازية ، اذا ضغطت حتى بلغت كثافتها كثافة الارض بضغط من رتبة الضغط على مركز كرة الارض ، وإنما يشترط في ذلك ان تكون قواعد تصرُّف الغازات في معمل البحث منطبقة عليها عند تعرُّضها لمثل هذا الضغط العظيم . واذا كان الغاز ذرات ايدروجين فالحرارة تبلغ ١١٫٥ مليون درجة مئوية

ولكن من المرجح الذي في حكم اليقين أن الضغط ليس موزَّعاً بالتساوي وأنهُ في الباطن أعظم كثيراً منهُ على السطح ومتفاوت تدرجاً بين المركز والسطح . ولمعرفة درجات الضغط وتفاوتها بين المركز والسطح يجب أن يصنع مثالٌ لتبين ذلك . ولكن زيادة الضغط في المركز يعني تجمع معظم الكتلة فيه وحواليه ، وهذا يزيد جذب الكتلة المركزية للطبقات الخارجية فيزيد الضغط في المركز . ولكن الحسابات المستخرجة من أمثلة مختلفة صنعها العلماء لدراسة هذه الظاهرة تدل على أن الزيادة في الضغط والحرارة متكافئتان على العموم . ففي المثال الذي صنعهُ ادنتون جعل الكثافة المركزية ٥٤ ضعف المعدل فزاد الضغط ٩٣ ضغطاً أي بنسبة ١ الى ٢ تقريباً فكانت زيادة الحرارة — الناشئة عن زيادة الضغط — ١٫٧٠ . ثم هناك عالم آخر يدعى ساندراسيخار صنع مثالاً جعل فيه الكثافة المركزية ٨٨ ضعف المعدَّل فزاد الضغط ١٧١ ضغطاً أي بنسبة واحد الى ٢ تقريباً وزادت الحرارة ١٫٩٥

واذا اخذنا بهذين المثالين ظهر لنا أن حرارة مركز الشمس تبلغ ١٩٫٦٠٠٫٠٠٠ درجة مئوية للمثال الاول و ٢٢٫٤٠٠٫٠٠٠ درجة للثاني فارضين أن غاز الشمس هو ذرات الايدروجين وهناك ما يحمل العلماء على الظن ان هذين المثالين يمثلان بناء النجوم الداخلي بوجهٍ عام

ولكن الحرارة يجب ان تتناسب مع الوزن الذري للمادة . فاذا كانت مادة الكتلة من الحديد وجب ان تكون الحرارة ٥٦ ضعف الحرارة المقدرة لكتلة من غاز الايدروجين، اي تبلغ الف مليون درجة . واذن فبحثنا عن طريقة لتعيين حرارة باطن الشمس يتوقف على المادة التي نظن ان كتلة الشمس مؤلفة منها اكثر مما يتوقف على نموذج ضغطها الداخلي

هذا الرأي كان قبل خمس عشرة سنة يبث القلق في اذهان العلماء فلا يجرؤون على المضيّ فيه الى نهايته المنطقية . لأن الرأي كان ان الذرات تحتك معاً بفعل الضغط حتى يتعذر من المستحيل ان يكون للضغط مهما يعظم ، تأثير في زيادة حشكها وتصغير حجم مجموعها . ولو كانت الذرات اجساماً دقيقة صلبة الكيان لكان لهذا الرأي وجهٌ من الصحة . ولكن عند ما تقدم العلماء في دراسة الذرات تبيّنوا ان كهربائها تنفصل عنها بفعل الحرارة العالية فلا يبقى من الذرّات الا النوى وهي صغيرة الحجم بحيث يمكن حشك كمية عظيمة منها في مدًى يسير . اي ان المادة مهما تكن تتصرف في باطن النجم كأنها غاز

ولا يخفى ان درجة حرارة الغاز التي تمكنهُ من تحمُّل ضغط عالٍ معيَّن ، تتوقف على عدد الجسيمات المتحركة التي فيه — لأنهُ من المفروض ان لكل منها شيئاً من طاقة الحركة . فاذا كانت الذرات جميعاً ذرات عنصر الحديد — ووزنها الذري ٥٦ ضعف وزن ذرة الايدروجين — فالحرارة يجب ان تكون ٥٦ ضعف حرارة كتلة من الايدروجين. وهذا يخيّب ظننا بالحسابات المستخرجة من مثالي ادنغتون وشاندراسيخار . ولكن لذرة الحديد ٢٦ كهيرباً خارج النواة فاذا انفصلت جميعاً عن النواة بفعل الحرارة كان عندنا ٢٧ جسيماً (اي ٢٦ كهيرباً والنواة) تتوزع فيما بينها طاقة الذرة . اي ان الحرارة تكون اضعف بعد انفصال الكهيربات عن النواة بنسبة ٥٦ الى ٢٧ اي ٢٠٨ر٢ ومن عجيب الاتفاق — او من عجيب النظام الكوني — انهُ مهما تكن المادة التي تتكون منها الكتلة فالنتيجة واحدة تقريباً . وزن الصوديوم الذري ٢٣ ولكن لذرته ١١ كهيرباً فالنتيجة نسبة ٢٣ الى ١٢ (١١ كهيرباً والنواة) أي ٩٢ر١ والاكسجين وزنهُ الذري ١٦ ولهُ ثمانية كهيربات فالنتيجة نسبة ١٦ الى ٩ (ثمانية كهيربات ونواة) اي ٧٨ ر ١

وإذن فتقدير درجة الحرارة في باطن الشمس لا يتوقف كثيراً على تركيبها الكيميائي ، ما عدا حالتين . أما الحالة الاولى فعندما تكون الشمس — فرضاً — مؤلفة من غاز الهليوم وعندئذٍ تكون النسبة ٣٣ر١ وهي أقل كثيراً من النسبة الناشئة من مثالي ادنغتن وشاندراسيخار ومن النسب التي تنطبق على سائر العناصر وهي قريبة كما تقدم من نسبتي أدنغتن وصاحبيه . وذلك لان ذرة الهليوم وزنها ٤ ولها كهيربان خارجيان فالنسبة تكون ٤ الى ٣ اي ٣٣ر١ . وأما الحالة

الثانية فقط تكون الشمس مؤلفة من نحو الايدروجين لان النسبة المستخرجة على النمط المتقدم تكون ٣٥ و ٠ اذن ذرة الايدروجين فرامها براد (برونون) تركيب وزنها واحد فالنسبة ١ الى ٢ اي ٥٠ ٪

فاذا أخذنا مقدار أدنغتن فرضنا ان الشمس ايدروجين فقط ، استخرجنا حرارتها المركزية معرفة من كتلتها وحجمها فاذا هي نحو ١٠ ملايين درجة مئوية . واذا كانت عليوماً كانت حرارتها المركزية ٢٦ مليون درجة مئوية واذا كانت مؤلفة من ذرات العناصر الأخرى عدا هذين العنصرين كانت حرارتها المركزية ٤٠ مليون درجة . واذا أخذنا مثال ثاندراسيخار وجب اضافة ١٥ في المائة الى جميع هذه الارقام

واذا قابلنا بين نجم وآخر ، مصنوعين على نفس المثال ، من نفس المادة ، ظهر لنا ان حرارتها المركزية او حرارتها في اية نقطة متقابلتين تختلف باختلاف الكتلة مقسومة على نصف القطر . فكتلة الشعرى مثلاً ٣ر٣ (بالقياس الى كتلة الشمس) ونصف القطر ٨ر١ (بالقياس الى نصف قطر الشمس) واذن فحرارتها المركزية يجب ان تزيد على حرارة الشمس المركزية ٣٠ في المائة . وأكبر النجوم المعروفة نجم يعرف باسم (٢٩ الكلب الاكبر) وهو نجم مزدوج اي نجمان يكمل احدهما الآخر ان كتلة كبيرها تفوق كتلة الشمس ٤٦ ضعفاً ونصف قطره يفوق نصف قطرها ٢٠ ضعفاً . واذن فحرارته المركزية يجب ان تكون اكثر قليلاً من ضعف حرارة الشمس المركزية . وفي الناحية المقابلة هناك النجم المعروف باسم الذراع المبسوطة وهو مزدوج كذلك كتلة أحدهما ٦٣ في المائة من كتلة الشمس وقطره ٥٧ في المائة من قطرها ، فحرارته ٩٥ في المائة من حرارتها ، وكتلة الآخر — وهما متساويان تقريباً — ٩٦ في المائة من كتلتها وقطره ٦٠ في المائة من قطرها فحرارته نحو ٩٥ في المائة من حرارتها

ونجم الذراع المبسوطة بمثل فائقة من النجوم حرارتها المركزية قريبة جداً من حرارة الشمس المركزية . ولكن نجم العيوق ولا كتلة تبلغ ٢ر٢ كتلة الشمس وقطره ١٦ ضعف قطرها ، فحرارته الداخلية — اذا تساوت العناصر الاخرى في القضية — يجب ان تكون ربع حرارة الشمس . أما النجم الجبار الاحمر المعروف باسم زيتا او ريجا (مسك الاعنة) او نجم المرفق كتلته ١٥ ضعف كتلة الشمس وقطره ٣٠٠ ضعف قطرها فحرارته المركزية ٧ في المائة من حرارتها

ولكي يكون البحث عن حرارة باطن النجوم ، أقرب الى الصواب ، يتعين على الفلكي الطبيعي أن يتوسل بما يمكنه من معرفة مقدار الايدروجين والهليوم في باطن النجوم ، لأن حرارة باطن النجوم تزيد أو تنقص بالقياس الى قلة مقدارها أو زيادته

وهذه مسألة تبدو مستعصية ولكن العلم لا يدع وسيلة الى معالجتها ، والفلكي في بحثه هذا

اشبهُ ما يكون بالشرطي الذي ، عليه ان يستخرج النتائج بأعمال الفكر ... باستعمال قوة المنطق الدقيق، من بضع حقائق او مشاهدات تجمعت لديه . ومن هذه الحقائق ، أن حرارة التي تنساب من باطن النجم الى سطحه ، تعمل بوجه عام الحرارة التي تنطلق من سطحه في الفضاء

وبدراسة الغازات التي تألفها في الشمس ، والذرات وجسيماتها وما الى ذلك مما تأثر في هذه الحرارة، تبيَّن ادنتون اولاً ان معدل انسياب الحرارة من باطن النجم الى سطحه يتوقف بالاكثر على كتلة النجم — فمعدل انسياب الحرارة يزداد بازدياد مقدار الكتلة — وقليلاً يتوقف على قطر النجم او بنائه الداخلي من حيث توزيع الكثافة فيه . ويعتبر استخراج هذه العلاقة بين الاشراق والكتلة من أهم القواعد في نظرية بناء النجوم الحديثة

ولكن النظرية نفسها تقتضي ان اشراق النجم يتأثر كثيراً بالمواد التي يتألف منها باطن النجم فاذا كان الباطن كلهُ من عناصر ثقيلة (اي من عناصر عدا الايدروجين والهليوم) كانت حرارة الباطن عالية جداً وكان معدل ما ينساب منها الى سطح النجم كبيراً وعلى ذلك فيكون اشراق النجم عظيماً . فاذا كان هناك ايدروجين كانت حرارة الباطن أقل ، ومن ثمة تقلُّ الحرارة بزيادة مقدار الايدروجين ، وكذلك يقل اشراق النجم بازدياد مقدار الايدروجين في بنائه الداخلي

فاذا بنى الفلكي الطبيعي حساباته على هاتين القاعدتين وعلى ما يعرفهُ من طبائع الغازات وطبقها على مثال نجم كالمثال الذي ضمهُ أدنتون للشمس، استطاع ان يعرف مقدار الايدروجين الذي في باطنها . فاذا جعلت الشمس على هذا المثال بغير إيدروجين اطلاقاً كان اشراقها اعظم كثيراً من الحقيقة ، واذا جعل مقدار الايدروجين فيها كبيراً كان اشراقها أقل من الحقيقة . ونتيجة البحث على هذا الاساس في ما يتعلق بالشمس ان ٣٦ في المائة من باطنها وزناً ، إيدروجين، والباقي عناصر ثقيلة وعلى ذلك تكون حرارة باطنها ٢٠ مليون درجة مئوية

***

ولا عبرة على ما يقول ادنتون بما تكون العناصر التي يتألف منها الـ ٦٤ في المائة الباقية من كتلة الشمس . فقد اختلف هو والباحث ستومغرن Stromgren في تقدير ما لمزيج العناصر الاخرى ولكنهما وصلا الى نفس النتيجة تقريباً في ما يخص مقدار الايدروجين والنجوم متقاربة على العموم في ما يخص نسبة الايدروجين في بنائها. فالنسبة في النجم الشرق المعروف بالشعرى تبلغ ٣٦ في المائة وفي السيوق ٣٩ في المائة اذا لم يكن هناك هليوم . ولكن هناك بضعة نجوم تشذُّ عن هذه القاعدة ، منها « زيتا هرقل » فاشراقها يفوق اشراق الشمس اربعة اضعاف مع انها تماثلها في كتلتها وحرارة سطحها . ولذلك فنسبة الايدروجين المقدرة لها ١١ في المائة ، لانهُ اذا قلَّ الايدروجين — كما تقدم — زادت الحرارة

هذه بعض الحقائق التي اسفر عنها البحث الحديث في دراسة النجوم . ولكنها لا تفسّر بوجهٍ من الوجوه سرَّ استمرار اشراق النجوم

كان اللغز في اواخر القرن التاسع عشر ان العلم أماط اللثام عن هذا السرّ . فالملائمة علمياً وكلفن من قبله ، بيّنا انهُ اذا تقلصت الشمس — او اي نجم آخر — تقلصاً بطيئاً ، تحوّلت طاقتها الجاذبة رويداً رويداً الى حرارة ، فيستمد نصف هذه الحرارة او اكثر قليلاً لرفع حرارة الباقي ويكون الباقي مدداً للاشعاع في الفضاء في شكل اشعاع ضوء وحرارة . وفرض ان الشمس تلائم بين مقدار تقلصها اللازم لتوليد الحرارة الكافية لحاجتها في الداخل والاشعاع الخارجي . فتبقى على ذلك مشعةً مدى طويلاً . وعند ما طبقت هذه النظرية على الشمس فسّرت اشعاعها بالمعدل الحالي مدى ١٥ مليون سنة قبل أن تبلغ حجمها الحالي . وخمسة عشر مليوناً من السنين كانت في اواخر القرن الماضي زمناً طويلاً جداً . ولكن الاستناد الى الادلة المستخرجة من وجود العناصر المشعة وتركيبها في الصخور ، بيّن ان الزمن الجيولوجي يستغرق ١٥٠٠ مليون سنة على الأقل ، وهو زمن كانت الشمس في خلاله ترسل اشعتها وحرارتها في الفضاء فتأخذ الارض نصيبها منهُ فكيف استطاعت الشمس خلال هذا الزمن الطويل أن تبقى مشعةً ، ومن أي مصدر كانت — وما زالت — تستمد هذه الطاقة الخطيرة التي تكلما في الفضاء ؟

اقترحت آراء مختلفة لتفسير هذا اللغز ؟ ولكنها عند الامتحان وجدت ناقصة . فقيل اولاً ان مادة الشمس تحتوي على عناصر مشعة . ولكن قام الاعتراض على هذا القول من ناحية ان العناصر المشعة تمضي في اشعاعها على وتيرة واحدة ومعدل واحد غير متأثرة بحرارة او ضغط او غيرهما . والنجوم تختلف اشعاعاً واشراقاً ، فالقول بان مصدر طاقة الاشعاع هو المواد المشعة التي في النجوم ، يقتضي منا القول بان مقادير هذه المواد وزعت قصداً في النجوم توزيعاً مختلفاً جعل النجوم متباينة في الاشراق والاشعاع . والاّ فاذا كان التوزيع غير قصد ، فقد يصيب نجم معين قدراً من الاشعاع يزيد على حاجته فيضطر ان يكمش آية علمياً وكلفن ، فيتمدد بدل ان يتقلص — لان مقدار الاشعاع لا يتغير — والذي يصيب اقل من حاجته يتقلص ، وقد يمضي الاول في تمدده حتى يصبح سديماً والثاني في تقلصه حتى يفور ، فلا يبقى في الفضاء الاّ النجوم المتوازنة التي اتفق لها ان كان نصيبها من المواد المشعة على قدر حاجتها اليها . وهذا نظام يصعب الأخذ به

***

عند ذلك تطلع علماء الفلك الطبيعي الى علم الطبيعة الحديث لعلهم يجدون في نظرياته الجديدة ما يمدهم على حل المشكلة

وما لبثوا حتى وجدوا معولهم الاول في نظرية النسبية العامة . فبحسب هذه النظرية الكتلة

والطاقة يتحولان ، احدهما الى الآخر . وكان الرأي السابق المشهور المأخوذ به ان المادة تتحول الى مادة ولكنها لا تتلاشى . وان الطاقة تتحول الى طاقة ولكنها لا تتلاشى . فجاء اينشتين وقال ان المادة تتحول الى طاقة والطاقة تتحول الى مادة

فاذا أخذنا هذه النظرية ، فكتلة الجسم تزداد — من الناحية النظرية — برفع حرارته اي باضافة طاقة اليه . والسبب الذي يحول دون قياس زيادة الكتلة بزيادة الحرارة ان الزيادة يسيرة جداً في الاحوال العادية . خذ طناً من الحديد المصهور واتركهُ حتى يبرد الى درجة الحرارة العادية فانهُ يطلق في خلال ذلك ١٥٠ كيلو وط ساعة من الطاقة ولكن كتلتهُ لا تنقص بفقد هذه الطاقة — الا جزءاً من ١٦٠ جزءاً من المليغرام

ولكن عندما تطبق هذه القاعدة على الاجرام السموية نجد ان الشمس تطلق في الثانية ٣٣١٠ × ٣ر٧٨ من وحدات الطاقة المعروفة باسم « ارج erg » وهذا المقدار من الطاقة يعدل ٤ر٢٠٠٠٠٠ طن أي ان الشمس تطلق من ذات نفسها اكثر من أربعة ملايين طن في شكل اشعاع في الثانية ، او ١٣٠٠ مليون مليون طن في السنة . وهذا أمرٌ يبدو لأول وهلة — اذا صح — باعثاً على القلق . لانهُ اذا مضت الشمس على هذا فما يكون مدى عمرها ؟ والرد ١٥ الف مليون سنة

وإذن يقتضي منا بحثنا عن مصدر طاقة النجوم ، ان نبحث عن الاسلوب الذي يتحوَّل بمقتضاهُ بعض كتلة ذراتها الى طاقة

أدركت هذه الحقيقة من عشر سنوات او اكثر قليلاً ، فذهب العلماء — قبل ان تتوافر لديهم الحقائق الناشئة عن التجريب — مذهبين . احدهما يقول ان الذرات تتلاشى ، لتحوّل كتلتها الى طاقة وهذه الطاقة تشعُّ الى الخارج . والثاني ان ذرات عنصر ما تتحول الى ذرات عنصر آخر ، وان كتلة الذرَّات تنقص في خلال فعل التحوُّل ، أي ان قدراً من الكتلة يتحول طاقة تشع . ولكنهم أهملوا المذهب الاول الآن إذ لم يقم دليل تجريبي عليه

أما المذهب الثاني ، فقد ارتقى من مقام فرض في علم الطبيعة الى مقام حقيقة مجرَّبة . وما على قارىء المقتطف الا الرجوع الى ما كتبناه في خلال السنوات الاخيرة عن تحويل العناصر ، واطلاق بعض طاقتها في أثناء التحول ، لتحقق صدق هذا القول [1] . وهذه التجارب التي يواليها العلماء في شتى المعامل الطبيعية بمختلف البلدان تقيم الدليل على ان تحول المادة الى طاقة حقيقة اثبتتها التجارب

والرأي الحديث ان مصدر حرارة الشمس هو في المقام الاول فعل تولد الهليوم من الايدروجين

(١) راجع محاضرتنا « الاشعاع قديماً وحديثاً » مقتطف فبراير ١٩٣٨ في آخر المقال وصف للجهاز الرصدي الذي استنبط لورنس الاميركي وكيف يستعمل الآن لصنع عناصر مشعة من عناصر غير مشعة الخ

في قلب الشمس تولد العناصر الاخرى بفعل الضغط والحرارة المظيمين. ولكن تحول الايدروجين الى هليوم هو اسهل. ذلك بأن كتلة اربع ذرات من الايدروجين تبلغ ٤٫٠٣٢٥٦ فهي تفوق كتلة ذرة من الهليوم بمقدار ٠٫٠٢٨٦٦. اي انهُ عندما تندمج اربع ذرات من الايدروجين لتوليد ذرة من الهليوم تتحول مقدار ٠٫٠٢٨٦٦ من الكتلة الى طاقة. وهذا المقدار هو جزء من من ١٤١ جزءاً من كتلة ذرة الهليوم. وهو مقدار يبدو صغيراً. ولكن اذا كانت الشمس ايدروجيناً اصلاً وتحول الايدروجين الى هليوم، فالطاقة المتولدة من هذا التحول كافية لابقاء الشمس متقدة بضيائها الحالي ١٠٦ بلايين من السنين وهذا مصدر وافر لطاقة اشعاع النجوم

اما التحولات الاخرى — اي تحول العناصر بعضها الى بعض — فتنشأ عن توليد قدر اقل من الطاقة. فاذا تحولت اربع ذرات من الهليوم الى اكسجين (اذا كان ذلك مستطاعاً) كان مقدار المادة او الكتلة المتحول طاقة جزءاً من ١٠٤٠ جزءاً، حالة انهُ في تحول الايدروجين الى هليوم جزءاً من ١٤١ جزءاً.

وقد افرغ الدكتور بيث Hans Albrecht Bethe استاذ الطبيعة في جامعة كورنيل هذه الحقائق في قالب نظرية رياضية طبيعية يعدها الدكتور رسل رئيس قسم الفلك في جامعة برنستن وأحد أعلام البحث الفلكي الطبيعي[1] «اهم تقدم في علم الفلك الطبيعي في السنوات الخمس عشرة الاخيرة». والدكتور بيث لم يكتف بدراسة تحول الايدروجين الى هليوم بل تتبع تولد العناصر الاخرى ومقدار ما يتولد من الطاقة في اثناء تولدها

بنقص مقدار الايدروجين يزداد النجم تألقاً ويزداد حجمهُ قليلاً ثم بعد زمن طويل (يقدره بيث باثني عشر بليوناً من السنين للشمس) ينفد الايدروجين فيبدأ النجم في التقلص فيصبح كثيفاً ويشتد اشراقهُ. والنجوم الصغيرة الحجم الكثيفة المادة الضعيفة الاشراق معروفة لعلماء الفلك الحديث وهم يطلقون عليها اسم «الاقزام البيض» وهي تتصف عادة بصغر الحجم وارتفاع حرارة السطح وقلة الضياء واول نجم كشف من هذا القبيل هو النجم المعروف باسم رفيق الشعرى. فكثافة مادته تزيد مائتي الف ضعف على كثافة الماء. وهناك نجم آخر من هذا القبيل تزيد كثافة مادته على كثافة الماء سبعة ملايين ضعف ولا تزال الاقزام البيض تشعُّ اشعاعاً ضعيفاً وبهِ تراها. ولولاه ما رؤيت فهي في المراحل الاخيرة من حياتها الاشعاعية قبل ان تتحول أجساماً مظلمة. والشمس على ما يظهر فيها ٣٦ في المائة ايدروجين فهي — بحسب هذه النظرية — سائرة في هذا السبيل

(١) راجع السينتفك اميركان أعداد مايو ويونيو ويوليو ١٩٣٩

الدثار الكهربائي

المحيط بجو الارض

يجعل المواصلات اللاسلكية مستطاعة
ويمكن شذوذها مفهوماً

لما فاز ماركوني في سنة ١٩٠١ بارسال الاشارة اللاسلكية الاولى من اوربا الى اميركا، قام بعمل عُدَّ عجيباً في ذلك العصر، لانه كان مناقضاً لما يعرف من نواميس الطبيعة. ذلك بأن الرأي العلمي في مستهلّ هذا القرن كان مجمعاً على ان الامواج اللاسلكية تنطلق من المحطة التي تذيعها، فلا تجاري في سيرها تحدُّب الارض، لانها تسير في خطوط مستقيمة كامواج الضوء فتخترق الهواء وتغور في الفضاء. ومن مفاخر ماركوني العلمية ان تثبيط العلماء لهمته من هذه الناحية لم يثنِ عزمهُ فجرَّب تجربتهُ الحاسمة في ١٢ دسمبر سنة ١٩٠١ فتحققت حدسهُ وخاب رأي العلماء، ولكن تجربتهُ دلَّت على ان هناك في طبقات الجوّ العالية حالة كهربائية من شأنها أن تعكس الامواج اللاسلكية فتردها الى الارض. واستخرج هيڤيسيد وكنلي واقرانهما اوصاف هذه الحالة استخراجاً نظريًّا، ولكن الدليل التجريبي على وجود طبقة او طبقات في اعالي الجوّ تصل صلَ المرآة بالامواج اللاسلكية، لم يقم إلا في سنة ١٩٢٥ وقد أقامهُ جنتز بريت Breit وتوف Tuve بمعهد كارنيجي بواشنطن والاستاذ اپلتن Appleton في بلاد الانكليز وذلك بفوزهم بعكس امواج لاسلكية عكساً مباشراً من طبقات الجوّ العليا

وقد تقدم البحث في المنطقة المكهربة من جوّ الارض تقدماً عظيماً منذ اجرى هؤلاء الباحثون الثلاثة تجاربهم المتقدمة الذكر. ويطلق على هذه المنطقة اسم «ايونوسفير» Ionosphere أي «الغلاف الكروي المؤين». ونحن نعلم الآن ان الشمس هي العامل الفعّال في إحداث هذه المنطقة بتأيين Ionisation دقائق الهواء وجزيئاته. وليست هذه المنطقة طبقة مؤينة واحدة بل طبقات متعددة منها طبقة E وهي اوطأها اي اقربها الى سطح الارض وهي تعكس الامواج اللاسلكية الطويلة او المتوسطة وارتفاعها ستون ميلاً. ثم هناك طبقة F_1 وارتفاعها ١٢٠ ميلاً وهي تعكس امواجاً لاسلكية اقصر من الأمواج الاولى. وطبقة F_2 وارتفاعها ١٨٠ ميلاً وهي تعكس امواجاً اقصر من طائفتي الامواج المتقدم ذكرها

ان قدرة هذه الطبقات على عكس الامواج اللاسلكية رهنٌ بعدد الدقائق المكهربة التي في الجوّ وهي إما كهيربات ، وإما جزيئات تحوَّلت مكهربة باقتصار اجزاء منها فتعرف بالأيونات Ions أو الشوارد . فاذا كان عدد الكهيربات في البوصة المكعبة من الطبقة مليوناً استطاعت تلك الطبقة أن تعكس موجة لاسلكية طولها ١٣٠ متراً اذا أصابت الموجةُ الطبقةَ إصابة عمودية . أما الامواج التي اقصر من ذلك فتخترق الطبقة فتعكسها طبقة اخرى فوقها أو تنطلق في الفضاء

ولكن قلما تصيب الامواج اللاسلكية الطبقات المكهربة اصابة عمودية في اثناء تبادل الاشارات بين المحطات اللاسلكية . والتالي ان تصيبها منحرفة وفي هذه الحالة تستطيع الطبقة أن تعكس موجة طولها ثلاثة أضعاف طول الموجة التي تعكس اذا أصابتها عموديًّا أي ان الطبقة التي تعكس موجة طولها ١٣٠ متراً اذا أصابتها عموديًّا، تستطيع أن تعكس موجة طولها ٣٩٠ متراً اذا اصابتها منحرفة . وهذا يوافق ما يعرف عن انعكاس امواج الضوء عن سطوح المرايا

ولما كان كتلة الأيونات أكبر من كتلة الكهيربات ، فتحريكها اعسر من تحريك الكهيربات ولذلك يجب ان يكون عدد الايونات في بوصة مكعبة من الهواء ٣٠ الف ايون لكي تكون لها خواص بوصة مكعبة تحتوي على مليون كهيرب

هذه الحقائق لا تنطبق الا على طبقات الايونوسفيرة العليا حيث لا يكثر اصطدام الكهيربات او الايونات بجزيئات غير مكهربة من غازات الهواء . أما في طبقات الايونوسفير السفلى حيث تكثر جزيئات غازات الهواء فالاصطدام بين الكهيربات والجزيئات يفقدها بعض طاقتها فتعجز عن ردّ الامواج الى سطح الأرض . والتالي أن عدد الكهيربات في هذه الطبقات السفلى من الأيونوسفير قليل فتأثيرها في المواصلات اللاسلكية التجارية البعيدة المدى يسير جدًّا . ولذلك تخترق امواج هذه الاشارات اللاسلكية الطبقات السفلى من الايونوسفير ولا تعكس الا بواسطة الطبقات العليا. ثم أن الطبقات السفلى تمتصّ في النهار الامواج المعيَّنة للأذاعة وهذا يفسّر تعذر سماع لأذاعة صادرة من محطة بعيدة في اثناء النهار

***

ماذا يكهرب أعالي الجوّ ؟ قلنا ان الشمس هي العامل الاقوى في كهربتها ، وللقام الاول بين أشعة الشمس المختلفة في تأيين طبقات الهواء العالية هو للاشعة التي فوق البنفسجي . بل ان بعض الباحثين يعتقد انها المصدر الوحيد لهذا التأيين . وقد وضع سكيت Sixllet جدولاً لمصادر التأيين في طبقات الجو العليا فاذا المكان الاول فيه للاشعة التي فوق البنفسجي في ضوء الشمس وتليه من بعد الشهب والأشعة فوق البنفسجي والأشعة الكونية والاشعة التي فوق البنفسجي في ضوء البدر . فاذا أخذنا بهذا الجدول ظهر لنا ان طاقة الاشعة التي فوق البنفسجي

وفعلها في تأيين طبقات الهواء العليا يفوقان عشرة أضعاف طاقة المصادر الاخرى مجتمعة وفعلها . وليس ذلك لان الاشعة التي تحت البنفسجي أقوى فعلاً وأنفذ من الاشعة الكونية مثلاً ولكن لان ما تلتقطهُ الارض منها اكثر كثيراً مما تلتقطهُ من الاشعة الكونية

***

وقد كشف الباحث الاميركي دلنجر Dellinger من عهد قريب كشفاً يميط اللثام عن بعض أحوال الغلاف المؤيَّن . ذلك أن أمواج الراديو القصيرة تتلاشى فجأة أحياناً في النصف المضاء من سطح الكرة الارضية . وقد يستمر هذا التلاشي من بضع دقائق الى اكثر من ساعة . وفي هذه الحالة يتعذر الاتصال اللاسلكي على السفن في البحر او الطائرات في الهواء او محطات الهواة اذا كان هذا الاتصال بعيد المدى . وقد حدثت حوادث كثيرة من هذا القبيل . ولوحظ ان هذا التلاشي في الناحية المضاءة من سطح الارض مقترن بأعاصير في الشمس تؤثر في مغنطيسيتها والتيارات الكهربائية التي تسري في قشرتها

وقد درست هذه الظاهرات دراسة دقيقة باشراف معهد كرنيجي وبواسطة مرصديه في هوانكايو في بيرو، وواتزلو في غرب استراليا وبواسطة هيئات اخرى . وكانت الطريقة المتبعة في هذه الدراسة اطلاق أمواج لاسلكية قصيرة صوب الغلاف الايوني عشر مرات في الثانية ثم تدوَّن أوقات ارتدادها الى الارض بعد أن تعكسها احدى طبقات الغلاف المؤيَّن . ثم يعمل حساب ارتفاع الطبقة التي ردَّتها بالاستناد الى الوقت الذي استغرقتهُ حتى عودتها . وهي طريقة تستند الى المبدإ المعتمد عند ما تريد ان تقيس بُعد صخر باطلاق صوت صوبهُ ثم قياس المدة المنقضية بين اطلاق الصوت وسمع الصدى . وفي المستطاع ايضاً تقدير عدد الكهربات في الطبقة العاكسة استناداً الى انهُ كلما قصرت الأمواج زاد عدد الكهربات في البوصة المكعبة الذي يلزم لعكسها

وعلى ذلك ظهر انهُ عندما تقع ظاهرة التلاشي ، يتعذَّر الفوز بعكس الامواج اللاسلكية من طبقات E، F1، F2 ، فكأنك واقف أمام مرآة ترى فيها شبحك لانها تعكس أمواج الضوء ، ثم لا ترى شيئاً لان المرآة غدت وهي لا تعكس الامواج . فاما أنها انكسرت وهوت شظاياها وإما قام بينها وبينك حجاب صفيق . والتفسير الاول في ما يتعلق بانعكاس الامواج اللاسلكية غير معقول . لذلك فرض ان هناك حجاباً يقوم بين سطح الارض وبين هذه الطبقات المكهربة العاكسة فيحول دون عكس الأمواج اللاسلكية ، بل بالحري يحول دون وصول الأمواج اللاسلكية اليها . وهذا الحجاب توامهُ كهربات أو ايونات ، قائمة على مرتفع يسير اقرب الينا من طبقة E ويجب ان ينظر الى هذه الطبقة نظرنا الى ملاءة تغطي الجانب المضاء من الكرة الارضية ولا تطوع سطحها اكثر من ٤٠ الى ٦٠ ميلاً

وقد تقدم منا ان الاشعة التي فوق البنفسجي في ضوء الشمس هي اقوى عامل في احداث الطبقات المكهربة في اعالي الجو فظهور هذه اللاءة التي تحدث تلاشي الامواج اللاسلكية ، على مرتفعات يسيرة فوق سطح الارض ، ينتضي ان تكون الاشعة التي فوق البنفسجي اقوى في هذه الحالة منها في الحالات العادية وهذا يرتد بنا الى الاعاصير التي تنتاب سطح الشمس فتقذف الغازات وأهمها الايدروجين في الفضاء المحيط بها . واذا اضيف الى ذلك فعل الكلف[1] ايضاً تيسرت قوة فعالة منطلقة من الشمس قادرة على زيادة فعل التأين في طبقات الهواء القريبة من سطح الارض فتنشأ اللاءة التي تغطيه احياناً فوق نصف الفضاء فتحدث ظاهرة التلاشي

ومن غريب ما ينال في هذه الطبقات المؤينة أنها ليست طبقات مستوية محدودية تحيط بخلاف الارض الغازي كأنها قشرة كرة ، ولكنها لتأثرها بالضوء والحرارة وغيرهما من العوامل دائمة التحرك فتشق فيها الاودية وتبسط السهول وترفع الجبال ، وهذا يفسّر بعض ما يصيب الاذاعات اللاسلكية من شذوذ في بعض الاحيان

ومن الطبيعي ان يخطر للباحث وللقارىء معاً أن يسألا هل وراء او فوق الطبقة F2 طبقات مؤينة أخرى تردُّ الامواج اللاسلكية القصيرة التي تنفذ من خلال الطبقة F2 ؟ والردُّ على ذلك ان مهندساً لاسلكيًّا نرويجيًّا يدعى هالز Hals لاحظ سنة ١٩٢٧ انهُ سمع اشارة لاسلكية واحدة ثلاث مرات . فبعدما سمع الاشارة الاصلية لبث سُبع ثانية فسمعها ثانيةً كأنها واردة من جهة مقابلة ثم بعد انقضاء ثلاث ثوانٍ سمعها ثالثة . أما الصدى الاول (المسموع بعد سبع ثانية) فيمكن تعليلهُ بأنهُ سمع بعد ما دارت الاشارة اللاسلكية حول الارض دورة تامة وهذه الدورة تستغرق سبع ثانية . ولكن من أين جاء الصدى الثالث . ان مجيئه بعد ثلاث ثوانٍ يقتضي ان يكون قطع ٥٤٨ الف ميل . ثم قيل أن آخرين سمعوا صدى لاشارة لاسلكية معيَّنة بعد انقضاء خمس ثوانٍ وان آخرين سمعوا صدًى لاسلكيًّا بعد خمس عشرة ثانية . وأن فريقاً من علماء النظك الفرنسيين سمعوا مثل هذا الصدى بعد انقضاء ثلاثين ثانية على سماع الاشارة الاصلية . وهذا يقتضي أن يكون هناك طبقات معينة تردُّ هذه الامواج اللاسلكية على ابعاد شاسعة فوق سطح الارض . ولذلك اتجه العلماء الى تفسيرها بطرائق الخلاف المؤيَّن المتنقلة فقال فان درپول الهولندي واپلتن الانكليزي أن افضل تعليل لهذه الاصداء هو فرض انحصار بعض الامواج اللاسلكية بين طبقتين متغيرتين من الايونوسفير فتتذبذب بينهما بضع ثوانٍ ثم يحدث انفراج أو ثغرة في إحدى الطبقتين فتعود الامواج الى الارض . وهو تعليل لا بأس بهِ ولكنهُ لا يزال موضع بحث وتجريب

(١) راجع مقال « الكلف والاشعة السكرية » مقتطف اغسطس ١٩٣٨

فلسفة سياسي

او سياسة فيلسوف

لعلي أدهم

العصر الحاضر من العصور التي اشتدت فيها العناية بدراسة السياسة والوقوف على مذاهبها المختلفة واتجاهاتها المتعارضة ، وقد كان هذا الاهتمام المتزايد نتيجة مرتقبة لذلك القلق العميق والاضطراب الداخلي المستولي على الروح الانسانية في هذا العصر ، وهناك الآن تجارب جديدة في الحكم واساليب مستحدثة تتحدى النظم القديمة التي ظلت زمناً فوق منازع الشك ، وقد رأيت من المناسب ان نقف في تلك الفترة على آراء زعيم خطير وسياسي منجذ مثل توماس ماساريك أول رؤساء الجمهورية التشيكوسلوفاكية التي عصفت بها الحوادث الاخيرة ، ويزيد في قيمة آرائه انها لم تستمد جميعها من خير الكتب ولم يتكون اكثرها في أبهاء المطالعة وحجرات الدراسة ، وانما نمت وتكونت في ضوء الحوادث الجسيمة ، وهي ثمرة تجربة طويلة وخبرة عريضة ، وسيتبين القارىء من معارض احاديثه انهُ لا ينتسب الى مدرسة ميكافلي المعروفة ، ولا يرى ذلك التفريق بين السياسة والاخلاق الفاصلة الذي يملأ العالم اليوم الم من ثمراته ، ويذهب بعض المفكرين السياسيين الى ان السياسة فرع من علم النفس لأننا اذا عرفنا الكثير من الحقائق عن الطبيعة الانسانية امكننا ان نستنبط النظم الملائمة لها ولكن ماساريك يرى ان الدراسة التاريخية لها المكانة الاولى لأن التاريخ عندهُ هو سجل الحقائق وهو زاخر بالحقائق النفسية لمن يعرف كيف يقرؤه ، واذا جهلنا التاريخ فاننا لا نستطيع ان نتبين الأثر العملي للدوافع والحركات النفسية والتبس علينا تقدير نتائجها ، والنظرية السياسية التي تكتفي بالبحث عن الطبيعة الانسانية وتتخذها اساساً لاختيار القوانين والنظم تمنى في أغلب الحالات بالفشل والاخفاق وعلم السياسة انما هو ضرب من فلسفة التاريخ ، وكبار فلاسفة العالم السياسيين كانوا يستمدون فلسفتهم السياسية من التاريخ مثل هوبز ولوك وروسو وكارل ماركس . فالسياسة عند ماساريك يلزم أن تدرس في ضوء التاريخ وان تقوم على اساس تنظيم نتائج تجارب الحكم عند الحكومات والدول المختلفة ، وقد بسط جانباً من هذه الفلسفة في المحاورة الآتية وقد اخترتها من احاديثه مع صديقه الكاتب الكبير كارل كابك ، وقد استطاع كابك — قبل وفاته بقليل — ان يقدم

لنلمّ بهذه المحادثات خلاصة وافية لآراء زعيم بلاده في السياسة والاجتماع والفلسفة وان يرسم لنا خلالها صورة دقيقة الملامح، قوية الأثر لذلك الزعيم النابه والمفكر الممتاز : —

كابك — هل تعتقد ان شريعة الحب تصلح في السياسة وفي الحياة الخاصة على السواء؟

ماساريك — نعم هي بلا ريب صالحة للحياة على اختلاف ألوانها وللاعمال والافعال جميعها، وكل سياسي أمين راجح التفكير يعمل على تقوية الانسانية في داخل بلاده وفي خارجها ويجاهد لبلوغها مرتبة الكمال ، والسياسة كسائر الاعمال التي تصدر عن الانسان يلزم ان تكون خاضعة لنواميس الاخلاق ، واني اعرف ان هناك فريقاً من السياسيين يحالون انفسهم عمليين وجد حصفاء فلا يحفلون بهذا المطلب ولا يتوخون تلك الغاية ولكن التجربة — ولست احدث في هذا المقام عن تجربتي الشخصية وحدها — ترينا ان السياسيين الاذكياء ذوي الافكار الثاقبة هم الأبلغ تأثيراً والاقدر على النهوض بالاعباء ومواجهة الحوادث وهم يؤدون لوطنهم وحكومتهم اعمالاً ينكل عن القيام بامثالها السياسة الذي يسمون انفسهم بالعمليين البارعين ومرور الزمن كفيل باظهار غبائهم وقصر نظرهم

كابك — ولكن السياسة المثاليين قد يخطئهم التوفيق

ماساريك — في بعض الاوقات يصيبون وفي اوقات اخرى يخطئون، واذا كنت اتحدث عن الاخلاق في السياسة فاني واضع نصب عيني في اول الأمر الاساليب السياسية والمناورات الحزبية والاعمال الادارية على وجه الاجمال، وممارسة السياسة نفسها يجب ان تكون عملاً اخلاقيًّا والبرنامج السياسي يجب ان يكون متمشياً مع قواعد الاخلاق . وفي مستطاع كل انسان أن يضع برنامجاً سياسيًّا محترماً سامي المبادىء ولكن معرفة الاعمال الادارية شيء والعمل على مزاولتها في رفق واعتدال شيء آخر ، ومعرفة مصلحة الدولة ومنفعة الوطن في اوقات الازمات التحرجة والمواقف الفاصلة تختلف عن ذلك كل الاختلاف . ولذا تتحدث الناس في مناسبة ذلك عن مسائل السياسة العليا ويفرقون بين رجل الدولة والسياسي الحزبي ، والسياسة في هذا المعنى قائمة على أن يحسن السياسي ادراك الظرف المناسب الذي يخدم فيه امته خلال فيض التاريخ وتوالي الحوادث ومما يعين السياسي على ادراك ذلك وقوفه على تاريخ بلاده ومعرفته لحاضرها وعنايته بمستقبلها ولقد عالجت تلك الحياة وتمرست بصروفها وانا رجل سياسة كما قدمت لك وقد همتني المسائل السياسية منذ كنت غض الشباب، وانت تعلم اني في سنة ١٨٩١ كنت نائباً ثم تنازلت عن النيابة. وكان الدافع الحقيقي لذلك شعوري بعدم نضجي السياسي ، وذلك لاني عندما وقفت على سياسة فينا وعلاقتها باوربا وجدت أني رغم ما حصلت من علم غير متأهب تمام الأهبة، فبدأت من جديد دراستي السياسية في دقة وتمحيص وحاولت ان أجلو لنفسي مشكلة العصر ، وكان تاريخ أمتي في نظري جزءاً لا يتجزأ من تاريخ العالم ، ولم يقتصر عملي خلال تلك الفترة على تأليف الكتب.

كابك — كنت تعتقد في ذلك الوقت ان السياسة يجب ان تقوم على أسس علمية فهل لا تزال مستمسكاً بهذا الرأي بعد تجربتك الطويلة ؟

ماساريك — نعم ان السياسة علم ويجب ان تكون كذلك على الدوام . حقيقة ان جامعاتنا ليس بها أساتذة لتلقين السياسة ، والسياسة عندنا تدرس من حيث هي فرع من علم الاجتماع وناحية من نواحي القانون وجانب من جوانب الفلسفة، وقد خصصت لها في بعض الامم الاخرى مناصب وكثرت فيها المؤلفات واتسعت بحوثها ، وأمامنا مرحلة لا بد لنا من اجتيازها قبل ان نصل الى انشاء منصب استاذ لدراسة السياسة في جامعاتنا

كابك — وهل ترى ان البون شاسع بين السياسة العلمية والسياسة العملية البرلمانية ؟

ماساريك — نعم وكيف لا يكون كذلك ؟ ولكن يوجد كذلك خلاف بين آراء الجماهير التي تؤم الكنائس وآراء المستنيرين من رجال الدين ، وليس الفرق بين الرجل العادي والمحامي الذي درس القانون بأقل من ذلك ، ولكني اذا كنت أقول بالسياسة النظرية العلمية فاني لا أنسى الفرق بين العملي والنظري ، ومما يسترعي النظر في تقدمنا السياسي ان بعض رؤساء الحكومة وقادة الاحزاب وأعضاء البرلمان لم يتلقوا تعليماً جامعيًّا ولكنهم برغم ذلك قد تزعموا الاحزاب وألقيت اليهم مقاليد الأمور وإني اعتقد ان السياسة العليا تستلزم اعداداً نظريًّا ولكني أصرح مع ذلك ان حزمة من الاجازات العلمية لا تغني عن المواهب الطبيعية، ولا تنس كذلك الناحية الاخلاقية لان الاطلاع والعلم واجتياز الامتحانات والحصول على الاجازات والالقاب والدرجات ليس دليلاً على الشرف والشجاعة والاعتدال

كابك — اسمح لي بسؤال لا أريد به شخصك ، عندما تتكلم عن السياسة من حيث هي علم ما هي علاقة السياسة بالفلسفة ؟

ماساريك — تريد ان يكون سؤالك غير شخصي ولكنك في هذا السؤال شخصي الى أقصى حدّ لأنك تريد ان تقول أنني قد انتقلت من منصب أستاذ في الجامعة الى مسند رآسة الجمهورية وسأحاول في الاجابة عن سؤالك ان أتجرد من شخصيتي . ولعلك تذكر أفلاطون وارسطو وسنت اغسطين وتوما الاكويني وأمثالهم ، ولقد كان الفلاسفة على الدوام معنيين بالمسائل الفلسفية ، والنظريات السياسية هي صورة من صور التفكير الفلسفي وقد كان ذلك نتيجة لتلك العلاقة الأكيدة بين الاخلاق والسياسات ، ولقد كانت الاخلاق على الدوام جزءا من الفلسفة وفي العصور الحديثة استقل عن الفلسفة علم الاجتماع وفلسفة التاريخ وهما علمان سياسيان ، وكل علم يعتمد في ناحية من نواحيه على الفلسفة ويستند من ناحية اخرى الى الحياة العملية

وللفلسفة علاقة مباشرة بالاخلاق لأنها تحاول ان تكوّن صورة عامّة للحياة والدنيا ، والحكومة في العصر الحاضر تستغرق جميع فروع الادارة الاجتماعية فهي من ناحية عملية

تجاهد وراء ما تقصد اليه الفلسفة. وعلى هذا الاساس يجب ان تفهم ما رمى اليه افلاطون الذي اراد ان يكون الحكام فلاسفة ، والسياسي الحديث يلزم ان يكون قوي الناقدة غزير العلم صادق الحكمة . والسياسي الذي يتصدى للقيادة يلزم ان يكون خبيراً بالرجال ملمًّا باسرار الزعامة وما معنى الزعامة اذا اعجزه النفاذ الى قلوب الناس والولوج الى سرائرهم ؟ ولا تنس ان الفلاسفة او العلماء قد يتورطون في الاخطاء . واكرر ان الكتب او الاجازات ليست كافية لأن الرجل السياسي في حاجة الى التجربة والبراعة وحدها ليست مجدية

كابك — اراك تؤكد العلاقة بين التاريخ والسياسة

ماساريك — نعم وانت تعرف اهتمامي بمادة التاريخ ، ولقد كنت على الدوام معنيًّا بالدروس التي تفيدها سياستنا من التاريخ ، ولست ادعي اني مؤرخ ولكن عقيدتي الفائية كانت تستحثني لتبين معنى الدنيا ولجوى اعمالنا وكم اجهدت فكري في ذلك ، وانا اعلم المسرفة من المؤرخين ولكني في الوقت نفسه اراقب سير الحوادث في بلادي وفي غيرها وفي مدى يجاوز نصف قرن يستطيع الانسان ان يرى كثيراً وان تتسع امامهُ مناديح التفكير وتتكاثر موضوعاتهُ ، وقد طالما رددت ان سياستنا يجب ان تقوم على اساس عالمي وان يكون اتجاهها دوليًّا

كابك — وهل ترى ان السياسة الخارجية أجلُّ شأناً من السياسة الداخلية

ماساريك — في بعض الاوقات ترجح كفة السياسة الداخلية ولكن في المدى المتطاول ستلتقي السياسات الداخلية في الامم والسياسات الخارجية ، وسياستنا تفرض علينا ان نكون يقظين لما يحدث حولنا ونحتم علينا مراقبة الاتجاهات والتيارات . وانا اتصور السياسات العالمية تصوراً عمليًّا فهي يلزم ان تقوم على دراسة الدنيا وتاريخها وهي تقتضي ان نكون واقفين على ما يحدث حولنا وما يتصل بشؤوننا ولا يهولنك ذلك فاني لا أوصي بالابتداء من عهد آدم ولا اقول بالانغماس في تاريخ الدنيا بأسره اذ يكفيني تاريخ اوربا وذلك الجزء من آسيا وافريقية الذي ارتبط تاريخه بتاريخها

كابك — الحدود التي ذكرتها هي على وجه التقريب حدود الجنس الابيض

ماساريك — نعم على وجه التقريب ونترك آسيا الآسيوية ، وآسيا الأوربية أو اوربا الآسيوية . إن جميع الامم القائمة على شواطىء البحر المتوسط قد امتزجت ثقافتها وكثرت العلاقات بينها وفي هذا الجزء من الكرة الارضية بدأ التوفيق بين مختلف المذاهب واللغات والسكان

ومن المظاهر الباهرة انهُ في ذلك الجزء نهضت الحضارات من أقدم الازمنة وجاء تباعاً البابليون والاشوريون والايرانيون والدول المصرية ، وقد اقتسم الاغريق شيماً واحزاباً ولكن الاثينيين حاولوا ان يوحدوا الأمة الهيلينية بعد ان نجحوا في رد غارة الفرس ، وبظهور الاسكندر جاءت الى تمام الوجود امبراطورية ضخمة تضم اليونان ومصر وجميع الاجزاء التي كانت معروفة في آسيا لذلك العهد . وبعد عهد الاسكندر انهارت دولته وتصدعت أركانها ولكنها لم

تتحطم ثقافيًا، وقد غزت الثقافة اليونانية روما وأوغلت في الغرب، وقامت بعد الاسكندر دولة الرومان وقد شملت اليونان ومصر وشمال افريقية واستولت في الشرق على الولايات التي ضمها الاسكندر الى امبراطوريته وانتشرت في الغرب إيبريا وبلاد السلت والالمان، ثم انشطرت الدولة الرومانية شطرين وقد بقي القسم الشرقي في بزانطة بعد انهيار القسم الغربي، ثم قامت في الغرب دول عظيمة منها دولة الفرانك والدولة الرومانية المقدسة ودولة أسبانيا والنمسا

كابك — ودولة الاسلام ومحاولة السويديين اخضاع شمال اوربا

ماساريك — ثم وفي العصور الحديثة نهض نابليون وظهرت قوة الانكليز والولايات المتحدة والروسيا وتمت الوحدة الايطالية واصبحت ايطاليا تحاول بسط سيادتها على البحر المتوسط

وهذا الدافع الى طلب القوة السياسية ظاهر كذلك في تاريخ الولايات الصغيرة فدولتنا البوهيمية القديمة كانت الى حد ما قوة عالمية ومن الجائز ان يقال مثل ذلك عن بولندة وبلاد الصرب والبلغار، ففي كل زمان وبكل مكان نلتقي بهذا الدافع الذي يسوق الأمم الى التوسع خارج نطاقها والى أن تضم دولا اخرى. ولقد كان للعوامل الجغرافية اثر كبير في نشوء الدول العظيمة مثل الجبال والانهار الكبيرة كالنيل والدانوب والراين وعلى الاخص البحر، وفي تاريخ الغرب كان للبحر المتوسط شأن سياسي بارز ونفس اسمه يدل على ما كان له من أثر في ربط الامم القائمة على شواطئه وبخاصة الاغريق والرومان والفينيقيين. ولم تتقدم الملاحة في المحيط الاطلسي الا في العصور الحديثة وهو الصلة بين اميركا واوربا وقد حلت منزلة المحيط الباسيفيكي وهو اليوم الصلة بين اميركا والشرق الاقصى وبذلك اصبحت الصين واليابان والهند مرتبطة باميركا واوربا

ولقد نشأت تلك الدول العظيمة مدفوعة بدافع الرغبة في التملك وحب الغزو ولكن التفاهم المتبادل بين الامم الغالبة والامم المغلوبة كان لازمًا، ومن ثم نشأت الروابط الثقافية وبذلك بلغت الروح مالم يبلغه حد السيف، ولقد كان اليونان من اكبر دعاة الثقافة وناشري لوائها وفي عهد الاسكندر وبعده صارت اللغة اليونانية لغة عالمية في أوربا وآسيا وافريقية، واذا تأملنا الحركة التاريخية وجدنا ان الأمم لا تستطيع ان تعيش في عزلة، والجنس البشري منذ أقدم الأزمنة يتجه تدريجيًا في سبيل الوحدة وتاريخ الفتوحات والثقافات والدول أحوالي يرينا ذلك في صورة واضحة ولقد كانت الحرب الكبرى هي المرحلة الأخيرة في سبيل هذا التقدم

والمسألة الآن هي هل يتم تنظيم قوى الحكومات والأمم بالغزو والاخضاع او بالسلام والتحالف والاتفاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية؟ لقد وضعت عصبة الأمم بعد الحرب الكبرى برنامج التنظيم السلمي للدنيا وقامت حركات كبيرة وعقدت اجتماعات جمة لتقريب العلاقات بين الامم ويجوز لنا ان نقول أننا نقف الآن على ابواب التنظيم العالمي الصادق. ولقد أطلت عليك الحديث ولكن نظرة الى الماضي تزودنا بالكثير مما ينفع في الحاضر والمستقبل

يعقوب صروف

و « الاشياء الباقية » في الحياة

الذكرى الثانية عشرة لوفاته [1]

لست ادري كيف اوجّه شكر الى محطة الاذاعة الفلسطينية ، لعنايتها باحياء ذكر العاملين في نهضة الشرق الفكرية والاجتماعية . فالكلام عاجز عن اداء هذه المهمة على اوفى وجه ، وذلك لأن عمل المحطة في الواقع عمل كبير الشأن عظيم الأثر باذن الله

نحن مجتاز فترة من حياة الشعوب ، انقلبت فيها الاوضاع ، وطغا على وجه الغبر كل عابر من الصفات والقيم الانسانية ، فحجب كل راسخ مقيم من السجايا والمناقب . وهذا ولا ريب متأثر بهذه الحضارة الآلية التي تبغي السرعة للسرعة ، أو هي تبغي السرعة لتحقيق غرض آخر في الحياة هو تخفيف عبء العمل وتوسيع نطاق الفراغ في سبيل الثقافة والرياضة ، ولكنهُ ، غرض على نبله ، لم تألفه الناس ، ولا تعودتهُ الاخلاق الاجتماعية والنظم الصناعية ، فَسُهرنا بالوسيلة ، وأهملنا الغرض . وليس ثمة ريب ، في ان عناية الناس الآن ، بالدائم الاصيل من النوازع العالية والاخلاق النبيلة والقيم الاساسية في حياة الافراد والاجتماع ، اقل من عنايتهم بكل ما يبهر الطرف ويخطف البصر ويؤتي ثمراً عاجلاً . ولا تكون العودة الى النهج القويم ، في اصلاح الحياة والسموّ بها ، نهج العناية بما ينفع الناس ، نهج التأمل في حقائق الحياة لاستخراج اصولها الصحيحة العميقة ، الا بالعودة الى عظماء الرجال ، ودراسة حياتهم ، واستكشاف فضائلهم ومناقبهم واذاعتها . فليس من البث ، ان تمر السنون وتكر القرون ، وأسماؤهم كالنجوم تتألق في صفحات تاريخ الفكر والاجتماع ، تضيء الطريق الوعر للسالكين . « أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

والواقع ان الحياة عمادها صدق الصالحين وقدوتهم ، وحكمة الملهمين وابداعهم ، واقدام الرواد وفناء اشخاصهم الفانية في سبيل الخير العام . هم ينتزعونها من الادران . ويخلقون من وقع

---

(١) حديث لرئيس تحرير المقتطف اذيع من محطة الاذاعة الفلسطينية في مساء ٧ يوليو ١٩٣٩ على ذكرى انقضاء اثنتي عشرة سنة على وفاة الدكتور يعقوب صروف

عبثها على الكواهل . بل ان الحياة لا تعذب ، وقد لا تحتمل الاَّ في صحبهم او في كنفهم . ومن محاسن الحضارة الحديثة ، انها تتيح لك صحبة الانبياء والفلاسفة والشعراء والعلماء والرواد ، في تراجمهم ومؤلفاتهم ، وفي ما يكتب ويذاع عنهم ، ومن هنا كان فضل محطة الاذاعة الفلسطينية في عنايتها باحياء ذكر العاملين في نهضة الشرق . ومن هنا كان شكرها شكراً واجباً من الامور التي يعجز عنها الكلام

وقد اتاحت لي الحياة ان اصحب واعيش في كنف احد هؤلاء الرجال ، وما فتئت روحهُ تطالعني كلَّ يوم من صورته النضرة وسبعين مجلداً من المقتطف — صدرت في عهده — مصطفة أمامي . وقد تردَّدت كثيراً قبل تلبية طلب المحطة في اذاعة حديث عنهُ لما بين الاسمين من صلة القربى ، ولكن الرجل مضى الى لقاء ربهِ من اثنتي عشرة سنة ، فصار الوجه طاهر الذيل جزيل النفع ، فهو في غنى عمَّا نقولهُ فيهِ ، ولكننا لسنا في غنىً عمَّا في حياته الحافلة من العبر . فاذا عنَّ ما اروي في الدقائق التالية نواحي من حياته ، اجرِّد نفسي من صلة الاسم والقرابة — على فخري بها — واقف موقف واحد من ابناء الامم العربية اللسان تجاه هذا الرجل الذي كان ركناً اصيلاً من اركان النهضة الفكرية والاجتماعية فيها

من مزايا الدكتور يعقوب صرُّوف ، أنهُ كان رجلاً جمع بين الذهن المتوقد والخلق النبيل ، أي العلم والفضيلة ، فكانت حياتهُ حافلة بالنفع

ولو نشأ صاحب هذا الذهن في بيئة تأصلت فيها تقاليد العلم ووطئت مسالكهُ ، لكان على الغالب من العلماء المبدعين الذين تنسب اليهم النظريات والمذاهب العلمية والفلسفية . ولكنهُ نشأ في بيئة ، كانت قد انقطعت صلتها بسير العلوم منذ القرن الثالث عشر على العموم ، وغلبت عليها أساليب من البحث تمتُّ الى الأدب واللغة والفقه بصلة قوية . نشأ مزوداً من اصول العلم الحديث بقدر وافر هيأهُ لأن يكون من رؤوس روَّاد عصر جديد . ونحن اذا طوينا الف سنة تقريباً فرجعنا الى مستهلّ نهضة العلوم في العصر العباسي ، رأينا ان نهضة النقل والترجمة كانت التوطئة التي لا بدَّ منها لتلقيح الفكر العربي الخصب ، بلقاح العلوم والفنون المنقولة عن اليونان والهند . واذا اتخذنا من جمهور المترجمين والنقلة في ذلك العهد ، من يمثلهم في شخص حنين بن اسحق ، فإنا لا نقع على ندٍّ لهُ الاَّ بعد الف سنة تقريباً في شخص يعقوب صرُّوف

تلقى العلوم في الكلية السورية الانجيلية ببيروت — وهي المعروفة الآن بجامعة بيروت الاميركية — وكان الطبيعة ارادت ان تهيئهُ خاصة لعمله العظيم ، عمل تلقيح الذهن العربي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، بلقاح العلوم الغربية الآخذة في التفتح والازدهار في ديار الغرب ، فأتاحت له ان يدرِّس مدى أربع عشرة سنة في جامعة بيروت الاميركية ، العلوم

الرياضية فالعلوم الطبيعية والكيميائية ، فآداب اللغة العربية وقواعدها . فاستكملت بذلك عدته ، من اطلاع واسع وفهم دقيق لأصول العلوم الطبية الحديثة وطرائق العلم التجريبي ، وقلم بليغ في سهولة وامتناع ، يرتد الى أبلغ الاساليب العربية في صدر الاسلام

فلما حدثت نفسه ونفس زميله وشقيقه الروحي الدكتور فارس نمر باشا — مد الله عمره — باصدار مجلة المقتطف ، كان الصديقان قد اقتسما فيما بينهما أهم طائفة من العلوم الحديثة فاشتركا في العمل إحدى وخمسين سنة متواصلة ، ولا آصرة بينهما من قرابة او نسب ، وانما كانت آصرة التآخي الروحي والاخلاص للعلم وللخير العام ، أوثق وأمتن . وأنت تمضي في مطالعة سبعين مجلداً ضخماً من المقتطف منذ صدوره الى حين وفاة الدكتور صروف في ١٩٢٧ فلا تعرف من منشىء المقالات فيها ، حتى لقد غدت كلمة « أحدنا » تؤثر عنهما للدلالة على اتحادهما في هذا العمل الفكري العظيم ، مع ان الدكتور صروف عكف على انشاء المقتطف خاصًّا اياه بعنايته دون أخيه ، حالة ان الدكتور نمر اضطر ان يقف معظم وقته على القطن ، ولا يزال عندما تسمح له أعماله بدقائق من الفراغ ، يتحسر على ان مقتضيات العمل ، حكمت عليه بأن ينصرف عن العمل العلمي الذي نشأ وترعرع فيه ، وملك عليه أسباب حبه

إن الخطة السامية التي وضعها منشئا المقتطف وجريا عليها وجرى عليها من أؤتمن عليها ، مدى ثلاثة وستين عاماً ، جعلته الصلة الفكرية الموثقة بين الشرق الحديث والغرب الحديث . فنشر من المقتطف حتى وفاة الدكتور صروف في مثل هذا اليوم من اثنتي عشرة سنة اكثر من سبعين مجلداً في ما لا يقل عن خمسين الى ستين الف صفحة ضمت فصولاً مطولة وموجزة ونبذاً في شتى فروع المعرفة الانسانية . في ساحتها التقت أقلام الكتّاب والمفكرين بانهام القراء . وهذا الالتقاء ولد احتكاكاً والاحتكاك بث في العقول والنفوس نوراً وناراً

فمجلة المقتطف كانت باشراف الدكتور صروف وبما دوّنه فيها من حقائق العلوم وتخيّر الآراء والمذاهب العلمية والفلسفية والاجتماعية ، وما راجعه ووافق على نشره فيها من أقلام الكتاب ، تأخذ باليمين لتعطي باليسار ، تأخذ من العالم والمستنبط والفيلسوف لتعطي الزارع والتاجر والصانع والمدرس والطالب وربّة البيت . فكانت بذلك صلة بين عالم الابداع الفكري وعالم التطبيق العملي . كانت مرتبة متوسطة بين مباحث العلماء الفنية الدقيقة ، ومدارك الجمهور الذي يطلب الحقائق واضحة جلية ، تقبلها العقول وتسيغها الافهام . والعلم لا يرتقي ولا ينال قسطه من الذيوع والتأييد ، ولا تجنى الفوائد التي يجب ان تجنى منه الا اذا اتصلت نتائج المباحث العلمية بمقتضيات العمران وتغلغلت في كل مصدر من مصادر حياة الفرد والمجتمع . لذلك كان بسط الحقائق العلمية ونشرها لازمين ككشفها وتحقيقها ، وهذا البسط والنشر جانب من المهمة العظيمة التي أخذها منشئا

المقتطف على عاتقهما عندما عزما في ذلك اليوم التاريخي في بيروت ان ينشئا «مجلة علمية صناعية». ولا يسعني الاّ الظن بأنهُ اذا جاء المؤرخ في المستقبل ، يحاول ان يكتب تاريخ النهضة الشرقية الحديثة على قاعدتين من الانصاف والتحقيق ، فانهُ لا يستطيع ان يتجاوز ذكر المقتطف وذكر الدكتور صروف الذي اقترن به حتى أصبحا متلازمين . ذلك بأن النهضة في أمةٍ ما تبدأ اولاً في صدور النخبة من ابنائها وعقولهم . واكثر هذه النخبة من ابناء الشرق العربي من اواخر القرن الماضي الى اواخر الربع الاول من هذا القرن ، يشهدون بأن المقتطف كان « معلمهم » ومن هنا أطلقوا عليهِ « المعلم الثاني » باعتبار ارسطوطاليس « المعلم الاول »

هذا العمل العظيم الذي لا يتسع الوقت الاّ لوصفهِ بإيجاز ، ما كان في الاستطاعة لولا تلك الفضائل الاساسية في خلق الرجل الذي وقف حياتهُ عليهِ ، حبٌّ راسخ للعلم وللخير العام ، وشارة لا تسترخي ، وتحقيق وتدقيق لا يحرفهما التسرع في المعالجة . وهذه مناقب تتصل بخلق الرجل بعد ان لمحنا ناحية من ذهنهِ

والعظمة في الرجال ينظر اليها من ناحيتين ، من ناحية النفع الذي تسبيهُ الامة التي ينتمون اليها وسائر الامم من بعد . ومن ناحية السمو والنبل في حياتهم الخاصة وعلاقتهم بالناس

أما الناحية الاولى في حياة الدكتور صروف ، فتمثلة في ما أصابهُ « المقتطف » والدكتور صروف نفسه ، من مكانة عند كبار الامم الغربية من ملوكها وأمرائها الى وزرائها وعلمائها وكتابها ، وعند فريق غير يسير من علماء الغرب ، وما أسداه من خدمة الى تحرير العقول وتثقيفها ببسط العلوم الحديثة والحثّ على الأخذ بها وبطرائقها . وحسبي ان أشير هنا الى عبارة وردت في خطبة توفيق رفعت باشا رئيس لجنة عيد المقتطف الذهبي الذي شمل برعاية المغفور لهُ الملك فؤاد الاول قال:

«وأنهُ وان أتيح لبيروت ان كانت مهد طفولة المقتطف ومبزغ قرن شمسهِ، فان لمصر ان تفخر بأنها مهد إيناعهِ بإيقاعهِ ، ومرقاة اكتماله باكتماله، وما تصيرهُ في الشرق الى الخمسين ، الاّ ناحية يؤبه لها ونادرة يلتفت اليها . وان مصر وهي المتعطشة الى استعادة مجدها العلمي الذاهب لازال جيدة التربة طيبة المنبت كريمة الجوهر . فكلما حيّاها صيّب او جادها غيث انتشوشبت وتألق جوهرها . فأصحاب المقتطف قد شمّروا عن ساعد الجدّ وجعلوا الى غزارة المادة مضاء العزيمة في إخصاب هذه التربة الجيدة... ان مصر الشاكرة دائماً من يعاونونها في شؤونها تناصرت على معاضدة المقتطف بنشره في دور العلم ومعاهد التعليم ... عمّره الله للعلم الى مئين السنين ونضّر الله وجه ذويه »

ولا يتسع المقام لاقتباس عبارات موجزة من أقوال سائر الخطباء والشعراء في عيد المقتطف او في حفلة تأبين الدكتور صروف . ولعلَّ قول المغفور لهُ حافظ ابراهيم

إني قرأتك في الكهولة والصبا وملأت من ثمر العقول وطابي
وقول شوقي : مشينا يوري علمها وبيانها فلم نشر الا في شعاع شهاب
وعشنا بها جيلين قمت عليهما معم نشيء او إمام شباب

يعبّران عما في نفوس الوف من ابناء مصر وسوريا وفلسطين والعراق حيال المقتطف

واما الناحية الاخرى من حياة الدكتور صروف فهي الناحية الذاتية وقد كان في مناقبه العقلية والخلقية على ما وصفهُ الامير شكيب ارسلان : « مما لا أجده الا في النادر الأندر من البشر . ولاشك انهُ اذا كان أعلى أفقٍ من الناس متصلاً بأقرب أفق من الملائكة فيكون فقيدنا مليب الذكر في الفوج الاول من الآدميين الفارطين الى ذلك الأفق العالي »

فقد أفنى الدكتور صروف اطيانا كان يراها كلها في المقام الثاني بعد المقتطف وما كان ينفق عليها من العناية والوقت عشر معشار ما ينفق منهما على هذه المجلة التي كان يحبها كولده ولا يهنأ لهُ عيش الا اذا تم عمله فيها على الوجه الاكمل وأتيح لهُ المحافظة على رسالتها العلمية الرفيعة

وكان مثلاً حيًّا للتسامح المسيحي وله في ذلك نوادر يصح ان تجري مجرى الامثال منها ان خصماً صحفيًّا مشهوراً في اشتداد حملته على المقتطم جاء — وقد نفد الورق من مخزنه — يطلب ملفات ورق لطبع جريدته من مدير المقتطم. فلما سئل الدكتور صروف في ذلك لم يزد على قوله « ان جاع عدوك فاطعمهُ وان عطش فاسقه ....»

وكان مستقيم كالرمح لا يحيد عن الصدق في القول والعمل قيد شعره. جاءه يوماً رجل عزيز عندهُ وطلب منهُ وساطة عند وزير على أن لا يعلم الوزير ان هذا الرجل في القاهرة . فقال الدكتور صروف « لا استطيع ان اقول غير الصدق . سافر من القاهرة وأنا ابلغك مايتم »

وكان وديع النفس لا يأنف من مقابلة اصغر الطلبة ومحادثتهم وارشادهم وتقبل آرائهم اذا كان فيها صواب، وعندي عشرات من الامثلة على احداث اتوه متهيبين فخرجوا من مكتبه وكأنهم خارجون من حضرة والد حنون . وقد حدثني أحد الكتاب المشهورين بأنهُ رأى، وهو شابٌّ، مأخذاً على بعض ما نشر في المقتطف فذهب الى مقابلة الدكتور صروف وهو يقدم رجلاً ويؤخر اخرى فأحسن وفادتهُ وقبل نقدهُ ونشرهُ فكان ذلك الحافز الاول الذي دفع صاحبنا الى المضي في الكتابة . وكان ابيَّ النفس لا يرضى عن الاباء والكرامة بديلاً. جاءهُ مدير اعماله يوماً وقال لهُ اذا حدثت فلان في القضية الفلانية فقد نوفر مبلغاً لا يستهان به . فقال اخشى ان لا اصيب عندهُ ما يرضيني . كام الخسارة المقدَّرة .... لتكن من حساب مما خسرنا او كسبنا

وكان وطنيًّا صادق العقيدة منزهاً عن الاهواء ، اشترك في شبابه في الحمية الثورية الاولى في لبنان ، على ما حدثني بذلك الدكتور عمر ، وكان من اشدّ اعضائها حماسة ، وشارك

مصر في نهضتها فكان لا يقول إلاّ ما يراهُ صدقاً وخيراً ، فكان صديقاً مقرباً من جميع أقطاب فرقها السياسية بلا استثناء

وكان يؤمن بالحياة الأخرى إيماناً فلسفياً وكثيراً ما كانت الفلسفة مشكاة وسبيلاً الى كشف الحقائق . ولذلك كان الدكتور صروف يحاول ويتمنى أن يتاح لهُ اثبات الحياة الأخرى عن طريق العلم

هذا بعض ما أتيح ذكره في هذا الحديث . وبقيني انهُ عاش خمساً وسبعين سنة لم يأت اثماً وهو يعلم انهُ آثم ، ولم يضرَّ أحداً وهو يعلم انهُ يضرُّ ، بذل حياتهُ كلها للخير الخاص والخير العام . وان عناية محطة الاذاعة الفلسطينية باحياء ذكراهُ وذكرى غيره من العاملين لدليل على ان العلم والفضيلة اذا اجتمعا في رجلٍ ، فالزمان لا يمسح على اسمهِ او سيَر حياته خيوط النسيان . وفي هذا عبرة لنا نحن أبناء هذا العصر الذي يكاد يكون مصروعاً بجنون السرعة والثمر المعجّل . ان طريق الخلاص انما هو في العود الى الفضائل الاساسية التي أثبت اختبار البشر خلال الوف السنين انها « الاشياء الباقية »

كلمات للدكتور صروف

فضائل الحرب والسلم

الفضائل التي يدعي أهل الحرب ان الحرب توجدها او تمكنها في النفوس كالشجاعة الوحشية والجرأة والاقدام وتحمل المتاعب والمصاعب والصبر على المكاره وعدم المبالاة بالخسارة مهما كبرت وعظمت ـ كل هذه وغيرها ليست أعظم من الفضائل التي يوجدها السلم . فالشجاعة الادبية لا تقل منزلة عن الشجاعة الوحشية والاقدام على الاعمال الكبيرة ، اوقع في النفس من الاقدام على خوض ميادين القتال لأن الانسان يكون مدفوعاً في الاول بعامل التعقل والتبصر وفي الثاني بسورة الزهو والطيش . وليس أحد يقول ان الجنون خير من العقل . ورواد الحضارة الذين يجتابون البلدان المظلمة لنشر لواء الحضارة ويعانون المشاق والاهوال في سبيل ذلك خير من الجنود الذين ينفقون اعمارهم في خوض ساحات الحرب وميادين القتال . والعالم الذي يحاول جل سر من اسرار الطبيعة او اكتشاف دواء لداء قتال قاضياً ليلهُ ونهارهُ في البحث والتنقيب والتجربة والاختبار صابراً على فشل امانيه مرة وحتية مساعيه اخرى لأرفع مقاماً وأعلى منزلة في عيون الناس من اي قائد كان . فذانك الاسكندر وارسطو ، ونابليون وباستور ووجه التفاضل بينهم لا يخفى على احد

المثل العليا

في الشعر

لعبد الرحمن شكري

كان من خصائص نهضة الاحياء التي حدثت في اوربا بعد العصور الوسطى البحث والتقصي والطموح الى العرفان واختبار الحياة في حالاتها المختلفة وكشف خفاياها وقد ظهر اثر ذلك في الشعر وفي آداب عصر الاحياء على وجه التعميم وقد ازدهر هذا العصر في عهد الملكة اليصابات في انكلترا وظهر اكبر شاعر عُرف ببحث النفوس ووصف احاسيسها وخواطرها على طريقة شعر القصص التمثيلية وأعني به شكسبير ويصح ان يسمى هذا العصر العصر الرومانتيكي الاول فقد قضى على التزام محاكاة المذهب الكلاسيكي [1] القديم في القيود التافهة وكانت تلك المحاكاة قد قضت على روح المذهب الكلاسيكي الحقيقي بمغالاتها في اتباع ظواهر الامور دون حقيقتها وكان في بعض حرية آداب الرينسانس (عصر الاحياء) شطط في اصول الفن فلما جاء عصر النقد الفني وجدت جذوة عصر الاحياء عادت النفوس الى محاكاة طريقة الاقدمين الكلاسيكية في عهد راسين وكورني وأشباههما وذاعت هذه الطريقة في القرن الثامن عشر وهو عصر النقد والمنطق والاباقة الشكلية بين رواد الفنون الا ان نهضة القرن التاسع عشر في اوربا أوجدت حرية وروحاً هما شيمان بالحرية والروح اللتين كانتا في الآداب في عصر الرينسانس عصر الاحياء والتجديد الاول فذاع المذهب الرومانتيكي في آداب الفنات وتشعب شعباً كثيرة. وكان من خصائصه ايضاً البحث والتقصي واختبار الحياة وكشف خباياها والطموح الى العرفان وهذه هي المُثُل العليا في ذلك المذهب الرومانتيكي. وقد كان فاوست بطل قصة جوتي في العصر الرومانتيكي الثاني هو بطل قصة فاوست تأليف مارلو الشاعر الانكليزي المعاصر لشكسبير. ولم يأت هذا الاتفاق عفواً، بل كان اتفاقاً بين العصرين في المُثُل العليا وأعني بها الرغبة في كشف خبايا الحياة واختبار أسرارها والطموح الى العرفان ومصادر القوة فيها وكلا الشاعرين يعترف بما في هذه المثل العليا من خطر قد يؤدي الى شر كما ظهر في حياة فاوست بطل القصة ولكن

---

(١) كان يجانب احتذاء ومحاكاة المذهب الكلاسيكي في اواخر القرون الوسطى مذهب شعراء الرومانس والتروبادور وهذا كان في الحقيقة مبشراً مبكراً جاء يبشر بنهضة الاحياء

هذا لا يمنع من عد هذه المثل العليا ايضاً منبع الخير ووسائل الرقي في الحياة. وقد كان الطموح الى العرفان والقوة وكشف خبايا الحياة ومعالجة اسرارها المثل الاعلى ايضاً في كل حضارة قديمة او حديثة ولولا ذلك ما قامت الحضارة في عهد قوتها وعهد ازدهارها في حياة البابليين او المصريين او الاغريق أو الرومان او الفرس او العرب. وظني ان اتفاق روح أدب جوتي وبيرون في هذه الامور كان سبباً من الاسباب التي قربت بين الشاعرين وادت الى العطف والتآسل على اختلاف طريقتيهما وتفاتيهما في امور اخرى فان أدب جوتي يعبر عن هذا الطموح الى القوة والعرفان في فاوست كما يعبر عنها في ولهلم مايستر بمعالجة الحياة ومزاولتها والتثقف بما في هذه المزاولة من ثقافة وبيرون ايضاً يعبر عن تلك الروح الثائرة الطامحة الى القوة والعرفان والى كشف خبايا الحياة بمزاولتها والتقلب في وجوهها وليست رحلات تشايلد هارولد ودون جوان واختبارهما للحياة في احوال مختلفة وإباؤهما الاستقرار على حالة واحدة الا مظهر تلك الروح التي ابتت في اوربا جميعها في القرن التاسع عشر ولعل هذا هو السبب في ولوع غير الانكليز من الاوربيين بشعر بيرون اكثر من ولوعهم بشعر غيره من الشعراء الانكليز وهذه الروح شائعة في شعره كله فهي في قصة كين ومانفرد وورنر ومازيبا وغيرها. وقد عبّر شلي ايضاً عن هذه الروح التي كانت أساس صداقتهما، عبر عنها، في قصة (روميث الطليق) و(الاستور) وغيرهما وقد استشهد العلامة وايتهد في كتابه (العلم في العالم الحديث) بفقرة من شعر شلي للدلالة على انه كان مولعاً بتقصي حقائق العرفان بالرغم من اسلوبه الخيالي. وهذه المثل العليا كانت شائعة ايضاً في شعر تنيسون وبروننج وفي قصص إبسن الكندناوي او قل هي أساس الآداب الاوربية الحديثة بالرغم من اختلاف مظاهر مذاهبها حتى ان الرمزية في اول امرها قبل أن تُطلَب الرموز لذاتها واللذة التأمل فيها كانت تستخدم لتوضيح هذه المثل العليا فإبسن في قصة (براند) يرمز الى تسلق براند للجبل وحثه القوم على التسلق. وشلي في قصيدة (الاستور) يرمز بركوب الاستور البحر وانطلاقه فيه الى الرغبة في كشف خبايا الحياة والكون وكشف المجهول من اسرارهما وقبلهما كان جوتي ايضاً يستخدم الرمزية على الطريقة المسماة (الليجوري)

وقد تأثرت عند دراسة هؤلاء الادباء والشعراء بهذه الروح واعني روح الطموح الى العرفان وكشف خبايا الحياة والتمست معيناً على ذلك في كل ناحية من نواحي الآداب التمستُ في وصف شكسبير وبروننج للنفوس، وفي وصف النفوس والحياة في قصص كبار القصصيين، وفي كلمات المفكرين في كلمات قصيرة، كما التمستُ في الخيال الروماتيكي الطليق الذي يعبر عن هذه الروح على الطريقة الخيالية الروماتيكية. وهذا هو السبب في ان جانباً من تولي يمثل الخيال وجانباً آخر يمثل التحليل

النفسي ومظاهر النفوس في الحياة لا على طريقة اميل زولا والمذهب الطبيعي فليس في اميل زولا تحليل للنفوس ولا خبرة بحكمتها وفلسفتها بل على طريقة شكسبير وبروتنج في الشعراء ودكنز وثاكري وبلزاك وانا تول فرانس وفلوبير وموباسان وتلستوي وترجنيف وغيرهم . وقد ظهر الجانب الاول اي جانب الحيان الروماتيكي الذي يصف الطموح النفساني في قصائد عديدة منها قصائد الباحث، والابد في ساعة، والكونين، وابناء الشمال، وشهداء الانسانية، والعصر الذهبي والمثل الاعلى، والى المجهول، ومصارع النجباء، والبطل المنتظر، وثورة النفس، وجهاد المصلحين، وصيحة المصلح وسنة العيش وغيرها فمن قصيدة الابد في ساعة : —

آه من لي بساعة أتقصّى كل معنى فيها وكل بيان
ساعة أجرع الحياة رحيقاً ثم أظمى لسؤر ما في الدنان
ساعة اجتني الوجود وما كا ن وما قد يكون في الاكوان

ومنها : —

انا فيها كالعيش والموت والدهـــر وحكمي وحكمها سيان
أنا فيها أقوى من العيش والمو ت وأقوى من محكم الايمان
احمل النفس في يدي مثلما يد لف في الحرب فارس بسنان

ومن قصيدة بين الثريا والثرى :—

كأننا قد قطعنا الدهر نهباً من الآباد للازل القديم
وحوّلنا العوالم كأس لب حسوناها ولم تك من كروم
ولم نبأ بما تخفي الليالي ولم نخش المنية في الهجوم
وأسلفنا الزمان نعيم عيش ولم نحذر مقاضاة الغريم
وكنا في ائتلاف الشمل نحكي نظام الشهب والدر النظيم

وقصيدة شهداء الانسانية وموضوعها ان شهداء الحياة والعلم والاصلاح يزدحمون على باب الحياة ويسألون كل حالك هل تحقق الخير الذي بذلوا حياتهم من اجله فتدركه الحيرة ايكذب كي يدخل على قلوبهم الاطمئنان ، ام يصدق فينجعهم في آمالهم ام يغريهم بالصبر الطويل كسير الاحياء، ام يغريهم بالعودة ان استطاعوا الى كفاح الحياة. ومنها : —

فيا عيش الورى ماذا تراه يقول لهم اذا الفي مقالا
ومنها : — يقول لهم اذا استطعتم عودوا دفعاً للتوائب او صيالا
وكم من نفسة لولا شقاه قديماً لم تكن إلاّ وبالا
فكم خير الاوائل من شقاه فنلنا من شقائهمُ نوالا

ومن قصيدة النشوء والارتقاء : —

بعقل يلمح الشمس واقصى الكون عرفانا
وجدتَ لكل ما كان من الاكوان ميزانا
كأنك خالق الخلقين اكواناً وازمانا
وسخّرت الرياح مطية والبرق فرسانا
وقد أعليتَ عمراناً وقد قدّستَ اديانا

الى:—

وفقتَ الطير والحيوان آثاماً وأشجانا
وزنت الذرة الصغرى وما اعددت ميزانا
لعيشك كي يكون العيش إسعاداً وإحسانا

وقصيدة العصر الذهبي وقد اولع الناس من قديم الزمن بالتفكير في عصر الامنية السعيد عصر الخير العميم الشامل فبعضهم كان ينشده في الزمن القديم ويبكي انقضاءه وبعضهم ينشده في المقبل من العصور. وكثيراً ما استخدم اهل الحرص شعاره لنيل اطماعهم واقتياد الناس بذلك الشعار. وكثيراً ما علق الناس بكلاله حتى اذا تحكموا ساروا على نهج الطغاة وهو مثل عالٍ لا نحلو الحياة الا به ومنها : —

عصر السلام تحية وسلامُ خلعتْ عليك رجاءها الاقوام
من كل عصر في نسيجك لُحْمَةٌ ألاجل صنعك تدلف الاعوام

ومنها :

تتبر المُثُلُ التي شاقتهمُ تتبدّل الآمال والاحلام
حسْبُ الورى من حسن عهدك قدوة علياء ما إنْ شانَها استبرام
ما فاتهم طب الطبيب وانما تتباين الارواح والافهام

ومنها : —

واذا العبيدُ تحكموا في قتة ساروا على نهج الظلوم وضاموا
أترى العبيد يابلٍ وبطيئة اغرتهمُ بكمالك الآلام
لو انهم ملكوا لعافوا ملكاً يدني اليك وطاشت الاحلام

وقصيدة قوة الفكر في تقديسها وقد قيلت على لسان حالها . ومنها : —

ألوي برب الفكر عن ذويه وأذهلُ العازم عن اخيه
طوراً وطوراً راحة وسلما اجير عظماً وأهيض عظما

ومنها :—

ورب غرٍّ كان عبد غره زوّدته من خبره وشره
كان صغيراً فغدا عظيما كان يرى عيش التصى ألما
رفعته عن لذة وألم فصار ناراً أضرمت في علم
مشتهراً بين الانام مُعلّما مبغّضاً طوراً وطوراً مُكرَما

ومنها :—

كم حقبة قد اختبرتُ فيها وكان طعمي قبلها كحريا
اقوى على الايام والدهور كما صفت عتيقة الخمور
والناس قد غرهمُ خودي وهم على غرتهم وقودي

وقصيدة (الشباب) توضح ان مستقبل الانسانية رهن بطموح الشباب الى المُثُل العليا وبان يحاول ان يقهر طاغوت الامور وجبروتها وأنْ :—

يستنفذ الازمان من عبث الورى ويُطهّر الاجشاء من ادران
ويذلّ طاغوتَ الامور فيحتذى شرعُ الحياة شريعةَ الرحمن

وقصيدة (نحو الفجر) وقد جُعل الفجرُ في آخرها رمزاً لآمال الانسانية :—

وامّلتُ للدنيا صباحاً مؤجّلا سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر
فكل صباح رمزهُ ومثاله ووعد به يحدو الى الزمن النضر
نُسَرُّ بنجاهُ وان لم تكنْ لنا وتنشدهُ فيما يكون من الدهر

وقصيدة (الباحث) او الباحث الازلي تعبر عن هذه الروح روح الطموح الى الترقان وكشف خبايا الحياة والشيخ الخالد فيها رمز الى روح الانسانية التي تختبر الحياة دهراً بعد دهر وحالاً بعد حال ومنها :—

همتُ يوماً من فريق الشد الحق لسعي اراه في الدهماء
كلما لاح شامخ قلت ان الحق يغدو من خلفه بازائي
ورعيتُ الظلماء علّني أراه خارجاً من سرائر الظلماء
وجزعت الصحراء ارجو لقاه منهُ يُرجى في وحشة الصحراء
ولكم غُصتُ في العباب عليه انما الدر منهُ في الاجشاء
وأثرتُ الاصداء أبغي جواباً لسؤالي في منطق الاصداء
وسألت الرياح عنهُ فصمّتْ عن دعائي فلا تجيب دعائي
وسألتُ السماء تبرز وجهاً منهُ يبقى في الأفق جم الضياء

وأعارتني الطيور جناحاً ارتجي منه لقية في الفضاء
طالما خاب ناشد الحق لكنْ رجائي كما عهدتُ رجائي
قد يجيء الصباح منهُ بوجه طالما كان مضمراً في الخفاء
او تبين الاحلام منهُ ضياء في سماء الآمال مثل ذكاء

الى : —

أنشد الحق بالتقلب في العيش وأبغي سريرة الاشياء

وقصيدة (المثل الاعلى) تصف ذلك الطموح بخيره وشره فانهُ قد يكون سراباً خداعاً وقد يكون ماء

طوراً كما رقص السراب وتارة يُشفَى به من غلة وأوام

وقد تسوق الرغبة في تحقيقه الى الآثام : —

ولطالما خاض الفتى من أجله كيما يكون زواخر الآثام
أقسى القساة من استبدَّ به الحجا فتنكّبا عن السرات والآلام

وفي بعض الأحايين يمنع الولوع بمثاله من معرفة الحياة واختبارها ومعالجتها فيصير قذى في العين واختلالاً في العزم وسقماً في الرأي والنفس : —

ولقد يعود قذى يصيب به العمى فينال من عزم ومن إقدام
كالثار يهلك حرها وضباؤها يُمشي وفيها من هُدَى وقرام

فان نبذ مثل الكمال العليا يؤدي أيضاً الى الشر : —

والمرء إن نبذ الكمال وهديهُ شقَّ العصا وأحلَّ كل حرام
ورأى الآثام فريسة مذخورةً لموفقٍ في شرّه عزّام

وخيال المثل الاعلى من العقل والعقل حقيقة الحقائق : —

ما في الوجود حقيقة غير الشهى فاطمح بنفسك للذرى والهام
أتنال اوهام الحقائق قائماً وتعاف خير حقائق الأحلام
والعيش انْ لم تبغِ فيه لطيفة فالعيش حُلْمُ طوارق الاعوام

ولا تعظم النفس الاَّ بالمُثُل العليا : —

والنفس إمَّا شئت كانت عالماً يسع الدنى في طوله المترامي

ولا يستطيع المرء ان يرفض المُثُل العليا لانهُ يعرف حدود رقي الانسانية في المستقبل : —

لو كنتَ تعرف قدرَ مقبل علمها او جهلها لكشفتَ كل تمام

والمرء يُضْمِرُ للبعيد مهابةً فاذا دنا ألْفَاهُ حظَّ طغام

وهي قصيدة طويلة يُنْظَرُ فيها الى نشدان المُثُل العليا نظرات مختلفة متعددة كهذه النظرات وامثالها. وقصيدة (الى المجهول) تصف طموح النفس الى كشف خبايا الحياة ومغاليق الأمور فهي ايضاً تمثل الروح الحديثة في الادب ومنها: —

قد ثار ثائر نفس عزَّ مطلبها وطار طائر لب في مرابيهِ
كالنسر لا حاجب للشمس يردعهُ ولا الصواعق والارواح تثنيهِ
وانتَ كالليل والافهام حائرة مثل العيون علاها مثك داجيهِ
ليلٌ مهيب كموج البحر حندسه تكاد تسمع منهُ صوت طاميهِ

وقصيدة (ثورة النفس) تعبر أيضاً عن هذه الروح. ومنها: —

ويا حسن ما تُمْلي الخيالات انها خَلِيٌّ على جيد من الدهر أجربُ
تُريدين أنَّ الجسم يغدو كأنما يضيء به مثك الضباء المحجَّبُ

ومن قصيدة (الشاعر وصورة الكمال): —

صورة حسن صاغها لهُ وحدُّها في الحسن حدّ الكمالْ
يعد نحو النجم كفاً له ويحسب النجم قريب المنالْ

ومن قصيدة (جهاد المصلحين): —

خليليَّ هذا الكون من أولياتهِ أأصلحهُ في العاملين طبيبُ
وكم من نفوس سامیات أذلَّها فعادت بادناس الحياة تطيبُ
ترى دنس الاشياء رؤية آلف يرى ان احلام النفوس لنوبُ
يرى ان خير الكون ما هو كائنٌ ووحيَ النفوس السامیات مريبُ
ويحسب ان الشر ضربة لازب وان أساليب الحياة ضروبُ
ويصح في مجرى الحوادث ريثة عجوب به الايام حيث نجوبُ
ويطفىء نور النفس حتى كأنما دواعي النفوس السامیات عيوبُ

وقصيدة (الكونان) في وصف الطموح الى حياة ارقى من الحياة وعيش ارقى من العيش: —

خارجاً منهُ مثلما تُخْرِجُ الليلةُ الضُّحَى

فروح البحث والتقصي والطموح الى كشف مغاليق الحياة والخليقة والى المثل العليا للحياة هي الروح الغالبة على المذهب الرومانتيكي وهي الروح التي تأثرها وتأثرت بها وهي شائعة بمقادير مختلفة في اكثر ما نظمت

بحث في فصلين

اللجلجة في الكلام

واستخدام اليد اليسرى

دراسة من التجارب الشخصية

للآنسة زينب الحكيم

اللجلجة او التلجلج في اللغة معناه التردد في الكلام — يقال : الحق أبلج والباطل لجلج أي يتردد من غير أن ينفذ . وهذا هو المعنى الذي نقصده فيما سنذهب اليه من شرح وإيضاح في هذا المقال . وقد يشمل هذا المعنى أيضاً ، العقدة والعقلة وهي التواء اللسان عند إرادة الكلام ، وكذلك الحبسة وهي تعذر الكلام عند إرادته . قال تعالى . « رب اشرح لي صدري ، ويسّر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي »

اما (التتة) في اللسان وهي أن تصير الراء غيناً أو لاماً ، والسين تاء مثل : — فلحة أو فتحة عوض فرحة أو أشكت بدل أسكت (والتمتمة ، والفأفأة) وهما التردد في التاء والفاء هذا وامثاله مما سنوضح الفرق بينهُ وبين اللجلجة ، إذ هناك فروق جوهرية بين هذه النقائص الكلامية والعوامل المؤدية إلى كل منها. ولقد دعاني إلى دراسة هذا الموضوع المهم ، ما شاهدتهُ بنفسي في نظارتي لروضة الاطفال من خطر يتهدد أطفالنا وهم لا حول لهم ولا قوة

وقد صادفتني حالات كثيرة دقيقة ، أمكنني إصلاح بعضها ، واستعصى اصلاح البعض الآخر من أشق الحالات التي صادفتها ، طفل يستخدم يده اليسرى في الكتابة

انتظم هذا الطفل (محمد) بالروضة ، وهو في الرابعة والنصف من عمره ، وقد كان طفلاً صحيح الجسم والعقل مبدئيًا ، سليم النطق واضح الكلام. وضع الطفل في فرقة خاصة لسبعة عشر طفلا كلهم من سن واحدة ، قبلوا في المدرسة بالاستثناء لصغر السن ، وسمي فصلهم (السنة الأولى جيم) — وقد هيأت هذه الفرقة فرصة ذهبية لعمل التجارب التي أردتها ، فكنت ألاحظ كل طفل فيها ملاحظة دقيقة دون علم منهُ ، وكنت ألاحظ الفصول الاخرى بالدقة نفسها التي أولتها للفرقة المخصوصة ، لكي أرى الفروق التي يحدثها التعليم على أساس برنامج متحد ، في أطفال من أسنان متفاوتة

فدخلت مرة فرقة « السنة الاولى الف » وعمر أطفالها خمس سنوات وبضعة أشهر، وكان عددهم ثلاثين طفلاً ، وكان الدرس مجاء عربيًا وكتابة أحرف الكلمات التي يتلفظها الاطفال فلما جاء دور الكتابة قالت المعلمة : —

والآن يا أطفال ليمسك كل منكم طباشيرته ويكتب على لوحه الاحرف المكتوبة على السبورة. انظروا إليّ ، هكذا يكون امساك الطباشيرة ، وأمسكت أصبع الطباشير بيدها اليمنى مواجهة الأطفال فاكان من الأطفال جميعاً إلاّ أن مسكوا طباشيرهم باليد اليسرى المواجهة تماماً لليد المعلمة اليمنى وهنا لم تدرك المعلمة عكس موقفها بالنسبة للأطفال ، كما لم تلاحظ أية يد يستعملون . . . وللقارىء أن يتصور حدوث هذا في كثير من المدارس ، لولا يقظة بعض الناظرات أو بعض أهالي الأطفال وشكواهم مما يشاهدون في أطفالهم ، وحلهم من استخدامهم اليد اليسرى . وهنا يصح أن اسأل . هل الأعسر أحط في شيء من الأيمن ؟ الجواب سلباً ، كما دلّت التجارب المتقنة — التي قام بها الدكتور « في أدورد » في احدى جامعات اميركا ، والدكتور « حفنر » الأستاذ في جامعة كولمبيا في نيويورك ، إذ اختار الأخير ثمانية وستين زوجاً من الاولاد يتحد كل زوج منهم في السن والسلوك والنشاط والمزايا الخاصة والجنس ، ولا فرق بينهما مطلقاً سوى أن احدهما أعسر والآخر أيمن . امتحن كل زوج على حدة ، وراقب يديه مراقبة دقيقة فلم يتبين بينهما اختلافاً ، حتى ان المؤثرات الخارجية كان لها تأثير واحد في ميول الفريقين . فنشاطهم متشابه وانفعالاتهم متساوية . وإنما بدا لهُ أن الأعسر كان اكثر مرونة في بعض الأحيان وألين في موافقة نفسه للبيئة التي يوجد فيها من الذي يستخدم يده اليمنى . من هذه النتائج لا نرى داعياً لهلع الوالدين اذا ما كان أحد أولادهم أعسر أعسا التي يجب أن يتخوّفوا منهُ هو ما يحدث من نتائج سيئة بعد محاولة تغيير طفل من استخدام يسراه يمناه إذا كانت هذه طبيعتهُ . واذاً فليعلم الآباء والأمهات أن المعارضة القاسية لرغبة الطفل الفكرية في استخدام يسراه لا تفيده ، بل تضره إذ تفقده الموازنة وتسبب لهُ اضطراباً قويًا في جهازه العصبي وتجعله قلقاً . وسنشرح أسباب ذلك بالتفصيل مستقبلاً

دخلت الفرقة المخصوصة لأرى نفس التجربة مع أطفالها ، ولا أبالغ اذا قلت أن الخطأ نفسه وقعت فيه معلمة أخرى ، إلاّ أن بعض الأطفال لم يستخدموا ايديهم اليسرى ، بل استعمل بعضهم اليد اليمنى ، والبعض الآخر استخدم اليد اليسرى . بحثت عن سبب هذا ، فوجدت انهُ ناشيء عن ضعف انتباههم بالنسبة لاطفال السنة الأولى الف ، وذلك يرجع الى الفرق الذي بين أطفال الفرقتين في السن . (وليعلم الآباء والمربون ، أن أقل اختلاف في السن بين الأطفال يحدث فروقاً لا يستهان بها بينهم)

أمكن اصلاح حال معظم الأطفال ، لأن استخدام أيديهم اليسرى كان حادثاً طارئاً ، أما الأفراد القلائل الذين كانت حالاتهم شاذة فتحسنت حال بعضهم بعد علاجات اختلفت مددها وأما الذي استعصى أمر علاجه ، فكان الطفل (محمداً) — فلم يكن تغيير استخدام يده اليسرى ممكناً ، وقد ضجّ والداه بالشكوى من حالته ، فتفاهمتُ معهما في أمره ، واجتهدت ان أقنعهما بترك الطفل يستخدم يده اليسرى لان ذلك استعداد فطري فيه ، فلم يقتنعا . فسألتهما هل في أسرة الطفل أفراد يستعملون أيديهم اليسرى ، فأخبراني بأن له جداً على قيد الحياة يستخدم يسراه في الكتابة ، وفي أداء معظم أعماله . وله أيضاً بعض الأقارب يستخدمون اليد اليسرى ، فوجهت نظرهما الى ان هذه وراثة قوية في الطفل ، وأنهُ يجب تركه واستعداده فنهضا ، وقالا : نرجو عدم السماح له بالكتابة بيسراه في المدرسة ، وسنشجعه في المنزل بكل وسيلة على استعمال يمناه — قلت حسناً سنفعل ما تريدان ، ورأيت ان لسير بالتجربة الى أقصى حدّ ، ونبهت المعلمات اللائي يدرسنهُ الى ان يشجعنهُ على استعمال يمناه دائماً في الكتابة والرسم وأعمال الاطفال والاكل وغير ذلك فضلن

ولكني لاحظت بعد أسابيع قليلة ان الطفل اخذ وزنه ينقص تدريجاً نقصاً يستوقف النظر ثم ابتدأ يرتبك في كلامه ، فطلبت من المعلمات عدم التشديد عليه في استخدام يمناه اكتفاء بما يلاقيه من ضغط في المنزل ، فسرّ الطفل وأحبّ المدرسة وكره المنزل وشكامنهُ كما شكا والداه من بطئه وعدم اتقانه ، فأخبرتهما بأن كل هذا نتيجة تغيير استخدام يسراه يمناه ، ورجوتهما ان يتساهلا معه فلم يقبلا . فقلت اولم تلاحظا ضعفه العقلي والجسمي ؟ ! قالا . أن ضعفه لم ينتج من استخدام يمناه بدل يسراه قلت وكلامه ، قالا : انما نشأ من خوفه لانا نرهبه كثيراً في المنزل . قلت سيتحول هذا الارتباك في النطق الى لجلجة كلامية يكون من العسير علاجها قالا وما لليد اليسرى والكلام ؟

اجتهدت ان أوضح لهما العلاقة بين تغيير استخدام اليد اليسرى باليمنى وبالعكس بقدر ما يقبل عقلاهما ، فكانا اقرب الى الشك منهما الى اليقين . وحضر اليّ الأب في الأسبوع التالي وأخبرني بأنهُ ذهب الى طبيب ماهر واستشاره في أمر ابنه ، وأكد له ان ليس من سبب طبي يمنع استخدام ابنه يده اليمنى . قلت ياسيدي طبيب الامراض الجسمية غير طبيب الامراض التعليمية ، وإني أشير عليك باستشارة عالم مختص بدراسة الاطفال . فقال من استشير ؟ الأمر ليس ذا بال ، فليستعمل الطفل يمناه مهما يكن من الأمر ، فان أمه لا يحزنها شيء اكثر من ذلك . قلت فليكن ما تريدون ، ولكني لن أسأل عن النتيجة ، فلم يمانع . وشدد الجميع على الطفل . . . فساءت حاله . وظهرت عليه الاعراض الآتية —

١ — نسي ما كان قد تعلم كتابته بيده اليسرى بسرعة وسهولة ، وصار ما يكتبه بيمناه

عبارة عن سلسلة خطوط معوجة مشتبك بعضها ببعض . ولم يستطع رسمها باعتدال على الخط المسطر أمامهُ ، بل زاغ بها الى أسفل

٢ — ظهر التلجلج في كلامهِ بشكل محزن حتى خشي ان يفقد النطق بتاتاً

٣ — أصيب بضعف هائل في الذاكرة

٤ — صار يبكي لأقل سبب

٥ — نحف جسمه ، وذبلت نضارة وجهه

٦ — كره المدرسة والمنزل والاطفال ، وكره اللعب نفسهُ

وصفوة القول انهُ صار طفلا بائساً لم ير لهُ صدراً حنوناً يلجأ اليهِ غيري ، لاني كنت أحادثهُ محادثات ودية خاصة ، كان يفضي اليَّ فيها بما يناله من ضغط في المنزل ، وشدة من المعلمات في المدرسة بسبب هذه اليد اليسرى

قلت له مرة ، واذا تركتك تستخدم يدك اليسرى ماذا تفعل ؟ قال . أحضر لك الخاتم الذهبي الذي وعدوني به اذا انا كتبت بيدي اليمنى ، قلت وهل تكره الخاتم الذي لا بد أن يكون جميلاً ؟ قال . اني اكرهه لأنه يضطرني الى استخدام يدي اليمنى التي تتعبني ، ولكنهم يقولون لي في البيت أنهُ غالي الثمن ، ويدل على أن لابسه ولد شاطر فاذا (لبسته تبقى شاطرة) فلكي أكون شاطرة أعدت الكرة في رجاء والد الطفل ليفكر من جديد في تركه (محمداً) يستخدم يسراه . ويظهر انهُ كان لرجائي بعض القبول هذه المرة ، لما لاحظهُ على الطفل (ولده) من تغير مخيف فتركه يفعل ما يريد وله الخيار في استخدام أي اليدين شاء

غير ان الفرصة كانت قد ضاعت ، ووصل محمد الى حالة تردد وارتباك في تقديم كلتا اليدين وتأخيرهما ، وتحيَّر تحيُّراً شديداً الاَّ انهُ كان لا يزال أكثر ميلاً لاستعمال يسراه

وكانت نتيجة هذا كله بقاء الطفل في فرقته للاعادة — ولم يعارض والداه في ذلك على أمل اعطائه فرصة كافية من جديد لاستعمال يده اليمنى . وأعدنا الذي مضى من التشديد تارة والمحايلة أخرى في استخدام يمناه وإهمال يسراه

صار الطفل بمستوى أقل من المتوسط في جميع العلوم التي تلقاها ، وكان ضعيفاً جداً في الكتابة والقراءة والتفكير والانتباه — الاَّ أنهُ تاسى كثيراً استخدام اليد اليسرى عند ما اقترب من آخر العام الثاني لهُ بالمدرسة ، فاستحق الخاتم الذهبي الذي وعد به ، ونقل الى السنة الثانية بالروضة مع شيء من التساهل تقديراً لحالته . على أني مع هذا لا أتوهم أن هذا التلميذ سيبز زملاءه في المستوى العلمي مهما حاول . ولعلهُ الآن بالتعليم الثانوي . فاذا رأى هذا المقال وفهم انهُ خاص به ، فرجاؤنا ألاَّ يضن علينا بتقرير عن حالته . وسنوضح في المقال القادم اسباب اللجلجة وعلاجها

طائرات المستقبل

اتجاه جديد في صناعتها

يجعل صنع ٣٦ الف طائرة في مصنع واحد في السنة أمراً ميسوراً

ان الانتاج الواسع النطاق هو الآية العصرية في صناعة السيارات الحديثة . فقد دخل كاتب هذه السطور معامل فورد في هيلند بارك بمدينة دترويت الاميركية من سنوات ، وتجوّل فيها فرأى كيف وزّعت الاعمال على العمّال المتقنين ، ثم كيف نظمت هذه الاعمال بواسطة « السير المتحرّك » وهو سير معدنيّ يسير بسرعة معيّنة ناقلاً جزءاً من اجزاء السيارة امام عدد من العمال مرتبين بحسب تدرج مراتب العمل في ذلك الجزء ، فيعمل كلٌّ منهم عملاً خاصًّا فيه ولا ينتهي الجزء الى امام آخر عامل واقف امام السير حتى يكون صنعهُ قد تمّ . ومتى صنعت اجزاء السيارة على هذا النمط وغيره في دور مختلفة من المعامل تركّب معاً على سير كبير متحرّك بالطريقة نفسها . ثم وقف الكاتب امام نهاية هذا السير الكبير فاذا السيارات وقد استوت كاملة الصنع ، تخرج واحدة اثر واحدة بمعدّل واحدة كلّ دقيقة

ولكن صنع الطائرات لم يبلغ هذه المرتبة من الارتقاء الصناعي . ففي صنع « اجسامها » قد يستغرق دق المسامير وتثبيتها في ما مساحتهُ قدم مربعة من « الجسم المعدني » اربع ساعات ويقتضي عمل عاملين . وهذا في عصر الارتقاء الصناعي مفارقة تستوقف النظر ، من شأنها تأخير صنع الطائرات في إبان السلم تأخيراً قد يتحوّل الى كارثة في حالة نشوب الحرب

ولذلك قضى الضباط والمهندسون ومصمّمو الطائرات سنوات وهم يبحثون عن وسيلة لحلّ هذه العقدة في صناعة الطائرات بحيث تستطيع المصانع ان تختصر الوقت الذي يستغرقهُ صنعها فتخرجها كما تخرج السيارات . وقد اطلعنا في مجلة السينتفك اميركان (يوليو ١٩٣٩) على ان المنافسة بين الامم الصناعية والحربية الكبرى على تحقيق هذا الغرض قد اوشكت ان تسفر عن نجاح طريقة ابتدعها المهندس الاميركي الكولونيل كلارك — وقد كان رئيساً لمهندسي الطيران في الجيش الاميركي في اثناء الحرب العالمية — بالاشتراك مع الدكتور باكلند Baekeland

المستنبط المشهور في حلبة المواد المرنة او اللجائن الصناعية Plastics وهو الذي تنسب اليه مادة الباكليت Baekelite المشهورة

والباكليت مادة جديدة اي انها لا توجد في الطبيعة ، بل مردُّها الى التركيب الكيميائي، ذلك بأن الكيميائي الألماني باير شرع في سنة ١٨٧٢ يعالج المواد التي تتولَّد من تكثيف الحامض الكربوليك والفورمالدهيد . فاذا سخنت هاتان المادتان احداهما مع الأخرى تكونت مادة عجينية راتنجية يتسنَّى صوغها أو افراغها في قوالب . ثم اذا عرضت للحرارة والضغط تصلبت تصبح كتلة براقة

وظلَّ هذا النوع الجديد من المواد مطويَّ الذكر — من الناحية الصناعية والتجارية — الى ان مزج كيميائي آخر في اميركا هو الدكتور باكلند فأتقن طريقة صنع هذه المادة العجينية وأطلق عليها اسم باكليت ، فاشتهرت شهرة واسعة لأن العالم الحديث في حاجة ماسة الى مادة عجينية يتسنى افراغها في القالب المطلوب بحرارة غير مرتفعة ثم تتجمد بسرعة فتصبح صلبة متماسكة وتحتفظ بعد ذلك بشكلها وروائها ، بغير ان تؤثر فيها عوامل الصدإ أو الاحتكاك أو الذوبان أو الحرارة . ولذلك تصنع من مادة الباكليت الآن الصواني والالواح واقلام الحبر والواح المضدات ومقابض المظلات وعلب الجواهر وعشرات غيرها من الأدوات ، وما زال البحث فيها لأتقان صنعها مستمرًّا (١)

هذه المادة العجيبة هي أساس الاتجاه الجديد في صنع « اجسام » الطائرات على انواعها ومن هنا قرن اسم الكولونيل كلارك باسم الدكتور باكلند

***

وقد انقضى الآن سنة ونصف سنة ورجال مطارات اميركا الشمالية من غرب الولايات المتحدة الى شرقها ومن جنوبها الى كندا ، يشاهدون طائرة ترمز بة اللون لا يعلمون من امرها الا انها تنقضي على سرّ . والواقع ان صانعيها نضوا سنة ونصف سنة حتى الآن وهم يجربونها في جميع الأحوال التي قد تتعرض لها الطائرات من عوامل الجو الكثيرة المتقلبة . وكان مجلس الشيوخ الاميركي يجري تحقيقاً في يناير الماضي في موضوع الاحتكار فدعي للشهادة امامهُ ابن الدكتور باكلند — وهو من طياري الحرب الماضية — فلمَّح في شهادته الى وجود

(١) راجع مقتطف يونيو ١٩٣٧ ص ١٠٧ هذا وقد بلغ انتاج اللجائن الصناعية في الولايات المتحدة الاميركية ما وزنه ١٠٠ ملايين رطل سنة ١٩٣٦ و ٣٠ مليوناً سنة ١٩٣٢ و ١٦٢ مليوناً سنة ١٩٣٧

مقدم جسم طائرة معدنية وقد ظهرت فيه مئات المسامير
التي تربط ألواحه بعضها ببعض

طائرة جديدة ، جسمها مصنوع من مادة عجينية Plastic ذات صفائح . وكان اهم ما استوقف النظر في كلامه زعمهُ ان في الوسع صنع « جسم » الطائرة من هذه المادة وتركيبهُ على هيكلها في خلال ساعتين ! وهو نصف الوقت الذي يستغرقهُ دق المسامير في ما مساحته قدم مربعة من « اجسام » الطائرات المعدنية الآن

وما تسع مكاتب الصحف هذا القول حتى بادروا الى صحفهم ينبئونها بالخبر العجيب واذا القول منشور في صباح اليوم التالي على صفحاتها الاولى بحروف ضخام . وكان كلارك عائداً من اوربا ، فأخذ الضجة التي ثارت حول هذه الطائرة العجيبة ، لانهُ شعر ان النشر لا يسوّغه مسوّغ حتى يتم تجاربهُ

ومقال السيتفك اميركان — الذي نلخص عنهُ — هو اول بيان علميّ دقيق عن هذا الاتجاه الجديد

***

شغل كلارك بموضوع صنع الطائرات ضعفاً واسع النطاق على اساس انتزاع اجسام «الطائرات» في قوالب بدلاً من وصل الواح المعدن بعضها ببعض بدق مسامير فيها ، منذ وضعت الحرب الكبرى اوزارها . ولكنهُ اضطر ان ينصرف عنهُ زمناً لأنهُ عجز عن ابتكار طريقة لصنع جسم الطائرة من نوع مرن من الخشب يلصق رقائقهُ بصمغ خاص ولأن صون الخشب من التخر كان متعذراً . ولكنهُ أعاد الكرة في سنة ١٩٣٤ بتأييد بعض رجال المال والاعمال لشعورهم ان الوقت قد أزف لانقاذ صناعة الطائرات من الورطة التي وقعت فيها ولاعتقادهم انهُ اذا لم يفعل كلارك ذلك فلا بد ان يسبقهُ اليه آخر . وكانت مصانع الجان Plastics قد اتاحت للمستنبطين والصناع مواد جديدة ربما تكون السبيل الى الهدف

ومن ينظر الى صور الطائرات القديمة ويطالع أوصافها يعلم ان قوام أجسامها وأجنحتها كان قضباناً من خيزران وحريراً مصموغاً في مادة واقية وألواحاً من خشب شجر التنوب Spruce وهو صنوبر صغير وأسلاكاً تربط هذه الاجزاء بعضها ببعض . ثم جاءت الحرب فاستعمل نوع مصطنع من الخشب يدعى Plywood [1] . ولكن الخشب على كل حال لا يصلح لهذا الغرض إذ من المتعذر وقايتهُ من التخر والقطائر والرطوبة والتقوّس والاعوجاج . وفي سنة ١٩٢٩ صنع جسم الطائرات وأجنحتها من خليط معدني ، ومعظم الطائرات الحربية والتجارية على هذا الاساس الآن . الاّ أنك اذا فحصت طائرة من هذه الطائرات المعدنية وجدت هيكلاً من الدعائم لتقويتها علاوة على أنها مصنوعة من ألواح مربوطة بعضها ببعض بألوف من المسامير . ودق

(١) وهو رقائق من الخشب تلصق بعضها ببعض بصمغ خاص أو بمادة راتنجية أو بالكهرباء

هذه المسامير وتثبيتها وانجاز صنع الجسم والاجنحة على هذا المنوال يستغرق أسابيع وأحياناً بضعة أشهر . فصنع دوغلس المشهور باميركا ، لا يستطيع ان يصنع الحمامة طائرة التي أوصت بها بريطانيا في أقل من سنة ونصف سنة مع استفاد وجاله جميع وسائل الاسراع في الانجاز

***

ولكن أنظر الى طائرة كلارك . اذا صحّ عنها كلّ ما يقال فيها فانها لا تلبث ان تجعل الطائرات المعدنية من بقايا تاريخ قديم معها يكن قريباً منا . ان جسمها مشيقٌ مالس كأنهُ من الزجاج لا مسمار فيهِ . دقق النظر في أسفل جسمها ترى خدشاً هنا وبقعة تغير لونها هناك . وسبب ذلك اصطدام الجسم ببعض الاحجار التي تقفز من تحت العجلات عندما تدرج الطائرات على أرض المطار قبل الطيران او بعده . مع ان هذه الاحجار تحدث نقراً في أجسام الطائرات المعدنية

لقد قضت هذه الطائرة ١٦٠٠ ساعة في الهواء في شتى أحوال الجوّ معرّضة للبرد والحرّ والضغط والرطوبة والمطر والبرد والثلج . دق عليها بقبضة يدك تسمع رنّة قدح من البلور سليم من أي شعب فيهِ . أدخل اليها ودقق النظر في « جسمها » من الداخل فلا تجد دعامة او سلكاً واحداً وكلّ ما تراهُ خطاً خفيفاً يدلّك على المكان الذي وصل فيهِ نصف الجسم بالنصف الآخر

***

وقد أطلق كلارك على هذه المادة التي صنع منها جسم طائرته « دورامولد » وهو لفظ اذا ترجم بمعناهُ كان « القالب المتين » . ولكنهُ اسم مادة جديدة فلنحتفظ بهِ علماً عليها . وهو يصنع بأسلوب سرّي ، من الجان التي اكتشفها باير وأتقن صنعها باكلند

ولكن « الدورامولد » ليس من الجان بحصر المعنى . لأنهُ عجينة مصفحة . والفرق بين العجينة الصمغية والعجينة المصفحة ان المصفحة يتخذ لها أساس من ليف عضوي كالخشب أو القطن ثم تشمل مادة راتنجية Resin للصق الألياف بعضها ببعض ولتغطيتها بطبقة خامدة . أما العجينة الصمغية فاساسها مادة راتنجية وقد يشمل فيها الليف العضوي أو لا يشمل لمنحها قواماً . ثم أن العجينة الصمغية تحتاج الى حرارة عالية وضغط شديد لصوغها في الشكل المرغوب فيهِ . اما « الدورامولد » فيفرغ في قالب بغير مشقة تذكر . ومن الطبيعي أن يحتفظ مبتكرو أسلوب صنعهِ بسرّهِ

ومن خواص « الدورامولد » انهُ لا يتشظى ولا يصدأ وهو مقاوم لفعل الماء والزيت والاحماض . وعلاوة على هذا كلهُ انهُ امتن من المعدن . فهو على قول كلارك اذا كان مفرغاً في شكل اسطوانة رقيقة الجدار امتن من الحديد ٤ و ١٠ الضعف ، ومن الصلب الذي لا يصدأ ٤ و٣

الضغط ، ومن خليط الالومنيوم ١ و ١٢ الضعف . ثم انهُ مركَّب من مواد رخيصة شائعة ، وفي الوسع افراغهُ في أي قالب تريد وصوغهُ في أي شكل تحتاج اليهِ

***

وطائرة كلارك هذه لم يصنع إلاَّ جسمها من « الدورامولد » . أما اجنحتها فمن الخشب واما دفتها وجنيحاتها فمن خليط معدني ، وسبب ذلك رغبتهُ في أن يقابل بين « الدورامولد » والخشب والخليط المعدني بعد اجراء تجاربهِ عليها ، وقد اثبت الخبراء الذين يشتغلون معهُ أنهُ بعد امتحان الطائرة مدى عشرين شهراً ثبت ان المادة الجديدة غاية في المتانة . وينتظر ان يصنع قريباً طائرة كل جسمها واجنحتها ودفتها من « الدورامولد »

ولما كانت الطائرة التي جسمها من « الدورامولد » ملساء ، فان مقدار الفرك بين خارجها وبين الهواء في اثناء طيرانها اقل من مقدار الفرك بين خارج طائرة معدنية وبين الهواء . ويبلغ مقدار الفرق ٧ في المائة . وهذا الفرق يزيد سرعة الطائرة ٧ في المائة بتير زيادة القوة المحرِّكة . فالطائرة التي تسير بسرعة ٣٠٠ ميل في الساعة تستطيع ان تسير بسرعة ٣٢١ ميلاً اذا كان جسمها من « الدورامولد »

ولكن اهمَّ اثر لهذا الاتجاه الجديد في صنع اجسام الطائرات هو الانقلاب الذي يحدثهُ في صناعها . ففي احد المصانع المعدَّة لهذه التجارب — من الناحية الصناعية — استطاع تسعة رجال ان يفرغوا نصف جسم طائرة كلارك في ساعة واحدة والجسم كله في ساعتين ، ثم أرسل الجسم الى مصنع آخر حيث ركِّب تامًّا فاستغرق تركيبه خمس ساعات وثلث ساعة ، لا يَردُّ ولا نقر ولا دقَّ . وقدِّم هذا العمل ، والبحث ما يزال في طور التجربة . ولا ريب في ان اتقان العمل يفضي الى نقص الوقت الذي يستغرقهُ

***

وغنيٌّ عن البيان ان تأثير هذا الاتجاه من الناحية الحربية عظيم ومن المتعذر المبالغة فيهِ . فمصانع الطيران في المانيا تضمُّ ١٦٠ الفاً من العمال يضاف اليهم ٢٤٠ الفاً آخرين في مصانع اجزاء الطائرات والالواح المعدنية . ولكن استعمال « الدورامولد » يغني متى اتقن ، عن معظم هؤلاء . فاذا كان احد المصانع يحتوي على عشر مجموعات من القوالب لجسم الطائرة واجنحتها ودفتها استطاع ماتتا عامل في مصنع لا يزيد على بناية كبيرة ان يخرجوا ٣٠٠ جسم طائرة في الشهر . واذا كان في المصنع مائة مجموعة من القوالب استطاع الفا عامل ان يصنعوا ويجمعوا أجسام ٣٦ الف طائرة في السنة

محمد شاكر

شوال سنة ١٢٨٢ — ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦
مارس سنة ١٨٦٦ — ٢٩ يونيه ١٩٣٩

للدكتور محمد شاكر

فقدت مصرُ وفقد العالم الاسلامي كله عالماً من كبار العلماء ، ومجاهداً من أعلام المجاهدين وقف حياته على خدمة الوطن ، وخدمة الاسلام ، وخدمة الشرق — : في سبيل الله

وقد رغب اليَّ صديقي الأستاذ فؤاد صرُّوف — محرر المقتطف — أن أترجم له ترجمة موجزة فأجبتُ ، ثقةً مني أن سيقلبُ الجانبُ العلميُّ فيَّ عاطفةَ البنوة ، وقد مرنتْ نفسي على فنون الحديث والتاريخ ونقد الرجال ، وزعمتُ أني مستطيعٌ أن اكتب عنهُ تاريخاً صحيحاً ، لا غلوَّ فيهِ ولا إسرافَ ، وأني إن كتبت مدحاً أو ثناء فانما هو حقُّ التاريخ عليَّ

السيد محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر ، من آل أبي علياء ، وهم أسرة معروفة من أشراف الصعيد ، بمدينة جرجا

ولد بها في منتصف شوَّال سنة ١٢٨٢ (مارس سنة ١٨٦٦) وحفظ القرآن الكريم ، وتلقى مبادىء التعليم ، ثم رحل الى القاهرة ، الى الازهر الشريف ، فتلقى العلم فيهِ عن كبار الشيوخ في ذلك العهد . وفي ١٥ رجب سنة ١٣٠٧ (٤ مارس سنة ١٨٩٠) عين أميناً للفتوى ، مع أستاذه العظيم ، الشيخ الباسيّ المهديّ ، مفتي الديار المصرية إذ ذاك . ثم أصهر الى جدّي لأمي ، العلامة الكبير ، إمام العربية غير مدافع ، الشيخ هرون بن عبد الرازق (المولود بقرية بنجا من قرى مركز طهطا في يوم الخميس ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٤٩ والمتوفى بالقاهرة في يوم السبت ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٦ رضي الله عنهُ)

ثم ولي منصب « نائب محكمة مديرية القليوبية » وصدر الأمر العالي بذلك في ٧ شعبان سنة ١٣١١ (١٣ فبراير سنة ١٨٩٤) ومكث فيهِ أكثر من ست سنين

وكان في عمله القضائي يفكر في إصلاح المحاكم الشرعية ، بل لعله — فيما نعلم — أول من فكر في ذلك ، فقد أخبرني رضي الله عنهُ أنهُ حين كان أميناً للفتوى جاءت امرأة شابة حكم على زوجها بالسجن مدة طويلة ، وهي تخشى الفتنة ، وتريد عرض امرها على المفتي ليرى لها رأياً في الطلاق من زوجها ، حتى تتزوج رجلاً آخر ، تعصم بهِ نفسها ، فصرفها الوالد رحمهُ الله معتذراً آسفاً

متألماً ، اذ كانت الأحكام مقيدة بمذهب أبي حنيفة ، والعلماء المقلدون يأبون التفكير في مخالفة مذهبه ، بل يكادون يرون في الخروج عن المذهب أكبر المنكرات . وليس في مذهب أبي حنيفة ما يجيز للقاضي أن يطلق على الزوج المعسر أو المحبوس أو نحو ذلك . ثم عرض الوالد أمرها على شيخه المفتي ، واقترح عليه اقتباس بعض الأحكام من مذهب الامام مالك في مثل هذه المشاكل المعضلة ، فأبى الشيخ كل الإباء ، واستنكر هذا الرأي أشد استنكار ، وكان بين الأستاذ وتلميذه جدال حادٌّ في هذا الشأن ، ولكنهُ لم يؤثر في ما كان بينهما من مودة وعطف . وما زال مقتنعاً برأيه ، واثقاً بصحته وفائدته للناس

حتى كانت سنة ١٨٩٩ وقد مكث في المحاكم الشرعية نحو خمس سنوات ، وظهر على كثير من عيوبها ، وما يرهق الناس من أحكامها ، سواء أكان ذلك في التشريع المسوك به ، وهو التقيد بمذهب أبي حنيفة ، أستغفر الله ، بل التقيد بما قال علماء من متأخري اتباعه ، والتمسك بألفاظهم الحرفية ، أم كان في سوء اختيار عمالها ، من قضاة وغيرهم ، أم كان في إجراءاتها المعقدة المطولة ، أم كان في نظمها وحقارة أمكنتها ، أم كان في إعراض الحكومات المصرية عن العمل على إصلاحها ، اتباعاً لسياسة مرسومة في القضاء عليها ، تقليداً للإفرنج ولمن أشربوا آراءهم وعقائدهم ، رأى الوالد كل هذا وأكثر منهُ ، فوضع تقريراً نفيساً قدمهُ لأستاذه الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، رحمة الله عليه ، نقد فيه هذه المحاكم وقضاتها وعمالها وكل حالاتها ، وأبان عن أوجه النقص والخطأ في اللائحة التي كانت معمولاً بها في ذلك الوقت ، واقترح طرق الاصلاح تفصيلاً ، ومنها اقتباس بعض الاحكام من مذهب مالك ، في التطليق للاعسار ، وللضرر ، ولغيبة الطويلة ، وغير ذلك ، وكان ذلك التقرير فاتحة العمل الصحيح في سبيل اصلاح المحاكم الشرعية ، والرقي بها الى مقامها السامي في الاسلام . وهذا التقرير لا تزال صورته الأصلية عندنا بخط الوالد ، وقد قدمته الى دار الكتب المصرية فصورتهُ بالتصوير الشمسي ، ليكون بها أثراً علميًّا تاريخيًّا ، لمن شاء ان يرجع اليه

قدَّم الوالد هذا التقرير في اوائل سنة ١٨٩٩ وفي صيف تلك السنة طاف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده على كثير من محاكم الوجه البحري ، واطلع على سير الاعمال فيها ، ليصف لها الدواء والعلاج بحكمته ، ثم وضع هو ايضاً تقريره المشهور في اصلاح المحاكم في نوفمبر سنة ١٨٩٩ ، وهو التقرير الذي طبع بمطبعة المنار في شوال سنة ١٣١٧ (سنة ١٩٠٠) ، فاتفق رأي الأستاذ الامام ورأي تلميذه ، في كثير من أنواع النقد وطرق الاصلاح

ولكن يظهر أن الأستاذ الامام لم يجد الفرصة مواتية لاقتراح احكام تخالف مذهب الامام أبي حنيفة ، وخاصة في التطليق من القاضي ، فترك الكلام في ذلك ، وأشار في الكلام

في المرافعات إشارة عامة ، ودعا الى الأخذ بشيء من أحكام المذاهب الثلاثة الأخرى (ص ٣٨)

وأظن أن الاستاذ الإمام رأى أن يمكّن للوالد في بعض البلدان حتى ينفذ آراءه في الاصلاح ولذلك زكّاه لمنصب قاضي قضاة السودان ، وأخذ ولي الأمر بتزكية الإمام . فصدر الأمر العالي باسناد هذا المنصب اليه في يوم ١٠ ذي القعدة سنة ١٣١٧ (١١ مارس سنة ١٩٠٠) وكان ذلك بعقب انتهاء الثورة المهدية ، وعودة السودان الى حظيرة مصر مُلْكاً واحداً ، ودولة واحدة ، وإن فرقت بينهما في المظاهر مقتضيات السياسة

وكانت بلاد السودان حينئذٍ كما تكون البلاد بعد الثورات الماحقة ، هدمت النظم والقوانين والحكومة ، فكأنها كانت بلاداً بكراً ، ينشأ فيها كل شيء من ذلك انشاء جديداً ، وكان ذلك أيسر له في وضع النظم للمحاكم هناك على النحو الذي يريد ، وتنفيذ آرائه كلها او أكثرها في الاصلاح والتجديد ، على مثال لم يسبق اليه ، واقتبس في التشريع من المذاهب الاسلامية ما كانت الحاجة اليه ماسة ، مما تيسره أدلة الشريعة وفقهها الصحيح . وأشد ذلك ظهوراً للمتصلين بالقضاء الشرعي الحكم بالتطليق للغيبة والاعسار والحبس والضرار ونحوها ، مما اقتبس في مصر بالقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ ووضع كثيراً من القواعد الدقيقة الاجراءات مما اقتبس بعضه في مصر في اللائحة التي صدرت سنة ١٩١٠ فسبق السودان مصر في بعض نواحي الاصلاح بعشر سنين ، وفي بعضها بعشرين سنة

ولولا أن السياسة العامة للدولة المصرية في التشريع والقضاء وضعها ناس لا يعرفون الشريعة الاسلامية ودقائقها ، وغرّهم ما رأوا من ضعف القضاء الشرعي بضعف رجاله في ذلك العهد ، واحتكر تنفيذها ناس جهلوا دينهم فأعرض عنهُ بعضهم وعاداه بعضهم ، لولا هذا لسار في القضاء الشرعي سيرة تمكّن لهُ في البلاد أن يكون القضاء العامّ في الشؤون كلها ، من مدنية وجنائية وشخصية ، ليكون الحكم في بلاد الاسلام بشريعة الاسلام ، كما هو الواجب على كل مسلم أن يعمل لهُ ، طاعة لله ورسوله . ولا تزال آثاره في السودان قائمة ، يسترشد بها العلماء والقضاة والحكام ، ولا يزال أهل السودان — وهم أهلنا وإخواننا — يحفظون لهُ أجل الذكرى ، ويعرفون لهُ مواقفه الحازمة في خدمة البلاد ونصر الإسلام ويحفظون لهُ أنهُ لم يشغلهُ القضاء ، ولم يلهه المنصب السامي عن تعليم الناس شؤون دينهم ، بالدروس العلمية والخطب والمواعظ ، وقرأ لهم صحيح البخاري كله ، وهو أصح مصدر للسنة النبوية

***

ثم في ٢٦ ابريل سنة ١٩٠٤ صدر الأمر العالي بتعيينه شيخاً لعلماء اسكندرية فبث فيها نهضة علمية كانت فاتحة خير ، بزغ نورها في ارجاء المملكة المصرية ، وقصدها الطلاب من أطراف

البلاد ، وبث فيهم من روحه الوثابة ، فأحياهم حياة اخرى غير ما كانوا يعرفون في المعاهد الدينية

وضع أسس النظام في التعليم ، وأحسن اختيار الكتب والمقررات في الدراسة ، من العلوم الدينية والعربية وما اليها ، ومن العلوم الاخرى التي يحتاج اليها طالب العلم في ثقافته العامة ، مما يسميه الناس « العلوم الحديثة » واكثرها كان معروفاً في الأزهر يتدارسه أهله ، إنما كانت اختيارية لا اختيار فيها بفضلها إجبارية ، واختار لعونه في عمله نوابغ العلماء من الازهر ، والرعيل الاول منهم اربعة : الشيخ عبدالله دراز والشيخ عبد المجيد الشاذلي والشيخ عبد الهادي مخلوف رحمهم الله ، والشيخ ابرهيم الحبالي شيخ معهد طنطا الآن متعنا الله بحياته . وكانت هذه « العلوم الحديثة » يلقنها للطلاب علماء الازهر أنفسهم

وسن حينذاك سنة حسنة ، أن يحتفل في آخر كل عام دراسي احتفالاً رسمياً بالناجحين من الطلاب ، تعطى لهم المكافآت من الكتب العلمية النفيسة ، ويحضره سمو الخديوي أو نائب عنه ويحضره الوزراء والكبراء والعلماء والطلاب ، في مسجد ابي العباس ، ويخطب فيه شيخ العلماء خطبة تناسب المقام ، وهي خطب مشهورة معروفة ، ومن أشهرها الخطبة التي ألقاها في الاحتفال يوم السبت ٢٢ رجب سنة ١٣٢٥ (٣١ اغسطس سنة ١٩٠٧) والتي ردّ فيها على اللورد كرومر بكلمات تعرض فيها للاسلام ، وكان من شهود هذا الحفل (اصحاب العطوفة حسين فخري باشا القائم برآسة مجلس النظار ، وناظر الاشغال العمومية ، وأحمد مظلوم باشا ناظر المالية ، وأصحاب السعادة والعزة محافظ الاسكندرية ، ورئيس الديوان العربي الخديوي ، ووكيل ديوان عموم الاوقاف) الى آخر من ذكروا في وصف الاحتفال في (التقرير الرابع عن أعمال مشيخة علماء اسكندرية سنة ١٣٢٤ دراسية المرفوع للحضرة الفخيمة الخديوية) فقام بالواجب عليه من الذبّ عن الاسلام ، في هذا المقام الخطير ، خير قيام .

وكان مما قال في هذه الخطبة كلمته المحفوظة السائرة : (ويقولون : « إن هذا الدين يجيز الرق ، ويتضمن سنناً وشرائع في علاقات النساء بالرجال تناقض آراء أهل هذا العصر » . نعم ان الدين الاسلامي أباح الاسترقاق كما اباحته كل الشرائع السماوية من قبل ، ولكنه سوّى بين الأرقاء وبين الآباء والأمهات في الوصية بالاحسان ، والرفق والحنان . أليس يقول الله تعالى في كتابه العزيز : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجُنُب والصاحب بالجَنْب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً . اباح الدين الاسلامي استرقاق الافراد ، ولكنه بحمد الله لم يبح استرقاق الشعوب ، ولا مصادرة الامم في مقومات حياتها القومية والاجتماعية . اما علاقات النساء بالرجال فليس وراء الشريعة الاسلامية غاية في عدل ولا في مرحمة ، ولا في

محافظة على الأعراض المصونة ، يتطلع اليها اصحاب النفوس الابية) . والمناهج التي رسمها للمعاهد الدينية هي الأسس الثابتة للتعليم الصحيح ، الذي يؤتي الثمرة المرجوة منهُ ، ولا يزال اكثرها قائماً الى الآن ، وهي مفصلة في التقارير التي كان يرفعها لولي الامر في آخر كل عام

وكانت غايته من التعليم الديني ان يخرج رجالاً كاملين ، يعرفون دينهم ويخشون ربهم ، يقولون قولة الحق ، لا يخافون في الله لومة لائم . يصلون بأمتهم اوثق الصلات ، فيشعرون بما تشعر ، ويحسون ما تحس ، في شؤونها الدينية والدنيوية ، يهؤهم علمهم وتربيتهم وثقافتهم لقيادة الأمة الى طرق المجد ، والى سبل الاصلاح في الاحوال كلها ، اجتماعية كانت او سياسية . وقد اشار الى هذا المعنى في مقدمة التقرير الذي رفعه عن اعمال المشيخة سنة ١٣٢٢ قال : —

« ومما يجب أن ينتبه له عقلاء الاسلام وعظماء الامة ، أن التعليم الديني قد كاد يكون منحصراً في طبقات الفقراء ، وبعض الطبقات الوسطى من الامة الاسلامية ، دون الطبقات العليا منها ، وذلك خطر غير قليل على الجامعة الاسلامية ، بمرور الدهور والاعوام ، اذا قدر أن ينتهي الامر بانحصار التعليم الديني في تلك الطبقات ، فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم لا يتولاها سواهم من الطبقات الاخرى ، وبالتالي تكون كل الوظائف الدينية في أيدي أولئك الاقوام ومن خصائصهم ، وبعبارة أصرح : تكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية ، والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية . وبين أيدينا من نتائج هذا التفريق في القوى الفعالة وهذا التدلي في التربية الدينية ما يصلح عبرة لكرام القوم ، وخاصة المسلمين وعقلاء الامة . فليتنظر العقلاء وسادات الاسلام الى موقفهم هذا ، فليهم اذا فكروا فيه كثيراً يترجح عندهم أن يتربى أبناؤهم تربية دينية اسلامية محضة ، تحت كفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين ، حتى اذا تخرجوا على هذا المبدأ القويم كانوا أقدر على خدمة دينهم وأمتهم ، والمدة التي ترجى من أمثالهم ، مع الترفع عن الدناءة وعن السقوط في مهاوي الخسران . واذا شاء عظماء الامة أن يتربى أبناؤهم هذه التربية فانهم يساعدون على ترقية التعليم الديني ، ويجعلون له المكانة العليا في أعين الناس أجمع ، وما ذلك على الله بعزيز . نسأله الهداية والتوفيق لاقوم طريق »

وقد بدأ بنفسه في تنفيذ ما دعا الناس اليه ، ليكون مثالاً يقتدى به ، فأخرجنا — أنا وأخي السيد علي — من المدارس المدنية الى المعاهد الدينية ، وكنت في السنة الرابعة بكلية غردون بالخرطوم ، فاستأنفت الدراسة في السنة الأولى بالقسم الأولي من معهد الاسكندرية

وكان اكثر ما يحرص عليه في طالب العلم ان يكون قوي الخلق عزيز النفس مستقل الرأي ، تمهيداً لما كان يرجو ، من إخراج رجال يزج بهم في معترك الحياة ، ويبث منهم في أعمال الدولة من إدارة وغيرها ، وقد كان متفاهماً على هذا مع ولاة الامور ، كما سمعت منهُ مراراً ، في سبيل الاصلاح العام ، حتى تُبَثَّ الروح الاسلامية في نظم الدولة ، وتقاوم تغلغل النفوذ الأجنبي ، الذي كاد يخرج بالدولة وبالأمة عن دينها وعن مقومات حياتها . كان يرجو أن يعيد للاسلام مجده لو تحقق ما كان يرجو

وفي اواخر سنة ١٣٢٤ ندب للقيام بأعباء منصب مشيخة الجامع الازهر نيابة عن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشربيني بالاضافة الى عمله في مشيخة الاسكندرية ، أربعة أشهر ، من رمضان إلى ذي الحجة

وفي ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ (٢٩ ابريل سنة ١٩٠٩)صدرت الارادة السنية بتعيينه وكيلا لمشيخة الجامع الازهر ، فسار فيه سيرته في الإصلاح ، ومهّد لذلك برحلة واسعة الى الصعيد ، صدر بها اليه أمرٌ عالٍ ؛ زار فيها مدن الصعيد وكثيراً من قراه ، يستطلع أحوال الدراسات الدينية في مساجده ، تمهيداً لانشاء معاهد علمية فيه ، تكون فروعاً من الازهر ، كما تحقق أخيراً بانشاء معهد اسيوط وقنا . ثم صدر قانون النظام في الازهر سنة ١٩١١ وانشئت فيه (هيئة كبار العلماء) فكان في الفوج الاول منها الى أن مات . وعهد اليه بتطبيق هذا القانون ، فأنشىء القسم الاولي ، وعين شيخاً له مع عمله في وكالة الازهر ، وكانت في القانون بعض نظم لا يرضاها ، وضعت على الرغم من معارضته،فكان يبذل جهده في التخفيف من أخطاء القانون . وله في ذلك مواقف معروفة مشهورة ، لا يسع المقام تفصيلها

وفي سنة ١٩١٣ انشئت الجمعية التشريعية ، وكان في السابعة والاربعين من عمره ، وليس يستطيع ان يطلب الاحالة الى المعاش قانوناً وهو في تلك السن ، وكان من قانون الجمعية ان الموظف اذا انتخب او عين عضواً فيها خُيِّر بينها وبين عمله الحكومي ، فان اختارها أحيل الى المعاش ، وكان له الحق في العودة الى منصبه ، فرأى الفرصة سانحة لطرح أغلال المناصب الحكومية ، والتفلت من إسارها ، وما يحاك حوله فيها ، في الازهر وخارج الازهر ، فرغب الى اخيه وصديقه وصفيّه ، المغفور له (محمد سعيد باشا) ، وكان ناظر النظار إذ ذاك ، أن يكون عضواً معيناً في الجمعية ، فأجاب طلبه .وبذلك ترك المناصب الرسمية ، وأبى أن يعود الى شيء منها ، ولم يخضع بعد ذلك لشيء من مغرياتها ، بل فضّل ان يعيش حرّ الرأي والعمل والقلب والقلم

وعاش في حريته كما عاش في مناصبه ، للناس لا لنفسه ، ما قصده طالب حاجة إلاّ بذل له من نفسه وماله وجاهه ، يصل الخير للخير ، ولوجه الله

وكانت له في كبريات الصحف ، وفي المقطم خاصة ، اثناء الحرب العظمى ، جولات صادقة ومقالات نيرة ، لا يزال صداها يدوي في آذان كثير ممن عُنُوا بالشؤون السياسية في ذلك الوقت. اذ كان مرمى كتاباته كلها الى الدفاع عن بيضة الاسلام ، وردّ كيد المهاجمين ، من المعتدين والخائنين ، خشية أن يكون ما كان، من تقطع أوصال الأمة الاسلامية ، وتفرقها أمماً متباينة ، بدعة القوميات التي اخترعتها أوربة ، لتفرّق بها كلمة المسلمين، وتضربَ بعضُهم ببعض، ولتنتهم عن المبدأ السامي والاجتماعي السليم الذي شرعهُ الله لهم ، وأمرهم باتباعه والعضّ عليه بالنواجذ: (إنّ هذه أُمّتُكُمْ أُمّةً واحدةً) (سورة الأنبياء آية ٩٢ وسورة المؤمنون آية ٥٢)

ثم قامت الثورة المصرية في سنة ١٩١٩ ، فضرب فيها بسهم وافر ، وتبعهُ أهل الأزهر قاطبة ،فكان هو الروحَ الوثابةَ فيهم ، وكان هو القائدَ ، وكان هو الزعيمَ

وكتب في الشؤون السياسية المصرية عشرات من المقالات في الصحف ، أبانت عن بعد نظره ، وصدق فراسته ، حتى لقد توقع فيها كثيراً مما كان بعد سنين ، إذ درس مرامي السياسة الانكليزية ، في شؤون الأمة المصرية والأمة الاسلامية ، وعرف كيف يسعون الى نيل مقاصدهم حتى لقد كنا في العيد القريب ، اذا ادلهمَّ الخطبُ ، واضطربت الأمور ، رجعنا الى مقالاته في الظروف المشابهة لها ، فوجدنا أنهُ يكاد يصف ما نحن فيه ، وكأنهُ يكتبهُ حين قرأناه وكأنهُ ينظر اليه بنور الله

ولم يفكر يوماً واحداً في خوض معترك الأحزاب المصرية بل كان يترفَّع عن أن يُسلم مقادهُ الى أحدٍ من الناس ، كائناً من كان ، كما أبى من قبلُ أن يعودَ الى إسار المناصب الحكومية ، وكان يقول للزعماء والقادة قولة الحقّ ، فينقد خطأ المخطىء ويمدح صواب المصيب ، وعن ذلك كان يظنُّ كثيرٌ من الناس أنَّ لهُ هوًى أو طمعاً مع بعض الاحزاب أو الزعماء ، إذ كان يكثرُ خطأ المخطىء ، فيُكثرُ من نقده والنصيحة لهُ ، فيظنُّ المنتقدُ أو انصارهُ وأتباعهُ أن الناقد من خصومه ، او من انصار خصومه

وبجانب هذا لم يَدَعْ مسئلة شرعية او اجتماعية ، أثيرت في الصحف ، مما يتعلق بشؤون الاسلام والمسلمين — : إلاَّ قال فيها ما يراهُ حقًّا وصواباً . وصَدَعَ بما أمر الله به الدعاة والهداة ، وأعرَضَ عن المكرين ، ثقةً بربّهِ ، وتوكلاً عليهِ . اذ كان أبرزُ سجاياه ، أنهُ صُلْبٌ في دينه ، صلبٌ في عقيدته ، صلبٌ في رأيه ، شجاعٌ غير جبانٍ ، لا يرهب أحداً من الناس ، ولا يخشى الاَّ الله

***

أما الناحية العلمية منهُ فانهُ كان عالماً بكتاب الله ، يفقههُ ويعرفهُ ، ويداوم مدارسته والغوص على اسراره ، وكانت له في التفسير نظرات دقيقة ، وقد قرأ لنا التفسير مرتين ، مرة في تفسير البغوي وأخرى في تفسير النسفي . وله في السنَّة اطلاعٌ جيدٌ وفقه سليم ، وقرأ لنا صحيح مسلم وسنن الترمذي والشمائل وسنن النسائي وبعض صحيح البخاري . وقرأ لنا فقه الحنفية في كتاب الهداية ، على طريقة السلف ، في استقلال الرأي وحرية الفكر ، ونبذ العصبية لمذهب معين ، وكثيراً ما خالف مذهب الحنفية عند استعراض الآراء وتحكيم الحجة والبرهان ، ورجح ما نصره الدليل الصحيح . وقرأ لنا في الاصول جمع الجوامع وشرح الأسنوي على المنهاج . وفي المنطق شرح الخبيصي وشرح القطب على الشمسية وغيرها . وفي البيان الرسالة اليتيمة . الى غير ذلك من الرسائل الصغيرة في علوم مختلفة

وكان في العلوم العقلية آيةً من الآيات ، بل هو اقوى رجل ظهر في الأزهر فيها . ولذلك

لم يكن يتصدى لهُ أحد في مناظرة أو جدال ، لا بداعة في إقامة الحجة وإفحام المناظر ، وحسن ذهنه وتسلسل أفكاره ، وانتظامها على قواعد المنطق الصحيح السليم . ولست أقول هذا نظراً أو غلوًّا ، بل أشهد بهِ عن يقينٍ وخبرةٍ ، وقد تلقيتُ عنهُ أكثر العلوم العالية ، ولازمت دروسه أكثر من ثمان سنين ، في الصباح والمساء ، كما يعرف ذلك ويشهد بهِ إخواني في الدرس والطلب ، وكما يقر بهِ المنصفون من أقرانه من أهل العلم

وأخلاقهُ كانت أخلاق العلماء الأولين ، كان رجلاً سلماً ، يخاف الله ويرجو رحمته ، ولا يخاف غيره ولا يرجوه ، يعمل ما يعمل ، او يقول ما يقول ، خالصاً لله . أذكر انهُ في أوائل الثورة المصرية ، كتب نداء شديد اللهجة ، يزيد في وقود الثورة ، ثم دعاني أنا وأخي السيد علي ، وقرأه علينا ، يطلب رأينا ؛ فأعجبنا به ، وقلت له : ولكن بعد الاعتقال ، فما غياً بذلك ، وأذاعهُ على الناس في الصحف

ولم تكن الدنيا من همه في شيء ، وقد كانت تجري على يديه ، وكان له من النفوذ في الدولة ما يمكن له من الغنى لو أراد ، وكان دائماً مقرباً الى العرش ، بل أتى عليهِ حين من الدهر كان أقرب الناس اليهِ زلفى ، فمصه زهده وعفته وإباؤه . ولقد حدثني واحد من شيوخي حفظهُ الله ، منذ أكثر من خمس وعشرين سنة ، أنهُ حاوره مرة ليحمله على شراء دار لأولاده ، فأبى رحمهُ الله ، وقال له : انما أحسن تربيتهم وتعليمهم ، ولهم رزقهم عند الله . وكان يضع الميزانية سنويًّا لمعهد اسكندرية ثم في الازهر ، وكان يقرر فيها ما يستحقه العلماء والموظفون من علاوات ونحوها ، فكان يكتب لنفسه أمام اسمه ما لا يخطر على بال اي رئيس او عامل ان يصنعه ، كان يكتب بخطه لنفسه (لا يستحق شيئاً) . ولو أراد لنفسه عرض المال لاستحق شيئاً كثيراً

***

ومنذ سنة ١٩٣٦ اعتزل الدنيا ، ثم أقعده المرض في المنزل ، وألزمهُ الفراش ، إذ أصابهُ الفالج ، فاحتمله صابراً محتسباً ، راضياً عن ربه وعن نفسه ، موقناً انهُ قضى دينه ، فقام بما وجب عليهِ خيرَ قيامٍ ، نحو دينهِ ونحو أمتهِ ، منتظراً دعوة ربه لعباده الصالحين : (يأيتها النفسُ المطمئنةُ . ارجعي الى ربكِ راضيةً مرضيةً . فادخُلي في عبادي . وادخُلي جنتي)

الى ان جاءتهُ الدعوةُ فأجاب ، هادئاً راضياً مطمئنا ، فقبضهُ الله اليهِ في منتصف الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٥٨ (٢٩ يونيه سنة ١٩٣٩)

ونسأل الله ان يلحقهُ بآبائه الطيبين الطاهرين ، وإخوانه الصالحين السابقين . (والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جناتِ النعيم . ثلةٌ من الأولين . وقليلٌ من الآخرين)

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

البن والقهوة

بين التاريخ والعلم

شجرة البن من أصل افريقي ولكنها ظهرت أولاً ما ظهرت شجرة تزرع وتجنى ثمارها ، في شبه الجزيرة العربية على ما يعلم . واول وصف لها مرتدٌّ الى مخطوطة عربية من القرن الخامس عشر . ففي ذلك العهد كانت تزرع على السواحل الشرقية للبحر الاحمر ، ولعلها حملت الى البلاد العربية مع الغزاة الاحباش قبل قرن او قرنين من الزمان

وجاء في دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة مادة Coffee ما ملخصهُ: ان اللفظة الفرنجية Coffee ترتدُّ على الغالب الى اللفظ العربي « قهوة » وقد ذهب بعضهم الى أنها ترتدُّ الى « كفا » وهو اسم مقاطعة في الحبشة حيث تنمو شجرة البن برية

والجنس كوفيا Coffea وهو من الفصيلة الفوية Rubiaceae يشتمل على ٢٥ نوعاً منتشرة في المناطق الحارة في العالم القديم وفي افريقية على الغالب . فعلاوة على وجودها في الحبشة توجد كذلك في منطقة موزمبيق وعلى سواحل بحيرة فكتوريا نيانزا وفي انجولا على الساحل الغربي . وفي ليبريا بنٌّ يعرف باسم « كوفيا ليبريكا » وقد انتشرت زراعتهُ في بلدان مختلفة . ومنها بنٌّ سيراليون ويعرف باسم « كوفيا ستيوفيلا » وبن الكنغو ويعرف باسم « كوفيا روبستا » وهناك نوع آخر يعرف باسم « كوفيا اكسلسا » وينتظر لهُ مستقبل باهر

ولكن أشهر أنواع البن هو المعروف باسم « كوفيا أرابيكا » وشجرتهُ دائمة الاخضرار تنمو حتى يبلغ ارتفاعها من ١٨ الى ٢٠ قدماً ولها أوراق بيضية مستطيلة ملساء لامعة يبلغ طولها ست بوصات وعرضها بوصتين ونصف بوصة . والزهر أبيض يبقى لهُ عَرْفٌ عطري . والثمر كالكرز الصغير تحتوي كل ثمرة على حبتين مدفونتين في لبٍّ طري

أما البن الليبيري فيختلف عن العربيّ في ان أوراقهُ وازهارهُ وحبوبهُ اكبر ، وشجرتهُ اخصب انتاجاً ، ولكن نكهتهُ دون نكهة العربي . ثم انهُ ينمو على مرتفعات واطئة لا تصلح لشجر البن العربي

والبنُّ في اللغة حبٌّ شجر يعرف به على هيئة نواة الثمر الصغيرة يجفَّف ويعمل من دقيقه

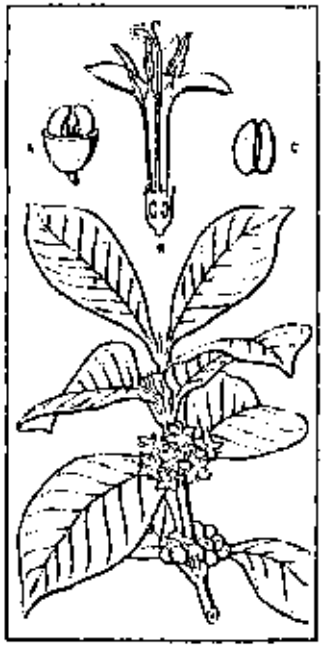

غصن من شجرة البن العربي وقد ظهرت فيه الازهار والحبوب

جني حبوب البن . وتسهيلاً للجني يحتفظ بارتفاع الشجرة بين ٦—٨ أقدام

غصن من شجرة البن العربي (كوفيا ارابيكا)

مطبوخ يقال لهُ القهوة .... والقهوة الحُمر قيل سُمّيت بذلك لانها تنهي أي تذهب بشهوة الطعام والملوكون يسمُّون شراب البن بالقهوة وربما سموا البن نفسهُ قهوة . وتشبيه القهوة بالخمر حمل بعض المشايخ القدماء على تحريمها وعلى ذلك قول الشاعر

قهوة البن حرّمت فاشربوا قهوة العنب

وقد جاء في رسالة عنوانها البن أو القهوة Coffee وضعها الباحث دالغرن Dalgren الأمين الاول لقسم النبات في متحف فيلد بشيكاغو ما يلي :

ان استعمال شراب البن نشأ اولاً في بلاد العرب وغدت المقاهي مجتمعاً يتبادل فيه الناس النوادر واحاديث التجارة والسياسة ولكن المقاهي اقفلت في مكة المكرمة سنة ١٥١١ بعد تحريم القهوة وكثرت في القاهرة سنة ١٥٣٤ ومنحت رخصها في الاستانة غير مرّة

وكانت بلدة مخا[1] ببلاد العرب اهم مركز من مراكز تجارة البن واحتفظت بلاد العرب مدى قرنين من الزمان بما يكاد يكون احتكاراً لهذه التجارة . وفي مستهلّ القرن السابع عشر انتشر استعمال القهوة من الاستانة الى ايطاليا ويقال ان ظهورها الاول في ايطاليا كان في البندقية سنة ١٦٢٤ ثم في روما سنة ١٦٢٥ ومن ثم اخذت المقاهي تكثر في شتى المدن حتى قيل ان باريس غدت بمقاهيها الالف والثمانمائة مقهًى كبيراً ، وروي أن عددها في لندن بلغ في سنة ١٦٧٥ ثلاث آلاف مقهى

ولم ينتشر شرب القهوة في المانيا بالسرعة التي انتشر في غيرها من البلدان ولكن لم تنقض مائة سنة على ادخالها الى المانيا على يدي فردريك الكبير حتى قال احد الكتاب « ان زيادة المستهلك من البن في المانيا يؤسف لهُ . فكل حانّي وفلاّح تقريباً تعوّد شرب القهوه »

ووصلت القهوة الى روسيا عن طريق النمسا والاستانة ولكن غلاء ثمنها حال دون انتشارها في روسيا . وفي القرن الثامن عشر وصلت الى البلدان السكندناوية حيث يفوق المستهلك منها في البيوت معدل المستهلك في هولندة

***

تبدأ شجرة البن العربي في الازهار في السنة الثالثة من حياتها وتغل غلّتها الاولى في السنة

(١) ومنها الاسم الفرنجي Moka جاء في مقالات وصفي زكريا عن اليمن مقتطف مارس ١٩٣٧ صفحة ٢٢١ ما نصه :— وفي أقصى الجنوب قرضة « مخا » التي كانت في العصور المتوسطة مدينة كبيرة تعد اكبر موانئ اليمن بل كل جزيرة العرب ويدخل مرفأها الآن سفن الهند والحبشة والزنج وتصل اليها قوافل مصر والحجاز وغيرها متبادلة العطور والطيوب والاصباغ والمنسوجات والمصنوعات والرقيق . وكان فيها ٧—٨ آلاف دار وعشرات من الخانات والمستودعات لا تزال اطلالها ماثلة . وكانت اتبن اليماني الناتج في لواء تعز وأقضيته يصدر منها ويعرفه الافرنج باسم (بن مخا : Moka)

الرابعة وتكون صغيرة وتبلغ اقصى غلتها في السنة السابعة أو الثامنة وتبقى تغلّ غلة متناقصة من عشر سنوات الى عشرين أو ثلاثين سنة وأحياناً الى خمسين سنة . والشائع في بلاد العرب أن اشجار البن في بلاد العرب تبلغ مرتبة النضج في السنة الخامسة ويجب تبديلها بغيرها بعد انقضاء عشرين سنة على زرعها . وفي بعض المزارع الاميركية يقلع الشجر الذي يقلع ويبدل بغيره كل سنة ١٠ في المائة

وشجيرات البن الصغيرة في حاجة الى شيء من الظلّ ولذلك يزرع عادة في الثلوم نبات سريع النمو كالذرة يظلّلها وفي بلدان أخرى يستعمل الموز لهذا الغرض

في الحبشة ، حيث موطن البن الأصلي ، يزرع نباتهُ في النجود ، وخير ارتفاع الارض التي تزرع فيها أشجار البن في بلاد العرب يتفاوت من ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر

صنف البن الذي يغلّ من منطقة ما يتوقف في المقام الاول على طبيعة الضرب المغروس، ولكن طبيعة التربة والاقليم ووسائل العناية بالشجر ، عوامل ذات شأن في تحديد مقدار الغلة وجودتها . ففي بلاد المكسيك يقلّ ثمن البن المزروع على ارتفاع ٥٠٠ متر ، ثلاثة ريالات في المائة رطل عن البن المزروع على ارتفاع ١٨٠٠ متر ، ثم ان جودة الغلة تتوقف على طريقة جني المحصول واعداده للسوق . فالجني باليد حيث تختير الحبّات الناضجة وتعرف بلونها القاتم يضمن الفوز بمحصول متناسق جيد . أما حيث يكون الجني غير دقيق فيختلط الحبّ الناضج بغير الناضج وهذا يكفي لافساد نكهة الدقيق بعد التحميص والسحن . ولما كانت الحبّات على الشجرة الواحدة لا تنضج جميعها في وقت واحد فالجني باليد يجب ان يكرّر . واذا خلط الحبّ الناضج بغير الناضج في اثناء الجني ، تعذر فصل بعضهُ عن بعض بعد الجني ، فصلاً دقيقاً يعتمد عليه

وبعد الجني يُعدّ الحب للسوق . وباختلاف اساليب اعداده تختلف جودة مقدارين من البن من صنف واحد . ومن المسلّم به ان تجفيف الحبّ في الفضاء افضل من تجفيفه بالاساليب الصناعية . ولكن هناك اماكن لا يتاح فيها تجفيف الحبّ التجفيف اللازم في الهواء الطلق فيجفّف بالطريقتين الطبيعية والصناعية

***

بلغ مقدار محصول البن سنة ١٩٠٠ عشرة ملايين كيس والمستهلك كذلك . وقد زاد المستهلك بعد ذلك زيادة مطردة حتى بلغ ٢٣٫٩٠٠٠٠٠ كيس سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ ولكن المحصول زاد زيادة اكبر من زيادة المستهلك اذ بلغ في السنة نفسها ٣٧ مليون كيس ونصف مليون ثم زاد الى نحو اربعين مليون كيس في سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ وهذا التوسع المطرد في زراعة البن أفضى الى تجمع مقدار كبير فائض لا سوق لهُ

والبن المزروع في العالم الجديد هو البن العربي على الاكثر (٩٠ في المائة) . ولكن منذ اصبحت زراعة البن وتجارته عملاً كبيراً أخذ الباحثون يبحثون عن اصناف جديدة من نبات البن في افريقية فعثروا باصناف كثيرة

فوجدوا مثلاً ضرباً من البن العربي Coffea Arabica في جزيرة « غراند كومورو » لا كافيين فيها . ووجد نوع آخر في جزيرة ماسكارين ومدغشقر فيه آثارة من الكافيين ولكنه متصف بخواص سامّة

والعنصر المنبه في البن هو مادة الكافين وأول من كشفها باحث يدعى رنج Runge واستخرجها من حبوب البن سنة ١٨٢٠ . وقد ثبت بعد ذلك ان مادة الكافين توجد في جميع أجزاء النبات ولا سيما في الاوراق . ولا يزال سبب وجود مادة كالكافين في النبات ، وما يفيده النبات منها ، غامضاً . واذا استفردت مادة الكافين نقية وبلورت كانت بلورات بيضاً دقاقاً كالابر . وتأثيرها الفسيولوجي ، في مقادير صغيرة كالمقدار الذي يوجد منها عادة في فنجان قهوة ، هو التنبيه الفسيولوجي والذهني بتنشيط الجهاز العصبي المركزي والنشاط العقلي ، وهي تفرز عن طريق الكليتين بعد انقضاء بضع ساعات على تناولها

وأهم ما تتصف به كبّه أن تنبيهها لا يعقبهُ هبوط او ضعف ، وهو ما يحدث عادة بعد تناول معظم المنبهات الأخرى . هذه الصفة من اهم البواعث على انتشار عادة شرب القهوة ، علاوة على نكهتها الطيبة

ومادة الكافين توجد في نباتات اخرى غير نبات البن . « فالتايين » الذي كشف في ورق نبات الشاي هو والكافين واحد . والواقع ان معظم الكافين المجهز للبيع في الصيدليات يستخرج مما يعرف « بغبار الشاي » لان استخراجهُ منهُ افضل من الناحية الاقتصادية من استخراجه من البن

***

ويختلف مقدار الكافين في البن باختلاف الصنف . فمن ضروب البن ما لا كافين فيه ومنها ما يحتوي على مقدار من الكافين يبلغ ٣ في المائة وزناً . وهو يختلف في اصناف البن العربي من نصف واحد في المائة الى ٢½ في المائة . وأكبر مقدار من الكافين يوجد في بن كولومبيا وأقله في بن المكسيك . أما بن البرازيل وغواتيمالا فتوسط بين الاثنين ومقدار الكافين فيه يتفاوت من ½ الى ¾ واحد في المائة . ويبلغ مقدار الكافين في فنجان عادي من الشاي أو فنجان عادي من القهوة نحو قمحة ونصف قمحة

خليل مطران

شاعر القرن العشرين الإسلامي

الدكتور اسماعيل احمد ادهم
عضو اكاديمية العلوم الروسية ووكيل المعهد
الروسي للدراسات الاسلامية

المبحث الثامن

الطور الثالث من حياة مطران

﴿ توطئة ﴾ كان الطور الثاني من حياة مطران — كما سبقت الاشارة — طور النضوج ، فيه تفتحت شخصيتهُ ووضحت مناحيه على أساس من الأصل الثابت من طبيعته، تلك الطبيعة التي تفاعلت بالعوامل التي تداخلت معها في الطور الأول من حياته فجعلتهُ يخلص بشخصيته واضحة السمات في تلك الفترة من الزمن التي امتدت من عام ١٨٩٢ إلى عام ١٩١٤ . فمن هنا نرى أن هذا الطور يشغل القسط الأوسط من حياة الخليل . وقد أظهر مطران في هذه الفترة من الزمن نشاطاً أدبيًا يذكر في ميدان النظم وفي ميدان النثر . فكان من مظاهر نشاطه في الميدان الأول « ديوان الخليل » ، وهو مجموعة ما قالهُ نظماً حتى عام ١٩٠٨ ، وكان من مظاهر نشاطه في الميدان الثاني كتابهُ « مرآة الأيام » الذي أصدر جزءه الثاني عام ١٩٠٦ وهو سفر جليل في التاريخ العام جاء في جزئين . على أن جهود مطران لم تقف عند هذا الحدّ فقد تعدتها إلى دائرة المسرح ، غير أننا لم نشأ ونحن نعرض للطور الثاني من حياة الرجل في المبحث السابع أن نتناول ما يدخل في هذا الطور من جهوده المسرحيّة ، ذلك أن هذه الجهود بدت واضحة آثارها في أواخر الطور الثاني من حياته، وظلت متصلة في حلقاتها ممتدة على صفحة الطور الثالث ، حتى تهيأ لمطران من جهوده المتواصلة وخبرته التي خلص بها من اتصاله هذه السنين الطوال بالمسرح العربي أن يكون المعين على حركتها بتوليه عام ١٩٣٤ رآسة الفرقة القومية المصرية لرفع مستوى فن التمثيل [1] ولهذا ابقينا الكلام فيها لهذا المبحث حيث نعرض لمطران وجهوده المسرحية متماسكة في الجملة غير منقطعة في الأجزاء.

---

(١) « لرفعة مستوى صناعة التمثيل » هكذا عند بروكلمان في « تكملة تاريخ الآداب العربية » الملحق الثاني ، فقرة ١٥ ص ٩٠ .

والواقع ان اشتراك مطران في العمل على انهاض مستوى المسرح المصري ، يعود الى عام ١٩١٧ ، تلك السنة التي عاد فيها « جورج أبيض » من فرنسا بعد أن درس في « كونسر فتوار باريس » فن التمثيل المسرحي ، وعمل على تأسيس فرقة قوية جمعت نخبة من أعلام الممثلين في مصر في ذلك الحين نزل بهم ميدان العمل على خشبة المسرح المصري . وكان أن طلب « جورج أبيض » إلى صديقه مطران أن يترجم لهُ شيئاً من المسرح الإنكليزي خاصة من شيخ أعلامه « وليم شكسبير » يقوم بتمثيله هو وأفراد فرقته ، فترجم لهُ الخليل مسرحية « عطيل » Othello التي مثلت في الأوبرا الملكيَّة (الأوبرا الخديوية في ذلك الحين) مساء ٣٠ مارس ١٩١٧ وقام بتمثيل الدور الرئيسي فيها جورج أبيض نفسه . وكان أن قدَّم مطران في نفس الزمن لفرقة جورج أبيض ترجمتهُ لمسرحية « تاجر البندقية » . وما لا شك فيه أن المسرح المصري وجد في ذلك الحين في هاتين الرائعتين [1] اللتين ترجمها مطران مادة طيبة تستند اليها . غير أن الروح التمثيلية التي أخذ بها « جورج أبيض » هو وأركان فرقته كانت تدور حول الطرائق التمثيلية التي وضعها الممثل الفرنسي الكبير « سيلفيان » فلم تقدر بحوثها الصناعي أن تهضم النزعة « الدراماتيكية » التي في مسرحيتي شكسبير ، هضماً يساعد على جلوها بمشهد من « الطبيعة » على المسرح في جو طبيعي . ومن هنا كان سقوط هاتين المسرحيتين ، وكان لسقوطهما أثر في نفس الخليل جعلهُ يميل عن فكرة تقديم شيء من « المسرحيات الشكسبيرية » الى المسرح المصري ولو الى حين

غير أن شيئاً من طيبة المعاودة في نفس مطران من جهة وروابط الزمالة من جهة أخرى مع أركان المسرح المصري ، جعلتهُ يعود عقب الحرب العظمى فيشترك في نهضة المسرح المصري فيقدِّم ترجمة المسرحية « ماكبث » الى « جورج أبيض » وفرقته التي التأمت من جديد ودخلتها عناصر جديدة . غير أن حظ مسرحية « ماكبث » على المسرح لم يكن خيراً من حظ أختيها السالفتين . فقد سقط دور « ماكدف » الذي قام بتمثيله عبد الرحمن رشدي ، وذلك نتيجة كونه صاحب طبيعة تخالف طبيعة الدور الذي أسند اليه [2] . الاَّ أن شيئاً من الصداقة بين مطران وجورج أبيض جعلهُ يقف من هذا السقوط موقف الآمل خيراً في المستقبل ، فتقدم الى المسرح بترجمته لمسرحية « هاملت » . ولم يكن حظ هذه المسرحية خيراً من حظ أخواتها لهذا لحقها في مصيرها . ومن هنا أحس مطران إحساساً قويًّا أن حالة المسرح المصري — في صورته في ذلك الحين — لا تقوى على هضم الروح « الدراماتيكية » التي في مسرحيات « وليم شكسبير » ، لأن ذلك يستلزم أن يدور التمثيل في جو طبيعي . ولم يكن الممثلون الذين عرفتهم خشبة المسرح

(١) ينظر المفرد وهو رائعة الى الشعر الافرنسي — Otello'Barbe — والترجمة لمطران (٢) تجد تحليلاً لهذا الدور في حياتنا التمثيلية ، ص ١٠٨ — ١٠٩

المصري الى ذلك الحين يقدرون على جعل التمثيل يدور في أجواء طبيعية . ومن هنا كان تنوع الخليل بما كان ، واكتفاؤه بطبع بعض الروائع التي ترجمها عن شيكسبير ، فكان أن قدم منها الى الطبع ثلاث مسرحيات : « عطيل » و« تاجر البندقية » و« هملت » . على أن مطران بعد ذلك يحتفظ بين مجموعة أوراقه بترجماته لبقية مسرحيات شيكسبير [١] . هذا فضلاً عمّا يروى من أن لهُ مسرحية « القضاء والقدر » وهي معرّبة . ولكننا لم نقف لها على أثر (صديق شيبوب — البصير ٥ يونيه ١٩٢٥)

على أنهُ مما لا يمكن انكاره ما كان لهذه المسرحيات من أثر في رفع مستوى الجو الذي يدور فيه التمثيل العربي في مصر . كما لا يمكن انكار ما كان لاشتراك مطران من أثر في رفع مستوى المسرح المصري ، فالواقع انهُ في هذه الفترة اتصلت بين مطران وبين حركة المسرح في مصر الأسباب فكان ان اشترك مطران اشتراكاً فعليًّا في حركة تقدّم المسرح . ومن آثار هذا الاشتراك مساهمته في تأسيس « شركة ترقية التمثيل العربي » وتأسيس مسرح لها بحديقة الأزبكية ، تلك المساهمة التي تكللت بالنجاح ، إذ افتتح المسرح ابوابهُ في ٣٠ ديسمبر ١٩٢٠ والتي فيه مطران كلمة الافتتاح متضمنة تاريخ الحركة المسرحية في مصر الى ذلك الحين [٢] . وهذه الجهود آتت أكلها مع الزمن إذ انتبهت حكومة الملك فؤاد الأول عام ١٩٣٤ الى وجوب الاهتمام بحركة المسرح ، فعملت على تأسيس الفرقة القومية لرفع مستوى فن التمثيل وعينت أغراضها في العمل على رفع مستوى التأليف والتعريب المسرحي وترقية الاخراج وترقية الموسيقى المسرحية والغناء المسرحي الحديث حتى تكون صالحة لتمثيل العربي والأجنبي واعداد الممثلين والمخرجين اعداداً فنيًّا ، وأسندت رآسة الفرقة الى خليل مطران [٣]

ولا شك أن وجود مطران على رأس الفرقة القومية كان منبهاً عظيماً لنهضة المسرح المصري ، لأن وجود هذا الرجل — كما يقول محمود كامل المحامي — « الذي قرأ شيكسبير وفهمهُ وهضمهُ وترجمهُ وقدّم الى الناطقين بالعربية آثاره خير تقديم ، والذي قرأ هيجو وراسين ، موليير وفهمهم وحفظ أشعارهم عن ظهر قلب ودرس روح فرنسا من كتبهم وهضم الأدب المسرحي هضما كاملاً ، وعاش حياة أدبية مسرحية حافلة جديرة بأن تجعل جهود المسرح المصري وثيقة الصلة بالجهود الخالدة التي خلقت الأدب المسرحي »[٤]

---

(١) توفيق حبيب في « شيكسبير في العربية » — مقال بالهلال م ٣٦ ج ٢ ص ٢٠٠ — ٢٠٤

(٢) الهلال م ٢٩ ج ٤ ص ٤٦٥ وتجد نص كلمة مطران من الصفحة ٤٦٥—٤٧٢ (٣) الاهرام ١٤—١٢—١٩٣٧ ص ١٤ نقلا عن اشارة لبروكلمان في تكملة تاريخ الآداب العربية، الملحق الثاني فقرة ١٥

(٤) محمود كامل في مجلة الجامعة — ٣ نوفمبر ١٩٣٨ — م ٩ ع ٣٠٣ ص ٢٣

وفي الفرقة القومية يبدأ مجهود مطران العظيم في رفع مستوى المسرح المصري ، فقد بدأ العمل والفرقة لا تملك شيئاً من المعدات اللازمة فلا مكان للفرقة ولا روايات مختارة ولا اي استعداد — اللهمَّ الا ثقة الرجل بقدرته على القيام بالعمل الملقى على عاتقه [١] — وسار العمل في أوله يكتنفه بعض الاضطراب . وسرت الاشاعات هنا وهناك ، وتنبأ من يحلو لهم التنبؤ بفشل الفكرة قبل ان تولد ، ولكن بشيء من الصبر والثابرة اللذين عرف بهما الخليل أمكن للفرقة أن تجتاز الصعوبات التي لاقتها فقضت في سبيلها بحدوها الأمل في المستقبل . وبواسطة تشجيع الفرقة للأدباء خصوصاً الناشئين منهم أمكن لها أن تجمع لديها اكثر من ستين مسرحية قدّمت منها في ثلاثة مواسم اثنتين وثلاثين رواية جديدة ، وهو رقم قياسي — كما يرى مطران — لم يقدّمه مسرح من قبل [٢]

على أن الاقوال تختلف بخصوص ما أدته الفرقة وحققته من الاغراض والغايات التي قامت من أجلها [٣] . على أنهُ مما لا ينكر حقيقته بعد ذلك أن جهود مطران في الفرقة أخذت تؤتي اليوم أكلها ، والحق — كما يقول راشد رستم — انهُ لولا مطران على رأس الفرقة بسعة صدره وتحمله وصبره وجلده في هذه السن ، ولولا مكانته الشخصية لضاعت الفرقة القومية [٤] . على انهُ بعد ذلك يمكن ان يقال إن ما عرف به مطران من عدم التقيد بنظام وما اشتهر به من «البوهيمية» التي عرف بها رجال الفن إلى جانب ما عرف عنهُ من حب الاريحية التي تجعله لا يدفع قاصداً لهُ في حاجة هو قادر عليها ، كل ذلك كان سبباً للثورة على رآسته للفرقة القومية وتوجيهه لسياستها العامة . وذلك يتجلى في الحملات الصحفية التي شنت عليه [٥] . على أنك بالرغم من كل ذلك تجد هؤلاء الذين يحملون عليه لا يقدرون على جحد الرجل ومزاياه وطيب سريرته ، ويحملون ما في ادارته للفرقة القومية من ضعف على عدم تقيده بنظام في العمل ، الأمر الذي يجعل شؤون الفرقة تضطرب بعض الشيء ، وهو بعد ذلك يغطي على هذا الاضطراب أمام الرأي العام وأمام الحكومة بما فيه من قوة الشخصية

---

(١) حديث لمطران عن رسالة الفرقة القومية في مجلة ـ الاهرام ـ ٣ يوليو ١٩٣٩ م ٣٩ م ٦ ص ٦

(٢) المرجع ذاته (٣) مجلة الرسالة ، السنة السابعة عدد ٢٩٢ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ والعدد ٢٩٣ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ والعدد ٢٩٤ ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ والعدد ٢٩٥ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ والعدد ٢٩٦ ص ٤٧٦ ـ ٤٧٨ والعدد ٣٠١ ص ٧٤٩ ـ ٧٥٠ ، آراء زكي طليمات وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وابراهيم رمزي وابراهيم ناجي وراشد رستم في رسالة الفرقة القومية وما قامت به من تحقيق للاغراض التي قامت من أجلها

(٤) راشد رستم في مجلة ـ الرسالة ـ السنة السابعة عدد ٣٠١ ص ٧٥٠ م ٢ س ٣ ـ ٩ (٥) دكتاتورية المدير في الفرقة القومية بمجلة الرسالة ، السنة السابعة ، العدد ٢٨٨ ص ٩٣ ـ ٩٤

— ٩ —

من الاهمية بمكان ان نعود وفي عرض استجلاء نزعة حياة مطران في الطور الثالث من اواخر الطور الثاني ، تلك الاواخر التي مررنا عليها سريعاً في ختام المبحث السابق ، فنستجلي حياة مطران في الفترة التي جاءت عقب اخراجه الناس مجموعة شعره في ديوان عام ١٩٠٨ . وأول شيء يسترعي النظر من شؤون هذه الفترة هو تحول الخليل عن عالم الصحافة الى عالم الاقتصاد والمال ، فقد كان مطران يحيا في الدورين الاول والثاني من الطور الثاني من حياته ومعيشته تدور في عالم الصحافة ، الا أنّ انصرافه عنها الى الاشتغال بشؤون الاقتصاد كان نقطة تحول خطير في حياته . وهو في هذا يقول :

[مارست الصحافة اثنتي عشرة سنة . ثم انتقلت بعد الى العمل في الاقتصاديات . فهل تعتقد ان هذا الحادث الذي أثر في مجرى حياتي قد نشأ من مال او مآل ، عظيم الشأن ؟ كلا ، فانه حادث بسيط جداً ، ولكنه هو الذي غير مياني هذا التغيير الكبير ، فصرفني عن الصحافة الى الاشتغال بالمسائل الاقتصادية

ذلك اني اشتغلت بالتحرير في جريدتي « الاهرام » و « المؤيد » وغيرهما ثماني سنوات ، ثم عنّ لي ان اشتغل لحساب نفسي ، فانشأت « اخبار المغرب » نصف شهرية ، وهي آثرها أصدرت « الجوائب المصرية » ، فوجدت من الناس اقبالا ومؤازرة عظيمة ، ولكن نوع المؤازرة الذي كان في هذا الوقت لا يلائم طبعي ، فان رواج الصحف لم يكن ينشد بالاعلان او بواسطة المتعهدين كما هو اليوم بل كان بالاشتراك وكثرة عدد الاصدقاء والمحبين

ومما يحمل النفس ان دائم الاشتراك في ذلك الحين كان يمد نفسه صاحب فضل في حياة الجريدة وفي كل ما يخصه صاحبها من جاه او مال او كرامة . وكنا نسمع من هذا القبيل مثلما بعد فيما يتعلق بالجرائد المعروفة في ذلك الوقت . وأنا بخلقي نفور من سماع امتنان على هذه الصورة خصوصاً أني كنت على علم بما يعانيه صاحب الجريدة وتحريرها من مشقة واعنات

وقد كنت اتحسس وأحس ان لي ميلا لعمل يرزقني في غير الصحافة حينما يعود « الجابي » فيقول ان فلاناً المشترك قد مات ، وفلاناً قد كذا من الالوان التي وان امتزج المدح بها غالباً فهي تعيد الى النفس لانها تأتي أشبه بدق الجبل او التذكير به

وذات مساء رجع الي الجابي من جولته وأبلغني ان ضعيفاً لي ممن كنت أعاشرهم معاشرة متصلة استسهله في أداء ما عليه ، ولم يكن ذلك للمرة الاولى . ويظهر ان ـ الجابي ـ ألح عليه باعتبار ما يعرف من الصلة المحكمة بيننا ، فانتهر اليه هذا الصديق وجابهه بقوله « هو ممن عيش » . فلما سمعت هذه العبارة ، خيل الي أن كل من أدنى اليه جريدتي ، وان تلطف في الظاهر ، يحسبني متطفلا عليه فيما أتقاضاه منه ، ولا يقدر تلقاء ذلك ما يبذل من جهد في التحرير وفي تفقات الطبع والبريد وما الى ذلك من أعمال تستنفد مجهوداً ووقتاً ومالا

وكان لي صمت حين استقال الصحافة ، وصرت أتربص للفرصة الاولى حتى سنحت بخروجي من الميدان موفور العرض جميع الشرف والكرامة ، فوهبت جريدتي وبعت مطبعتي وانصرفت الى ممارسة الاعمال الاقتصادية وما زلت عليها الى الآن .] (١)

وكان انصراف مطران عن الاشتغال بالصحافة الى الاشتغال بالشؤون المالية عام ١٩٠٤. وقد دارت حياة الخليل منذ ذلك اليوم متصلة بممارسة الشؤون المالية ، حتى اكتسب الخليل

(١) الهلال : م ٣٣ ج ٣ أول يناير ١٩٢٥ ـ ص ٢٦٩ـ٢٧٠ . رد مطران على استفتاء الهلال عن أهم حدث أثر في حياته

بحكم الممارسة مهارة في الاعمال المالية والاقتصادية أهلته للاشتراك في المشروعات الاقتصادية الكبرى التي عرفتها مصر في تاريخها الحاضر ، وعلى وجه خاص في وضع المذكرة التأسيسية لبنك مصر[1] التي كتبها عام ١٩٢٠

وقد كان من اشتغال مطران بالشؤون الاقتصادية واعتماده عليها في المعيشة أن اخذته حمى المضاربة ، فكانت من ذلك مضارباته التي كسب فيها الخليل كثيراً وخسر كثيراً ، وهو بعد ذلك جلد على المضاربة ، لا يخسر حتى يعاود الكرة من جديد وكله أمل في الربح ، والمال يجيء ليذهب ، حتى كان أن فوجيء في احدى مضارباته عام ١٩١٢ بخسارة كل ما يملكه ، وأصبح الخليل وإذا به صفر اليدين ، والرجل بعد ذلك بصلاته ومكانته من الهيئة الاجتماعية محتاج الى المادة . لهذا كانت صدمته كبيرة في خسارته التي ذهبت بكل جني جهوده في حياته الى ذلك الحين . ومن هنا جرفت الخليل موجة يأس برزت معها في ذهنه فكرة « الانتحار » . ولكن طبيعة المعاودة في نفسه ، جعلته يعيد الكرة على هذه الفكرة وينزل بها الى مقوماتها من نفسه ، ومن هنا انتهى الى ان الانتحار هروب من الحياة ، ولهذا اعتقد الخليل ان الانتحار جبن . فرجع في حالة يأس الى — مدينة عين شمس — (مصر الجديدة — Heliopolis —). وهناك قضى اياماً في غمرة من اليأس نظم فيها قصيدته الوجدانية « الاسد الباكي » — والشعراء الثلاثة » ص٣١٥ — ٣١٦ — وفي مستهل هذه القصيدة يقول مطران :

دعوتك استشفي اليك فوافني على غير علم منك انك لي آسي
فان ترني والحزن ملء جوانحي أداريه فليغررك بشري وإياسي[2]
وكم في فؤادي من جراح مخبأة يحجبها برداي عن أعين الناس
فخذت لهمي « عين شمس » سباءة فشت إضحائي فريداً وإغلاسي
يخالون أني في متاع حياتها وبئس متاع الحي حيرة دهماس
ارى روضة لكنها روضة الذوى وأصغي وما في سمعي غير وسواس
وأنظر من حولي مشاءً وركّباً على مزجيات من دخان وأفراس
كأني في رؤيا يزف الاسى بها طوائف جنّ في مواكب أعراس

وأنت تلمس في هذه الابيات ما كان يجتاح قلب الخليل من الالم والحزن وما كان يسود عينيه من النظر القاتم الى الحياة ، وما كان يوسوس في صدره بالانتحار . ولا ادل على تلك الحالة الشعورية عنده من رؤيته رياض « عين شمس » روضة موت . وما في نفسه من الاسى

(١) توفيق حبيب : المجلد الخامس ، فقرة ٢ من هذه الدراسة (٢) البيت أثبت عجزه في « الشعراء الثلاثة » هكذا : « أداريه فليغررك بشراي وإياسي » ص٣١٥ س ٢ وهذا لا يتفق مع الوزن

كان يستولي على بصيرته فيجعل الاشياء تبدو له في صور يشوبها شيء من الابهام ومن خلال هذه الصور تجلت له مرائي « عين شمس » والاناسي الذين يمضون فيها ما بين ركب في القطر وعلى الافراس وما بين مشاة كطوائف جن في مواكب اعراس . وذلك من حيث جرفت وجدانه مشاعر الامس فجعلته يأخذ الاشياء من عالم الواقع ليزل بها من عالم الاحلام كخيالات وأوهام

هذه الابيات — كما سبقت الاشارة — تصور أمسى مطران وشجوه وألمه . فلما انتهت القصيدة التي تضمنتها الى اصدقائه قلقوا عليه وكانوا قد قلقوا عليه من قبل لغيابه ، فتضافر هذا القلق وذاك وكان ان اخذوا يفتشون عنه في الاماكن التي كان معتاداً أن يرتادها ، ولكن تفتيشهم هذا لم يجد شيئاً . ثم كان ان سعى بعض العارفين بمكان اقامته اليه ليواسره في نكبته التي كانت قد ألمّت به وكانت قد أبعدته عن الحياة الصاخبة التي كان يحياها ، فكان ان عاد الخليل ثانية الى تلك الحياة ، وكان في عودته هذه جلداً . ثم لم تلبث ان بسمت له الحياة التي كانت قد عبست له من قبل فذهب يغامر من جديد .....

***

عين الخليل في ذلك الوقت سكرتيراً مساعداً بالجمعية الزراعية الخديوية (الملكية الآن)[1] وقد كان تعيين مطران في هذا المنصب عن رغبة من الخديوي عباس حلمي الثاني الذي كان يريد ان يجعل للشاعر مركزاً ثابتاً وايراداً غير متقلب . وقد اختار الخديوي لمطران ذلك المنصب خاصة نظراً لما يعرفهُ عن الرجل من الاشتغال الطويل بالشؤون الاقتصادية ، ذلك الاشتغال الذي أعطاه دربة فيها ، ومن ادراكه الجيد الذي أظهره فيما يتصل بالمسائل الزراعية ، تلك المسائل التي أظهر فيها الخليل معرفة مستفيضة أيام كان يصدر « المجلة المصرية » ويوقف باباً من أبوابها على الشؤون الزراعية . وبعد أن تقلّد مطران ذلك المنصب انتظمت شؤونه المادية واستقامت . وأصبح الرجل لا يخشى تقلّب الزمن وما يمكن أن يحمله في طيات هذا التقلّب من كوارث

وظل مطران منذ ذلك الحين حتى الآن يشغل هذا المنصب بجانب المناصب الاخرى التي اتفق له أن يشغلها

وكان عمل مطران في « الجمعية الزراعية » من حيث يتصل بشؤون سكرتاريتها يدور حول الحسابات ، ومن هنا اكتسب مطران بجانب دربته الاولى في الشؤون الاقتصادية والمالية خبرة واسعة بالشؤون الحسابية ظهرت آثارها فيما عهد اليه من القيام بوضع بعض المذكرات الاقتصادية التي تمت الى شؤون الحساب بسبب . وقد كان من تلك المذكرات التي راجع جانبا

(١) تأسست في ٢٠ ديسمبر ١٨٩٨ بسراي الجزيرة تحت رعاية سمو الخديوي عباس حلمي الثاني

الحسابي وضبطها تلك المذكرة التي وضعها عبد العزيز باشا فهمي ضد السر وليم بروتيت [١]

وكان أن كلف حشمت باشا وزير المعارف اذ ذاك مطران وصاحبه حافظ بك ابرهيم أن يترجما الى العربية كتاب «الموجز في علم الاقتصاد» وهو سفر ضخم لبيروفسور بول لروا بوليو مدير جامعة بواتيه بفرنسا ، فجاءت الترجمة في خمسة اجزاء كبار في نحو ٩٣٠ صفحة [٢]. والكتاب، وما فيه من دقة الترجمة واستيعاب المعاني التي دارت بذهن مؤلفها ، يعود الى مطران لا الى حافظ [٣]. هذا فضلا عن ان بعض الريب يحف بما لحافظ ابراهيم من جهد في الترجمة . ومن ذلك الحين عرف مطران بأنهُ من رجال الاقتصاد والحساب [٤]. غير ان ذلك لم يطغ على الاصل الشاعري من نفس الرجل كما ستجيء الاشارة الى هذا

وما كان لمطران من حظ الاشتراك في تقدم مصر الاقتصادي والعمل في ميدان استقلالها الاقتصادي ، جعل محرر الهلال يتوجه اليه بالسؤال عن مصر كما يريدها من الوجهة الاقتصادية ، وذلك عام ١٩٣١ ، وكان ذلك ضمن سلسلة الاسئلة التي وجهتها دار الهلال الى اعلام رجالات مصر في النواحي التي برزوا فيها . وقد اجاب مطران وقال :

[أريد مصر عزيزة بكل المعاني . على أن في مقدمة العناصر التي تكوّن عزة الامة : العنصر الاقتصادي . ولما كانت مصر تعاني الآن أزمة اقتصادية لا يذكر التاريخ الحديث أنها عانت مثلها كان الافضل ان اجعل مدار أمنيتي ما اعتقده وسيلة أولية لابلاغ مصر العزة التي أرجوها لها

مصر غنية — على القول المشهور — ولكن بمعنى ان بلها يدرّ الخير وأرضها خصبة تجود بأربعة محاصيل . ولها عدا ذلك موارد اخرى من طبيعتها وسجايا أهلها التي فيها قابلية عجيبة للصناعات والتنوّر وينبغي ألاّ تقل ثروتها منها عن ثروتها من ارضها

ولكن تصرف السواد الاعظم من الامة في شؤونهم الكسبية والمعيشية قد أفقدهم تلك المزايا فليس نصيبهم منها بأوفر نصيب وعلى هذا لا بد من عكوف كل كاسب في مصر زارعاً كان او صانعاً او تاجراً او ذا منصب على نفسه يحاسبها ويطالبها بما هو واجب عليه لنجاته من هذه الضائقة وبالتالي نجاة قومه وهل الأمة الاّ مجموع أفرادها

يجب ان يعرف كل منا في مصر ان الحياة أداء واجب وان المتاع نتيجة من أداء ذلك الواجب فالصدق في المعاملة وان ابعد صاحبه ، والقصد في النفقة بحيث تنقضي بها الحاجة وان ظن الانسان ترك اللهو واجتناب معاهده حرماناً — واقبال الفلاح على غيطه يحرثه حق

(١) توفيق حبيب — البحث الخامس فقرة ٢ من هذه الدراسة (٢) صديق شيبوب في البشير — ٥ يونيه ١٩٢٥ ص ١ من مقال له عن مطران (٣) أحمد محمد عيش في مجلة آبيولوم ٦ ج ١١ — يوليه ١٩٣٣ — ص ١٣٩٣ ص ٨—٩ مقال عن « سيرة حافظ » (٤) الشنق الباكي — ديوان شعر لابو شادي — ص ٧ مقدمة الناشر حسن صالح الجداوي — الهامش ص ٥

جرثه ، والعامل على عمله يوفيه وتجيده ، والموظف على وظيفته يؤديها اداء الخدمة ، والعريف على ادارته يحكمها بصبر وبصيرة الخ الخ . . . كل اولئك مما يكوّن أمة رضية البال قوية العزيمة راضية مرضيًّا عنها

فأنا اريد مصر عاملة بجدة صابرة على ما تقتضيه الحياة الكبرى ، اريدها حاسبة متفقة خبيرة في الموازنة بين دخلها وخرجها ، اريدها ان تعدل عن السرف حكومة وشعباً وان ترد الرأي التي صدرت عنه قبلها الامم السائدة الآن في العالم ، وهو ان القوة والمنفعة فيما ندخر ، وان الضعف والذلة وراء السرف والتبذير] (١)

هذه وصايا حكيمة ألقاها مطران على شعب مصر وحكومتها عام ١٩٣١ أثناء اشتداد الازمة المالية في العالم ، وهي تدل على شعور مطران نحو مصر من جهة ، كما تدل على خبرته بمواطن الداء في الوضع الاقتصادي في مصر من جهة اخرى

— ٢ —

كان الخديوي عباس حلمي الثاني في اواخر عهد خديويته على مصر ملتقى آمال شباب العرب وعقد رجاء أحرارهم خصوصاً بعد أن ظهر الاتحاديون بنياتهم العدائية نحو العرب (٢) وقد اراد الخديوي أن يجمع من حوله قلوب العرب ويادلهم آمالهم فيه بتشجيعهم ، فشمل برعايته رجالاتهم ، وكان من ذلك عنايته الشديدة بخليل مطران الذي كان يعتبر لظهور شخصيته في المجتمع المصري سفير سوريا في مصر . ومن مظاهر عناية الخديوي بمطران توجيهه منصب الكرتير المساعد بالجمعية الزراعية الى مطران ، وانعامه عليه في اواسط شهر اغسطس سنة ١٩١٢ بالوسام المجيدي الثالث (٣) وايعازه بواسطة اسماعيل باشا الباظة المشهور بأدبه واتصالاته بالادباء المصريين والسوريين الى «سليم سركيس» — صاحب مجلة «سركيس» — باقامة حفل لتكريم الخليل . وقد لاقت الفكرة صدىً عند جمهور الادباء وأولاها سليم سركيس اهتمامه وجرت في شأنها مكاتبات انتهت بفكرة اقامة الحفل (٤) وفي ٢٤ ابريل سنة ١٩١٣ اقيمت الحفلة في دار «الجامعة المصرية الاهلية» (٥) تحت رعاية سمو الخديوي ونيابة الامير محمد علي عنه . وقد افتتح الحفل الامير محمد علي بكلمة رقيقة اثنى فيها على الشاعر المحتفل به قال فيها :

[لقد سمعت منذ زمان طويل بشهرة ذلك الشاعر الكاتر الصيت وهو حضرة خليل مطران ذ بتهجت بمارصل الي من أفكاره السديدة التي تلي . عما هو من علو في الفطنة وثبات في الرأي ووفور في العلم . ولم

(١) مصر كما أريدها من الوجهة الاقتصادية لمطران — الهلال ، ٣٩ ج ١ ص ١٩ (٢) المقتطف م ٩٣ ج ٤ : الحركات العربية لانيس المقدسي (٣) مجلة سركيس — سنة ١٩١٣ ص ٢١١ ص ١ — ٣ (٤) مجلة سركيس — ١٩١٣ ص ٢١١ — ٢١٥ (٥) مجلة سركيس — ١٩١٣ — ص ٣٤٤ ص ١ — ٢

يكن اعجابي به لما آوتيه من المواهب الجلية في دولة العلم فقط بل لما تحلى به أيضاً من الاخلاق الكريمة التي تحمله دائماً على سلوك طريق الاستقامة وتباعد بينه وبين التحقير لغير حق مما ذلك محبوباً مرموقاً بين الاجلال والاعتبار متأهباً لنيل المجد والفخار

ومن البديهي ان اتصافه بهذه الصفات الممدوحة لم يكن الا نتيجة تربية عالية . . . . وقد وهب الله صديقنا مطران ذكاء فطرياً فجادت قريحته الوقادة بالاشعار الرقيقة والحكم السديدة الدقيقة فرقى بذلك الى الدرجة التي نال بها الحظوة عند خديوينا المعظم .] (١)

ثم القى احمد شوقي بك رئيس الادباء في الحفل قصيدة حيّا فيها مطران . وتوافد بعده الأدباء فألقى جورجي زيدان كلمة عن شعر مطران والتاريخ (مجلة سركيس ، سنة ١٩١٣ ص ٢١٩ — ٢٢٤) . وكتب أمين الريحاني كلمة (المرجع ذاته ص ٢٣٠—٢٣٣) ، والقى حليم دموس شاعر زحلة قصيدة عصماء (المرجع ذاتهُ ص ٢٣٤ — ٢٣٧)

وأرسل جبران خليل جبران من نيويورك أقصوصة عن الشاعر البلكي مدارها خليل مطران وعبقريته (مجلة سركيس — ١٩١٣ — ص ٢٣٨ — ٢٤٤). والقى شبلي بك الملاط مطولة من الشعر (المرجع ذاته ص ٢٥٠ — ٢٥٦)

والقى انطون الجميل كلمة عن شاعرية الخليل [المرجع السابق ذكره — ص ٣١٨ — ٣٢٩ وهو في الأصل مقال بالهلال م ١٦ ج ٩ — (١ يونية ١٩٠٨) ص ٥٣١ — ٥٣٩] . وفي الختام القى الخليل قصيدة عصماء حيّا فيها الذين احتفلوا به وشكر سمو الخديوي والأمير محمد علي (مجلة سركيس — ١٩١٣ ص ٣٤٥ وما بعدها)

لقد كان الاحتفال بمطران مهرجاناً كبيراً للأدب ، ومظهراً للروابط التي كانت تربط سوريا بمصر . وقد ظهر ذلك في اكثر ماقيل في هذا الحفل مما قالهُ الشعراء وما قالهُ الكتاب ، وفيما علقت به الصحف على الحفل (٢) بكل وضوح

كان لهذه الحفلة أثرها الكبير في جو مصر الأدبي ، إذ أظهرت من نمايا المهرجان وما تلي فيه شخص الخليل كأعلم شخصية أدبية في العالم العربي . فقد اشترك في هذا المهرجان جميع أدباء العربية وكتابها وشعرائها وأعلامها والناهين من حملة القلم فيها ، فقد جمعت شوقي بك وحافظ ابراهيم واسماعيل صبري باشا ونقولا رزق الله وبشارة الخوري وحليم دموس وشبلي الملاط ومسعود سماحه ويوسف بك حيدر وأسعد داغر وأحمد نسيم وشكيب أرسلان ومحمد حمدي البشار الذين اشتركوا بمقطوعات وقصائد من الشعر ، كما جمعت جورجي زيدان وأمين الريحاني وجبران خليل جبران وماري زيادة وانطون الجميل ومحمد لطفي جمعة وعباس محمود العقاد ومحمد كرد علي الذين اشتركوا بمقتطفات أقلامهم ، والدكتور ابراهيم شدودي الذي اشترك

(١) مجلة سركيس ١٩١٣ — عدد خاص عن مطران . ص ٣٤٠—٣٤٢

(٢) مجلة سركيس ١٩١٣ . ص ٢١ ص ١٦ — ١٧ و ص ٢٢٦ بالمقطع الثاني من القصيدة وص ٢٤٣ — ٢٤٤ وص ٢٥٤ — ٢٥٥ مثلاً . . .

في المهرجان الكبير بقطعة زجلية رائعة . وقد نشر معظم هذه القصائد والتتمات التالية في مجلة سركيس في عدد خاص [١]، كما نشر في الأعداد التالية ما لم يتسع لهُ العدد الخاص . ولا شك أن هذا الحفل كان أعظم مهرجان أدبي شهدتهُ البلاد العربية ومصر الى ذلك الحين ، ولم يجيء بعده ما يضارعهُ غير يوبيل المقتطف عام ١٩٢٦ وحفل مبايعة شوقي بك بإمارة الشعر في دار الاوبرا الملكيَّة عام ١٩٢٧ . ومما لاريبة فيهِ أن هذه الحفلة حققت أغراضها من حيث القضاء على الدعاية التي كان يروّج لها البعض للتفرقة بين المصريين والسوريين . كما أنها كانت خير مكافأة لمطران على جهوده الأدبية وخدماته للخديوي وليته واخلاصه لمصر ، تلك الاشياء التي شهد له الأمير محمد علي بها فقال في حديث لهُ عام ١٩١٣ :

« قد عرفت مطران من عهد والدي حتى الآن فرأيته قد امتاز بانصرافه كرهذا الزمان الى المحافظة على خطة ولاء مستقيمة لم يحد عنها كل حياته الفنية في مصر وهذا الثبات على المبادىء والاخلاص الدائم لمصر والمصريين هو فضيلة يجب اختيارها واكرام المتحلي بها (٢)

***

يظهر مطران في الفترة التي جاءت قبل الحرب العظمى متشبعاً بفكرة الجامعة العثمانية ، وذلك بحكم عواطفه التي كانت تجري مع عواطف معظم المصريين في ذلك الحين مما سبق الإشارة اليهِ . أما بعد الحرب فنرى عواطفه مصرية وإن خالطها بعض العطف على بلاده الأولى سوريا . وهذا التطور نتيجة لأحداث الحرب والآثار التي خلفتها في المجتمع المصري ، كالثورة المصرية التي أظهرت الشعور المصري ميالاً الى الاستقلال منقبضاً على نفسهِ عند حدود قوميته . وقد جارى مطران هذا الشعور الجديد فمال مع الفكرة القومية المصرية وأيَّد سعد زغلول في حركتهِ الوطنية وألَّف ملفَّ الوطنيين المصريين في حملتهم على السياسة الانجليزية . على أننا يجب ألا ننسى ان هذا الشعور طبيعي عند مطران لو نظرنا الى ان الأحوال التي كانت مصر تجتازها كانت سوريا بلاده تجتازها ايضاً . ومن هنا كان صدق الشعور عند الرجل وخلوص العاطفة في مبادهِ مع الفكرة القومية المصرية

ويظهر ميل مطران مع الفكرة القومية المصرية في قصائده التي تتصل بذكريات جهاد مصر في سبيل استقلالها وتأمين دستورها وفي مرثاته لسعد باشا زغلول عام ١٩٢٧ التي ضمنها الكثير من التصاوير والمهاويل الشعرية التي تحمل خلجات نفسهِ وميول عاطفته نحو مصر [٣] . وكذلك في مرثاته لصديقهِ محمد بك أبو شادي تظهر ميوله واضحة . يقول مطران :

زمان تغنينا المجد فيهِ حقوقه ولم نله عن لهو ورشف رضاب

(١) عام ١٩١٣ ص ١٩٠ — ٢٦٠ (٢) مجلة سركيس — عام ١٩١٣ — ص ٢٠٧

(٣) مرثية مطران لابي شادي ص ٧١ — ٧٣ من كتاب محمد أبو شادي — دراسة أدبية تاريخية للسيد عبد الحميد الديلاني وعبد الحفيظ الروبي

محضنا به مصر الهوى لا يشوبه ... سدار قصاص او رجاء ثواب
وما مصر الا جنة الارض سيجت ... بكل كبير الهم غض اهاب
فداها ولم يكترث ان جار حكمها ... فذل محاميها وعز عاتي
فكم وقفة اذ ذاك والموت دونها ... وقفنا وما نلوي اتقاء عقاب
وكم كرة في الصحف والسوط مرهق ... كررنا وما نرتاض غير صعاب(١)

وأنت تلمس في وضوح في هذه الابيات شعور الخليل نحو مصر، وما كان يخالجه من احساس الميل لها والذود عن حياضها، وهذا الشعور يتسق مع ما قلناه بخصوص عواطف الرجل نحو مصر

— ٣ —

اتصلت في الفترة التي بين عام ١٩١٢ وعام ١٩٢٤ الصلة بين نفس مطران وآثار الشاعر العالمي «وليم شكسبير». فقد كان مطران في ذلك الحين يترجم بعض الروائع من مسرحيات شيكسبير الشعرية الى العربية نقلاً عن ترجماتها الفرنسية. وما كان له ان يشتغل بالترجمة ويدير معاني شكسبير في ذهنه حتى يستنزل لها قالبها الشكلي في العربية، الا ويعلق بذهنه بعض معاني «شيكسبير» وأخيلته وتصاويره وتشابيهه ومجازاته الشعرية. ولما كان هذه الاشياء كانت تصطخب في ذهن الخليل، فقد كانت تحضر عنده حين يعرض لنظم الشعر، وتتسرب الى قصائده، ومن هنا جاء ما في شعره لتلك الفترة من التأثر بالاغراض والمعاني الشكسبيرية. ومطران لم يخرج في ذلك عن كونه انساناً يتأثر بمطالعاته خصوصاً اذا كانت من الطراز العالي. فضلاً عن ان هذه الآثار التي بطالما كان يعيد الكرة عليها حتى تلين له معانيها فيقدر على صبها في القالب العربي، ومن هنا كان تذوقه للمعاني الشكسبيرية والاخيلة الخاصة بوليم شيكسبير ماثلة الرواء Fresh دائماً. ولهذا يجب ألا نتحدث عن الاقتباس والمتطرحين نرى مطران يسوق في قصائده الشعرية التي نظمها لتلك الفترة من الزمن بعض المعاني والاغراض والاخيلة الخاصة بشيكسبير. لأن السبب في ذلك واضح ثم عندك لكل من الشاعرين — وليم شيكسبير وخليل مطران — منحاه الخاص في شعره الذي يتسق بطبيعته الخاصة

وشعر مطران لتلك الفترة من الزمن متفرق في بطون مجلات وصحف ذلك العهد وبعضه روي في بعض الكتب الادبية. وهي بعد ذلك لم تجمع في مجموعة شعرية، وأول القصائد التي تصادفنا من آثار تلك الفترة وتلك القصائد التي تتعلق بالحرب الطرابلسية، نجد تماذج منها في كتاب الشعراء الثلاثة (في سبيل الهلال الاحمر ٣٠٨ — ٣١١ ووداع لبنات الهلال الاحمر ص ٣١٤) كما نجد مقطوعة في المنتخف (عتاب واستعراض — م ٨٤ ج ٦ ص ٩٦٣). ثم يجيء بعد ذلك قصائد ومقطوعات في الرثاء وفي بعض حفلات التكريم التي أقيمت لفلك العهد، من ذلك قصيدته التي القاها عن تحية الشام لمصر في نادي الاتحاد السوري في ٢٨ ابريل ١٩١٥ ومستهلها:

الى مصر أزف عن الشآم ... تحيات الكرام الى الكرام

وتجدها في الشعراء الثلاثة ص ٣٣٢—٣٣٤ ورثاؤه لشيخ علي يوسف (ص ٢٧٤—٢٧٧ الشعراء الثلاثة وقد قيلت في حفل الاربعين بدار السادات مساء ٥ ديسمبر ١٩١٣) ومرثاته لجورجي زيدان

(١) مجموعة المراثي التي قيلت في سعد وغلول

(ص ٣٠٢ — ٣٠٣ الشعراء الثلاثة) ورثاؤه للقولا رزق الله (ص ٩٩٥ من الهلال م ٢٣ ج ٨ بولية ١٩١٥) وقصيدته عن ميشيل لطف الله وما نرد زص ٢٢٨ — ٢٣١ من الهلال م ٢٤ ج ٣ ديسمبر ١٩١٥) والقصيدة منشورة بخط مطران) وقصيدته لملاطفة الطبية الشوام الازهر (الهلال م ٢ ج ٦ ص ٥٠٤ والشعراء الثلاثة ص ٣٤٥—٣٤٦) وفي مستهلها يقول :

يا مصر أنت الاهل والسكن وحمى على الارواح مؤتمن

ومن قصائده الغر لذلك العهد قصيدته عن « وفاء وردة » (الهلال م ٢٥ ج ٢ ص ٢٣٠—٢٤٠) ومرثاة للدكتور شبلي شميل (١) (الهلال م ٢٥ ج ٥ ص ٤٢٤—٤٢٦ وبين الرياض وصاحبه (٢) (الهلال م ٢٥ ج ٨ ص ٦٢٤—٦٢٦) و« الالم أخاء والوسيلة السخاء» (الهلال م ٢٦ ج ١ ص ٥٤٣—٥٤٤) ومستهلها :

عنوكم ما تقدمه أقـــدام حتى مثلنا عن مثله الاحجام

وتحية مطران لشوقي عقب عودته من المنفى (الشعراء الثلاثة ص ٢٥٩ — ٢٦٣) وقصيدة الاخاء والوئام بين آباء مصر وابناء الشام (الهلال م ٢٧ ج ٨ ص ٧٤١ — ٧٤٣ وقد القيت في حفل في دار البطريركية الماورية بالقاهرة) و « حكاية وردة » (الهلال م ٢٧ ج ١٠ ص ٨٩٧ — ٩٠٠) وفيها التأثر واضح بسوتات شيكسبير وقصيدة « يوم اليرميل او مرقص البر والبحر » (م ٢٩ ج ١ ص ٧٠ — ٧٢) و « الحياة والفن في تكريم محمود مختار المثال بمناسبة تمثاله نهضة مصر (الهلال م ٢٩ ج ١ ص ١٧ — ١٨) ومرثاته لولي الدين يكن (الهلال م ٢٩ ج ٨ ص ٧٤٣—٧٤٤ وقد ألقيت في حفلة التأبين) وقصيدة « الخديعة المرشوشة » (الهلال م ٣٠ ج ١ ص ١٦) و « الى تي » شكراً لها على اهدائها له « ابتسامات ودموع » (الهلال م ٣٠ ج ٢ ص ١٢٥—١٢٧) و « رثاء مريانا مراش » (الهلال م ٣٠ ج ٤ ص ٣٢١ ٣٢٢ ومقدمة بكلمة من مجلة الهلال فيها ان هذه القصيدة بوصفها لم يسبق مطران اليها سابق في العربية) و « النوارة او زهرة المرغريت » (الهلال م ٣٠ ج ٤ ص ٣٣٠) و « نشيد الكشافة » (الهلال م ٣٠ ج ٤ ص ٣٨٧) و « رثاء نسرم شقير » (الهلال م ٣٠ ج ٨ ص ٧٤٤ — ٧٤٥) ومرثاة اسماعيل صبري باشا (الشعراء الثلاثة ص ٢٧٧ — ٢٨٣) و « الشر الذهبي » (الهلال م ٣٢ ج ١ — ص ٣٩) و « صيحة ألم » (الهلال م ٣٢ ج ٣ ص ٢٤١) و « يوم الخميس » (الهلال م ٣٢ ج ٥ ص ٤٧٦—٤٧٧) وفي ظل تمثال رمسيس (المقتطف م ٦٠ ج ٢ ص ١٢٩—١٣٤) و « الحسن الجديد » (الهلال م ٣٢ ج ٧ ص ٦٨٩) و « نشيد توت عنخ آمون » (الهلال م ٣٢ ج ٩ ص ٩٠٣ وقد لحنها فيكتوريا ملحسة وأنشدتها في حفل)]

وفي هذا الوقت في صيف عام ١٩٢٤ سافر مطران الى سوريا وطاف في ربوعها وانتهى الى حلب وعملت له حفل تكريم في نادي الشبيبة الكاثوليكية تحت رعاية الحاكم العام لحلب وذلك في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٤ وألقى فيها مطران قصيدة عصماء عن حلب (تجدها ص ٤٨٩ — ٤٩٢ من مجلة الكلمة السنة ١٣ عدد تشرين ثاني وكانون أول ١٩٣٨)

ورجع مطران من القطر السوري وعكف على ترجمة كتاب عن البرو فسور باون مدير جامعة اكس موضوعهُ الارادة ، نشر منهُ فصولاً في مجلة الهلال، تجدها متفرقة على صفحاتها (٣) الحين

---

(١) الهلال م ٣٦ ج ٠ ص ١٢٠٤ يقول مطران : انه يتعرض لغرض الشعر بايجاز فاظهر مثال ذلك مرثاته لشبلي شميل. فقد جعله الحزن يجيد بدلا من ان يستسلم للدموع ويبكي، فهو يفرج عن ضيق نفسه وتطلقة الحزن التي عند تأليف القصيدة ويخرج منها كالرجل الحزول يكي حتى يكاد يقتل نفسه من البكاء

(٢) نظمت عام ١٩١٤ وأهديت الى مدام قتلا باشا شكراً لها على اهدائها هدية ثمينة اليه وهي من النوع الرمزي — ص ٢٦١ ص ٢ م ٢٥ ج ٨ من الهلال (٣) الهلال م ٣٣ ج ١ ص ٥٧ — ٦٢ وج ٢ ص ١٢٥—١٢٧ وج ٣ ص ٢٤٢ — ٢٤٤ وج ٤ ص ٣٥٧—٣٦٠ وج ٥ ص ٤٧٢—٤٧٥ وج ٦ ص ٦٣٤ — ٦٣٦

وقد أظهر مطران لهذه الفترة من الزمن بجانب نشاطه في عالم الشعر ، نشاطاً يذكر في عالم النثر . فقد نشر ثلاثاً من ترجماته لروائع مسرحيات وليم شيكسبير وقد سبقت الاشارة الى ذلك ، كما كتب مطران فصولاً أدبية تمتاز بطلاوتها الصيقة في الاهرام والهلال والمقتطف ، من تلك الكتابات ما كتبهُ عن دائرة المعارف لفريد وجدي (الأهرام — ١٩ سبتمبر ١٩٣٢) ، وما كتبهُ عن الجزء الثاني من البؤساء ترجمة صديقه حافظ ابراهيم (الأهرام ١٠ اكتوبر ١٩٣٢) ، وما نشرهُ عن كتاب « كلمات وإشارات » للأستاذ مي (الهلال م ٣٠ ج ٥ ص ٤٩٩ — ٥٠٤) ، وما كتبهُ من دراسة نقدية لديوان ولي الدين يكن (المقتطف م ٦٦ ج ٣ ص ٢٤١ — ٢٤٩)

***

تعتبر الفترة التي بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٣٨ ، الفترة التي بلغ فيها الخليل ذروته من الشعر وقد استهل هذه الفترة بملحمته العظمى « نيرون » التي تعتبر اول ملحمة من الشعر في الادب العربي ، وهي خير ما نظمهُ الخليل ، ويظهر فيها مطران وقد ملك أعنة خياله الوثاب وهضم شيكسبير هضماً قوياً فلم تتسرب معانيه وأغراضه الى ملحمته الا بعد ان مثلها وأدارها في ذهنه فجاءت من نفسه . وهذه الفترة من حياة مطران يمكن ان نقول عنها ، انها فترة ظهوره بالاغراض الشيكسبيرية في الشعر ، ولكن على اساس من الرجوع الى نفسه

والاشعار التي قالها مطران لهذه الفترة من الزمن غير مجموعة في ديوان ، فهي متفرقة في بطون صحف ومجلات ذلك العهد ، ونحن نذكر منها ونسجل أهم ما استوقفنا منها على ان نعود في المبحث العاشر ونثبتها كلها . وأول ما يصادفنا من شعره لتلك الفترة الزمنية قصيدته « باشات الازهار » (الهلال م ٣٥ ج ١ ص ٢٤ قيلت في وصف فتيات يبعن الازهار في حفلة لاعانة منكوبي الشام) و« وصف مغنية » (الهلال م ٣٥ ج ١ ص ١٧٧ وهي في وصف مغنية شاهدها في حفلة وئام واتلاف) و « ايزيس او لعب الحالد » (الهلال م ٣٦ ج ٦ ص ٦٥١ — ٦٥٢) و « موليير » (م ٣٧ ج ١ ص ١٨ — ١٩ من الهلال) و « في سبيل الصناعة الوطنية » (الهلال م ٣٨ ج ١ ص ٤٤ — ٤٥) و « ما مصير القوم » (المقتطف م ٧٧ ج ٣ ص ٢٥٦) و « هند » (الهلال م ٣٩ ج ٢ ص ١٨٩) و « بنت شيخ القبيلة » (المقتطف م ٨٠ ج ١ ص ٢٣ — ٢٤) و « مفاخر الهدايا للعروس المحسنة » (ابولو . م ١ ج ٣ ص ٧٢٤ — ٧٢٧ وهي في ٩ مقاطيع) و « الترجمة » (الهلال م ٤١ ج ٩ ص ١٢٥٩) و« مرثاة حافظ » (ابولو م ١ ج ١١ ص ١٢٩٨—١٣٠٦ وتعليق عليها للاستاذ احمد الشايب في نفس المرجع ص١٣٠٦—١٣١٠) و « بنفسجة في عروة » (ابولو م ١ ج ١ ص ٦ — ٨) و « النيل الخالد » (أبولو م ١ ج ٤ ص ٤٨٧ — ٤٩١) و « تكريم زكي مبارك » (أبولو م ٢ ج ٩ ص ٨٠٧ — ٨٠٨) و « رثاء شيخ العروبة » أبولو م ٣ ج ٤ ص ٥٧٦ — ٥٧٨) و « بين عروسين » (مجلتي م ١ ج ٥ ص٤٧٣ — ٤٧٥) و « شبل الاسد » (الاهرام ٢٩ — ٧ — ١٩٣٧ ص ٩)

وقد تضافرت الروايات عام ١٩٣٣ عن عزم مطران ان يخرج مجموع شعره كاملاً في ديوان مشفوعاً بدراسة نقدية وافية من قلم الدكتور طه حسين[1] غير انهُ على الرغم من مضي

(١) ابولو : م ١ ج ٢ ص ٧٠٢ وبروكلمان في تكملة تاريخ الآداب العربية . الملحق الثاني فقرة ١٥ ص ٨٩ — ٩٦)

خمس سنوات على ذلك التاريخ ، لم يخرج مطران شيئاً . وان كان يروي من جديد انهُ شارع في جمع شعره وتنقيحه مقدمة لإخراجه في ديوان على ابناء العربية . ولا شك ان صدور مثل هذا الديوان سيكون شيئاً عظيماً للادب العربي المعاصر ، لانهُ سيجمع شعر ثلاثين سنة من نظم الخليل مما لم يثبت في ديوانه الاول وما هو متفرق في بطون الصحف والمجلات العربية في مصر وسوريا ولبنان . على اننا من باب التسجيل التاريخي قد اثبتنا هنا ما قدرنا على اثباته من المواضع التي عثرنا فيها على شعره ، وسنثبت في البحث العاشر ، كل ما عثرنا عليه من كلام منظوم أو منثور في نثر يساعد من جهة على حصر آثاره ، ومن جهة أخرى على دراسة شعره

***

لقد ساعد ما كان للخليل من حظ في الحياة الأدبية العربيّة أن يجعل لهُ مكاناً بين أدباء العربية المعاصرين ، فذاع وانتشر اسمهُ وأصبح الرجل ملء اسماع الناس في الشرق العربي ، واتيح لهُ المستشرقون في أوربا ، فكتبوا عنهُ وجعلوهُ رأس مدرسة جديدة في الأدب العربي (١) وذهب البعض يقارن بينهُ وبين شوقي بك ، ومنهم من قدَّمهُ على شوقي واتخذهُ اماماً وزعيماً للشعر المعاصر (٢) — ذلك أنهم أخذوا بروعة الجديد الذي حمله شعر الخليل ومنحاهُ الشخصي في شعره الذي يطبعهُ بطابع خاص (٣) — وليس هنا مجال الكلام على شاعرية الخليل وأغراض شعره وما يلبسهُ هذا الشعر من الصور التي يرتديها من عالمي الوجدان والطبيعة ، فلذلك مكانه الخاص من دراستنا . اما الذي نريد تقريره هنا ، أن هذه الحياة الحافلة التي عاشها الخليل نظراً لانها كانت حياة ضخمة ، فقد ملأت أسماع الناس ، وكانت قدوة للكثيرين ، وأحدثت أثراً لم يحدثهُ غير القليل من الأدباء الاعلام الذين عاصروه

والواقع ان مطران عاش عيشتين : عيشة مادية في عالم الواقع ، تتضح صورتها في جهاده في الاعمال المالية والاقتصادية والزراعية . وعيشة ذهنية تتظاهر في الحياة الشعرية التي عاشها . غير ان الحياة الذهنية كانت غالبة عليهِ ، ولهذا لم ينجح مطران في حياته في عالم الاعمال ، وهو نفسه يعترف بأنهُ لم يخلق للجهد العملي وان عبقريته الحقيقية لا تخرج عن عالم الذهن (٤)

وحياة مطران التي دارت في معظمها في عالم الذهن ، كانت حياة شعورية يتعارض في

(١) بروكلمان تكملة تاريخ الآداب العربية . الجزء الثاني فقرة ١٥

(٢) صديق شيبوب — البصير — العدد ٨٤١٨ — ٥ يونية ١٩٢٥ ص ١

(٣) صديق شيبوب في البصير — ٥ يونية ١٩٢٥ ص ١ والنائب في أبولو م ١ ج ١١ ص ١٣٠٧ — ١٣٠٨ (٤) مطران في حديث له مع سلامه موسى بالهلال م ٣٦ ج ٩ ص ١٠٣٤—١٠٣٨

شبكة اقوالها الفكر والعقل . ومن هنا كان مطران شاعر الفكرة في الأدب العربي الحديث[١] ،

وقد عرف ذلك معاصروه عنهُ فاعترفوا له به وفي ذلك يقول حافظ ابرهيم :

« هو في طليعة أولئك الذين خرجوا من أفق التقليد ، وصدعوا قيود التقييد ، وأوسعوا صدر الشعر العربي للخيال الأعجمي . وأسعوا فيه للتقصي وتصوير الحوادث وطوعوا بسرد وقائع التاريخ نفتح بذلك فتحاً جديداً » (٢)

كما وان الاستاذ الشايب يعترف له بذلك فيقول :

[ان مطران ليس شاعراً فقط أو هو شاعر من الطراز المثقف ، هو عالم وأديب : صياغة بديعة ، وتصوير صادق ، وخيال عام ، وأفكار عديدة] (٣) ـــ

هذا والشيخ ابراهيم اليازجي يشهد له بتمكنه في الأدب الى حدّ أنّ ليس بين المعاصرين من يقدر أن يمشي معهُ فيقول عن قصيدته في رثاء نجيب الحداد

« هذا هو شعر خليل مطران الحقيقي ولو كان شعره على هذه الصور والمعاني وهذا الحسن في الصنعة في اظهار العواطف لما مشى معه أحد من المعاصرين (٤)

وليس المجال استقصاء كل ما قيل في الخليل فهو لو جمع لكان كتاباً ضخماً[٥]

خاتمة

يبلغ الخليل الآن من سني حياته العامرة بحافل الاعمال والآثار الثامنة والستين من عمره . وقد عرضنا لهذه الحياة في خطوطها العامة ونزلنا بها الى الأصل الثابت من نفسه مستعينين على ذلك بكلام الخليل حيناً وبما كتب عنهُ حيناً آخر ، ماثلين الفراغ الذي في هيكل حياته بما يمكن أن يُستخلص من شعره . وهكذا انتظمت معنا حياته في سلسلة تتدرج جميعها في صورة مطردة ترتكز على الواقع . اما امتداد هذه السلسلة في المستقبل فنتركه الى الزمن بحيث لا يخرج ما يجد لمطران من وقائع وآثار عن نطاق الخطوط التي رسمناها لشخصيته في دراستنا

على أنهُ مما يحسن التنبيه اليه هنا اننا في اثناء استعراض سيرة الرجل لم نتوسع في سرد الشواهد التي اعتمدناها لتفصيل حياته والاستدلال بها على الاصل الثابت من شخصيته لان الكثير من هذه الشواهد مبثوث في المراجع التي اثبتناها في الحواشي وقد تركناها لمراجعة القارىء وفطنته

---

(١) أحمد الشايب في مجلة أبولو م ١ ج ١١ ص ١٣٠٧ ـــ ١٣٠٨

(٢) الشعراء الثلاثة ص ٣٥٣ ـــ ٣٥٤ (٣) الشايب في ابولو م ١ ج ١١ ص ١٣٠٧ (٤) أنيس الجليس ، السنة ٩ ج ٩ ص ٣٧١ (٥) أنظر العدد الخاص بمطران من مجلة سركيس ـ عام ١٩١٣ ـ والشعراء الثلاثة ص ٣٥٢ ـ ٣٥٥ ومن المهم أن نقول أن في المصدر الاخير يوجد كلام عن مطران ص ٥٣ منسوب للمنفلوطي وهو في الاصل منشور بمجلة سركيس م ٢ ج ١٩ سبتمبر ١٩٠٦) ص ٢٧٦ جاء ضمن مقال بعنوان طبقات الشعراء بدون توقيع ويظن أنه للرافعي

أن تؤمني ...

للدكتور ابراهيم ناجي

أنتِ أن تؤمني بحبي كفاني لا غرامي ولا جمالك فاني

أجدَبَ الهجر خاطري وجناني وأجَفَّ النوى دمي ولساني

فتعالي روّي الظّما في عيوني واجنوني لقطرةٍ من حَنان

طال والله في بعادك ذُلّي وبقوني على ديار الهوان

أي سحر أُحيشُهُ أي روحٍ سكبتْ فيَّ طاقه العيّان

لكأنّ الرسيم ما تبتان وكأنّ النشور ما تسكبان

وكأنّي محلّقٌ في سماء ومُطلٌّ بها على الأكوان

مستعزٌّ بما مَنَحْتِ قويٌّ أجمع الكون كلّه في عناني

الأثمار

وقيمتها الغذائية

للدكتور عبده رزق

تُعدُّ الاثمار بلا مراء في مقدمة الاطعمة المفيدة بل الضرورية لصحة الانسان. وميل الاولاد بدافع الفطرة الى محبة الاثمار من أفضل الأدلة التي تدعو الانسان الى تناولها حسبما يلائم صحته وسنه . فهي تنقل الى الانسان محضّرات « المطبخ الشمسي والجوي » النجيبة التي لا يمكن الشك في مناشئها لحظة واحدة . زد على ذلك فالاثمار ليست بالاطعمة التي تجهد الجهاز الهضمي أو تسبب ارتباكاً فيه متى أُخذت باعتدال ، ولا هي فقيرة من ناحية قيمتها الغذائية ، بل على الضدّ من ذلك يجب اعتبارها أطعمة تدّخر فيها قوى حيوية عظيمة

ولذلك فالمداواة بالاثمار أو عصاراتها من الامور المعروفة اليوم كوسيلة لتنقية الجسم من الأدران والفضلات السامة في كثير من الامراض الحادة والمزمنة بفضل فعلها القوي والمنقي معاً، وهذه المداواة لا تختلف في تأثيرها في المريض عن الاقتصار على اللبن الحليب في الامراض نفسها

وعدا ذلك فقد ثبت بالاختبار أن الانسان الذي يقتصر على تناول الاثمار يسهل عليه أن يعيش بغير انزعاج خلافاً لما يعتقده بعضهم من أنها خالية من المواد المغذية ، ولستُ اقصد بذلك الرجوع الى ما كان عليه اجدادنا الاولون الذين كانوا يقتصرون على تناول الاثمار دون سواها، انما يجب علينا تعاطيها اكثر مما تعاطاها عادةً في هذه الايام، أولاً لانها تعتبر دواء مفيداً جداً ضد الامساك، وثانياً لكونها مغذية ورخيصة معاً . ثم ان عصيرها يثير الشهية للطعام كما أن رائحتها وطعمها يفعلان فعل التوابل والمقبلات . ولنأخذ مثلاً على قيمة الاثمار الغذائية الموز، الذي يحتوي في الكيلوغرام الواحد على : ٦ الى ١٢ غراماً من المادة الزلالية و ٣ الى ١٢ غراماً من المواد الدهنية و١٣١ الى ٢١٨ غراماً من هيدرات الكربون . ومن هذا يمكننا أن نستنتج أن الانسان يستطيع أن يعيش اذا اكتفى بأكل الاثمار. والذين يدعون الى مذهب الاقتصار على الفواكه يفضّل رأيهم على رأي الذين يدعون الى الاقتصار على تناول الخضروات . لأن الاثمار غنية خاصة بالاملاح العضوية : كالطرطيرات والمالات والسيترات التي تسبب افرازاً وافراً من عصير الكرياس ، كما انها تحتوي ايضاً على الفليكوز واللفلوز وغيرها من المواد التي تحترق وتمد الجسم بالقوة والحرارة. وعلاوة على هذا كله فالاثمار تحتوي على الڤيتامين — هذه الاجسام الغريبة التي لا تزال معلوماتنا عنها ناقصة على كثرة المكتوبات الحديثة في ميدانها ولكن لا يختلف باحثان مختصان في أنها ضرورية للحياة

انما هناك شيء واحد يؤسف لهُ وهو ان تعاطي الفواكه النضة او النيئة يتطلب دوماً النظر في حالة الامعاء والمعدة ، فبعض الناس مثلاً لا تستطيع معدتهم ان تتحمل سوى أصناف معينة من تلك الفواكه لان هذه تسبب غالباً عند المصابين بسمر الهضم عجزاً وارتباكاً في الجهاز الهضمي، فيشعر المريض إذ ذاك بثقل في المعدة في اثناء النهار ، وباضطراب وأحلام مزعجة ليلاً في أثناء النوم

واليك الآن اصناف الأثمار المسموح بتناولها لذوي المعد السقيمة :— ١ — الأثمار الناضجة : العنب . الخوخ . الموز . الدراقن . يوسف افندي ٢ — الأثمار المطبوخة : التفاح . الخوخ . الموز . البرتقال . المشمش . الاناناس . الدراقن . الكرز . التوت الافرنجي (Fraises)

اما الأثمار المنوعة عنهم سواء أكانت أم ناضجة فهي : الاجاص . الرياس (Groseilles) كذلك الأثمار الجافة الشديدة الحلاوة كالتين والتمور . والدسمة : كالجوز واللوز والبندق

ومن الأثمار ما يسبب اضطراباً في الهضم بالنظر لتركيب انسجتها الخارجية : كالاجاص (الكمثرى) والتفاح فهي على الرغم من نضوجها التام لا تلائم الذين يشكون ارتباكاً في وظائف الهضم وخاصة عند الذين يمضغون مضغاً ناقصاً او الذي تلفت اسنانهم اي أصيبت بالنخر . فالحالة هذه تؤثر الأثمار المذكورة تأثيراً سيئاً وتسبب نفس الاضطرابات التي تحصل أحياناً من تناول رياش البيض الجامد او الفطر (Champignons) وبذلك تكون عائقاً للعمليات الهضمية وتعمل عمل الاجسام الغريبة في الجسم . كذلك تعمل التمور والتين وتشور بعض الأثمار (كالدراقن والخوخ والاجاص الخ) — عندما يعتري اعضاء الهضم او وظائفه ضعف ما

وبوجه عام يجب الامتناع عن تناول الأثمار الا بعد نضوجها التام اي بعد ان تكون قد طرأت عليها الدورة الطبيعية تحت تأثير الشمس ، وبعبارة أخرى التغيرات التي تميزها عن الأثمار القبة

والثمرة الناضجة تحتوي على : ١ — الماء : وذلك بنسبة ٧٨ الى ٩٠ ٪ اما الموز فاؤه أقل (٧٤ ٪) وأما البطيخ الاصفر فاؤه اكثر (٩٥ ٪) ٢ — السكر وهو ما تتميز به الثمرة الناضجة فيعطيها قسماً وافراً من حلاوته ٣ — الحوامض : ان حموضة الأثمار تختلف باختلاف نوعها ونضجها تكون ٢ الى ٣ ٪ ٤ — الروائح العطرة : وهذه تعطي مختلف الأثمار الناضجة طعماً ورائحة خاصين بها ٥ — سليلوس : تسم من هذا على الأقل يعد من نفايات الجسم . لكنهُ يساعد ميكانيكيًّا حركات الامعاء الدورية التي تحصل بتأثير تقلص أليافها العضلية ، وبذلك يساعد على تفريغ الامعاء بانتظام . فضلاً عن هذا فبعض الأثمار تحتوي على مواد دهنية (كالجوز واللوز والبندق) وأخرى تحتوي على مواد نشوية كالموز مثلاً

اما نسبة السكر في ثمرة ما فتختلف دائماً بحسب حالة نضوجها وبحسب السنين أيضاً . ففي فصول الصيف الجافة والمشمسة مثلاً تكون نسبة سكر الأثمار فيها وافرة . اما في فصول الصيف الرطبة والقليلة شمسها فالأمر يكون على عكس ذلك اي ان نسبة السكر في الأثمار تكون فيها

قليلة وحموضتها شديدة . ومن ذلك نستخلص النتيجة التالية: في بعض السنين الجافة والحارة جداً يكون السكر متجمعاً — الى حدٍ ما — في لب الاثمار حتى ان عصيرها يلوّث اصابع الذي يتناولها . بينما في السنين الرطبة والقليلة شمسها لا تلاحظ تلك الخاصية على الاطلاق . وهذا يخشى في فصول الصيف الحارة والجافة من اعطاء الاثمار الى المصابين بضعف ما في الجهاز الهضمي ، واذا اردنا ان نسمح لهم بتناولها فليكن ذلك بالاحتراس التام ، ولا سيما الذين يشكون مرضاً ما في الكبد . أما الذين يهضمون الاثمار على انواعها جيداً ففائدتها الصحية تقضي بأن يتناولوا منها ما يشاءون بدون وجل او تردد . وأما ذوو المعد الضعيفة فينبغي ان يقتصروا على تناول الاثمار المطبوخة وذلك بشكل (خبيصة) Marmalade بدون اضافة السكر اليها او عدم اضافته مع العلم ان الاكثار من السكر يسبب حرقة المعدة . وخبيصة الفواكه المطبوخة تفضل بوجه عام على المربى لكونها تحتوي على قليل من السكر وكثير من الماء

ويجب ألا يغرب عن ذهننا ان هضم الاثمار منوط على الخصوص بفعل المضغ . فبقدر ما تكون الثمرة ممضوغة بالاسنان وممزوجة باللعاب يكون هضمها ، كما هو معلوم ، سهلاً وأدنى الى التمام أما اصناف الاثمار المطبوخة الصعب هضمها والتي ينبغي على كل شخص ضعيف المعدة أن يتجنبها فهي:

(١) عصير الاثمار المجمد (Gelée) ومربيات النواكه لاحتوائها على قدر وافر من السكر (٢) الاثمار المطبوخة عند ما تكون كاملة او مقطعة قطعاً (Compotes) (٣) الاثمار المجمدة والمشربة السكر ، والاثمار المطبوخة المضاف عرق اليها (٤) اقراص المجنات واقراص الحلوى المحشوة بالاثمار لان تعيين هذه الاقراص يكون غير مختمر اختماراً كافياً

ومن فوائد تناول مقادير وافرة من الاثمار في حالة الصحة ، مكافحتها وطأة الامساك لأنها تطرد السموم من الجسم كما ذكرنا اعلاه وتلين الامعاء وتسهل تفريغها بما تحتوي عليه من مقادير وافرة من الفلويات والماء . وهذا المفعول الحسن له تأثيره بنوع خاص في الكبد والكلى والدورة الدموية التي يخف التعب عنها كثيراً ولاسيما الكلى التي تستريح لأن الاثمار لا تسبب لها اي تعب او اجهاد . وللحصول على أفضل نتيجة يحسن بنا تناول الاثمار قبل طعام الفطور صباحاً ، وفي الساعة ١٠ صباحاً ، كذلك في الساعة ٤ بعد الظهر . ومما يجدر ذكره أيضاً ان بعض الاطباء كانوا الى عهد قريب يمنعون الاثمار عن المصابين بداء الرئة والنقرس خوفاً من تأثير الاملاح العضوية التي تحتويها هذه الاثمار . لكن أطباء اليوم قد خالفوا هذه الفكرة الخاطئة واوصوا بتناول مقادير وافرة من الاثمار مذعنين بأن تلك الاملاح تتحول في الجسم الى كربونات قلوية تزيل حموضة الدم . ولهذا نعرف أن نقدّر اليوم ما للاثمار من المفعول الحسن في داء النقرس والرئة فيوصى يومياً بتناولها وخاصة العنب والكرز والتوت الافرنجي والليمون الحامض الخ . انما يجب الاحتراس كي لا يحصل اضطراب في الجهاز الهضمي اي ان لا يتجاوز ما يتناوله

الانسان منها الحدّ اللازم . والى القارىء نبذتين خاصتين بالكرز والتوت الافرنجي :

(١) الكرز : يحتوي الكرز الغضّ في حالة نضوجه التام على ٨٠ ٪ من الماء و ١٠ من السكر و ٣ هيدرات الكربون و ١ حوامض و ٠٫٧ مواد زلالية و ٦ سليلوس . ومن الضروري التمييز بين الكرز الحلو والكرز الحامض . فالأول منها يوصى باستعماله بنوع خاص في حالة المصابين بعسر الهضم ، بينما الثاني لا يمكن السماح به لجميع المصابين على السواء . وعلى كل ينبغي ان يكون الكرز ناضجاً نضوجاً تامًّا ، وكأغلب الأثمار يجب منعه عن المصابين بالالتهاب المعوي

والكرز يُعتبر صحيًّا من المبردات اللطيفة ولاسيما اذا مزجنا عصيره بالماء وأعطيناه كشراب للمحمومين . كذلك يكون مفيداً جدًّا كمدرّ للبول وملين خفيف للامعاء . ومن الكرز الجاف يمكن تهيئة منقوع مفلٍ كمدرّ للبول ايضاً وذلك باضافة ٥٠ غراماً من الكرز الجاف الى ليتر واحد من الماء . فهذا المنقوع يفيد جدًّا الاشخاص الذين ادرارهم كثيف ونادر ، كذا ينفع المصابين بداء النقرس والرثية . وسواء كان الكرز طازجاً او مطبوخاً فهضمه سهل جدًّا . اما المربيات المستحضرة منهُ فتتطلب معدة سليمة لهضمها دفعاً لحصول ثقل في المعدة والامعاء

أما الكرز الجاف فيحتوي في كل ١٠٠ غرام على : ماء ٥٠ و سكّر ٣١ وهيدرات الكربون ١٤ ومواد زلالية ٢ وبقايا ١٫٥ . واذا اردنا الآن ان نأخذ مقداراً معيناً من الكرز الجاف والكرز الطازج فالأول منهما يكون اكثر غناء من الثاني

(٢) التوت الافرنجي : يختلف مفعول هذا الثمر باختلاف الاشخاص . وبوجهٍ عام يُعدّ من الأثمار الملطفة للجسم . أما لذوي المعدة الضعيفة ولذوي الاستعداد لبعض الامراض الجلدية كالشري والاكزيما فيعتبر مضرًّا . وعلى نقيض ذلك يكون مفيداً جدًّا في حالات الرثية وداء النقرس والحرش Arthritisme وعند ذوي الامزجة الصفراوية والامتلاء الدموي وخاصة في حصى المجاري البولية . والاقتصار على تناول التوت الافرنكي يعادل تماماً مناقعه الاقتصار على تناول الشب ، كحمية للمرضى ، عند المصابين بداء الرثية وامراض الكبد والحرش . فيؤخذ منهُ قدر ٢٠٠ الى ٤٠٠ غرام يوميًّا مع الاحتراس في مراقبة حالة الجلد والامعاء لأن هذا الثمر يسبب عند بعضهم الحكة او التهابٍ ويحدث انقباض من ناحية الامعاء . ويحسن باصحاب المعدة الضعيفة تجنب مربيات هذا الثمر لانها تسبب غالباً ثقلاً وارتباكاً في المعدة . أما شراب التوت الافرنجي ففي تركيبه كمايلي : سكر ٦ اقسام وماء قسمان وتوت افرنجي ٣ أقسام . وبعد أن يذاب السكر في الماء يضاف اليها التوت الافرنجي ثم يغلى الخليط بضع دقائق وبعدها يُعصَر ويُصفّى . ولا حاجة الى التذكير هنا أخيراً بضرورة غسل هذه الفواكه قبل تناولها لأن الارض التي تُزرع فيها غالباً ما تسقى بمياه أو سوائل أخرى مشكوك في نظافتها

بحث اقتصادي

صناعي مقابل في موقف
ايطاليا وألمانيا منها

— ١ —

القوة الحربية في العصر الحديث تقوم على أساس صناعي، وما الجيوش والاساطيل وأسلحة الطيران الا الحد النافع من السيف، واما النصل كله فهو ما يعرف باسم «الامة في حالة حرب» ولاسيما صناعاتها وزراعتها ومواصلاتها، والصناعات الحربية على وجه الخصوص. لان ما تتطلبه القوات الحربية من الاسلحة والذخار لاحد له، والصناعات تقوم بعملها على الوجه المطلوب، اذا هي غذيت بتيار لا ينقطع من الخامات، وأهم الخامات التي تحتاج اليها الصناعة في حالة حرب، هي خمسة عشر خاماً — الفحم والحديد والبترول والنحاس والرصاص والنترات والكبريت والقطن والالومنيوم والزنك والمطاط والمنغنيس والنيكل والكروم والتنغستن

فما هو موقف ايطاليا من هذه الخامات؟ أيها يستخرج في أرضها وأيها تحتاج الى استيراده؟ ليس في ارضها فحم ولا بترول ولا نحاس ولا قطن ولا مطاط ولا نيكل ولا كروم ولا تنغستن، ويستخرج من ارضها ١٥ في المائة مما تحتاج اليه من المنغنيس. أما الكبريت والزنك فيستخرج منهما في أرضها مقدار كبير يفيض على ما تحتاج اليه منهما، وأما الحديد فنطاق استخراجه فيها آخذ في الاتساع ولكن المقدار المستخرج لا يكفي تماماً لما تحتاج اليه صناعتها في أبان السلم ولما يكفي نصف ما تحتاج اليه في ابان الحرب، وأما الرصاص والنترات والالومنيوم فتستطيع أرضها ان تجهزها بنحو تلثي الى خمسة اسداس ما تحتاج اليه منها في أبان السلام

وهذا يعني ان إيطاليا لا بدّ ان تعتمد — وهي في حالة حرب — على استيراد كثير من المواد التي تحتاج اليها لمواصلة تلك الحرب. واحتياجها الى الاستيراد متفاوت اذا استثنينا الكبريت والزنك. ولبيان مدى هذه الحاجة نرجع الى ما استوردته سنة ١٩٣٤ وهي آخر سنة يتاح فيها للباحث احصاء يصح الاعتماد عليه فيما يخص وارداتها

ففي تلك السنة استوردت إيطاليا من الحديد والصلب ما قيمته ٣٦٢ مليون ليرا ومن

الزيوت المعدنية ما قيمته ٣٧٧ مليون ليرا . والدولة المستوردة التي في حالة حرب ، تستطيع أن تفوز بما يعوزها من خامات الصناعة والحرب ، بأحد طرق ثلاثة

١ — فإما ان تصنع بديلاً منها بأساليب صناعية اقتصادية

٢ — وإما ان تعتمد على ما تخزنه منها في إبان السلام

٣ — وإما ان تستوردها في خلال الحرب من الخارج

أما الطريق الاول فلا يعلم أن هناك عوضاً أو بديلاً صالحاً يحل محل الحديد والصلب في صنع الاسلحة ولا هناك عوض آخر يحل محل الفحم في صناعة الحديد والصلب ، ولا عوض للبترول في تسيير السفن الحربية المسيرة به ، والطائرات أو السيارات والدبابات التي اصبحت جزءاً اساسيًا في كل جيش حديث . وهذا على سبيل التمثيل دون الحصر

وأما الطريق الثاني، فقد دل تاريخ الحروب على أن ما يستهلك من مواد الحرب في اثناء الحرب يفوق كل ما يقدر لهُ في اثناء السلام . ويضاف الى هذا أن حالة ايطاليا المالية لا تسمح لها بأن تنفق مبالغ طائلة على شراء مواد وخزنها لليوم العصيب لأنها بذلك « تجمد » القليل الذي تملكه من الكبير الأجنبي . وما تستطيع أن تخزنه قد لا يكفي لحرب قصيرة علاوة على ارهاقها من الناحية المالية . وخزن المواد لتحرب جزء اساسي من كل خطة حربية . ولكن هذا المخزون لا يقصد منهُ الا سد الثغرة بين استهلاك السلام واستهلاك الحرب في بدئها . ومهما يعظم المخزون فلا بد من الاستيراد في حرب كبيرة بين دول متكافئة فلا يبقى امامها الا طريق الاستيراد

والاستيراد من الخارج يقتضي في المقام الأول اعتمادات مالية اجنبية . والاعتمادات المالية الاجنبية تجيء إما من زيادة الصادر على الوارد . وإما من ثروة ابناء الدولة المثمرة في البلدان الاجنبية تنفق عند الحاجة اليها وتنفق لشراء المواد اللازمة . وإما بتصدير الذهب

وحالة إيطاليا التجارية في العهد الاخير لا تتيح لها الاعتمادات الاجنبية من طريق زيادة صادرها على واردها . ولا من طريق ثروة الايطاليين المثمرة في الخارج لان معظم هذه صفيت في الحرب الحبشية وما تلاها . ففي ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٦ كان ما لحساب ايطاليا في البلدان الاجنبية ٦٣ مليون ليرا وهو خمس ثمن وارداتها العادية السنوية في إبان السلام . وقد كان هذا الحساب سنة ١٩٢٨ يزيد على ست آلاف مليون ليرا فأخذ ينقص تدريجاً حتى بلغ ما بلغهُ في آخر سنة ١٩٣٦ ويضاف الى هذا ان نفقات الحبشة والاسبانية فرضت على الحكومة فرض ضريبة على رأس المال قدرها ١٠ في المائة

أما الذهب فالاحتياطي الايطالي منهُ كان يقدر في سنة ١٩٣٣ بنحو ٧٥ مليون جنيه فنقص الى نحو ٦١ مليون جنيه سنة ١٩٣٤ فالى نحو ٣٢ مليون جنيه سنة ١٩٣٥ فالى نحو ٢٥ مليون

حتى سنة ١٩٣٦ وهذا المبلغ كان ٧ في المائة من احتياطي ذهب فرنسا و ٨ في المائة من احتياطي ذهب انكلترا في الوقت نفسه . واذا قيل : ألا تعقد لها قروض ؟ كان الجواب أين ؟

فاذا كانت في حرب مع فرنسا وانكلترا فمن المؤكد انها لن تعقد لها قروضاً . والمانيا لا تستطيع . واميركا بحسب قانون جنصن حظرت عقد القروض للدولة لم توف ديون الحرب التي عليها لاميركا . هذا من ناحية ثمن ما تحتاج اليه

ولكن المسألة لها ناحية أخرى هي ناحية المواصلات البحرية . فاذا كانت ايطاليا في حرب مع انكلترا وفرنسا فتنفذ البحر المتوسط من الغرب والشرق سيوصدان في وجهها . ثم لهذا الايصاد ناحية استراتيجية من حيث امكانه وقانونيته فيما يتعلّق بترعة السويس . ولكن اذا كان التفوق للقوات البحرية البريطانية والفرنسية ، فالايصاد يمكن أن يتم في المحيط الاطلنطي من الغرب امام مدخل مضيق جبل طارق ، وامام مدخل ترعة السويس في شرق البحر المتوسط . ثم أن القوات البحرية البريطانية المستندة الى قبرص والاسكندرية وحيفا تستطيع أن تعرقل مواصلات ايطاليا في شرق البحر المتوسط وتخفض مقدار ما تستطيع استيراده من بلدان سواحله الشرقية . ووقوف تركيا في جانب فرنسا وبريطانيا يفضي الى قطع مواصلات ايطاليا براً مع روسيا ورومانيا ومنهما معظم البترول الذي تستورده ايطاليا

وعلى ذلك تبقى مواصلاتها البحرية حرة تماماً في البحر الادرياتيكي فقط مع يوجوسلافيا واليابانيا ومن المحتمل مع اليونان ايضاً . ويوجوسلافيا تنتج بعض الفحم والحديد ، ولكنها على العموم تستورد مقادير منهما . وفي اليونان بعض موارد معدنية ولكنها قلما تصدر . وأما البانيا ففيها بنابيع بترول والمعروف عنها أن ما يمكن استخراجهُ منها يكفي قلة ما تحتاج اليه إيطاليا من البترول في إبان السلام فقط

ولكن . . . اذا كانت هذه حالتها من ناحية المواصلات البحرية ، فما حالتها من ناحية مواصلاتها البرية من الدول التي تجاورها في الشمال

اذا استثنينا فرنسا لان سككها الحديدية لا يحتمل ان تعمل على تموين ايطاليا في حالة نشوب حرب بين ايطاليا من ناحية وانكلترا وفرنسا من ناحية اخرى — فلايطاليا تسع سكك حديدية تصلها بسويسرا والنمسا « المانيا » ويوجوسلافيا ، ثلاث سكك بين كل من هذه البلدان وبين ايطاليا . من هذه السكك سكتان مزدوجتا الخط والباقية مفردة الخط ، وهي جميعاً تسير في جبال قليل الخط الحديدي صعوداً كبير

وفي اثناء الحرب العالمية اهتم قسم الهندسة بالجيش الاميركي بوضع دليل دقيق للعمل الذي تستطيع أن تقوم به سكك الحديد في حالة حرب ، واذا اخذنا اقصى رقم في هذا الدليل وطبقناه

على السكك الحديدية التسع التي تصل ايطاليا بجاراتها الثلاث — سويسرا والمانيا ويوجوسلافيا — وجدنا ان اقصى ما تستطيع هذه السكك نقله في السنة يبلغ ٢٠ مليون طن او اقل قليلاً، وهذا الرقم يشمل عمل هذه السكك اذا قصر على نقل المواد دون الركاب او الجيوش. ويفرض ان حركة السكك والقطارات لا يعرقلها عمل الاعداء وان محطات الشحن ومحطات الاستيال تقوم بعملها كالساعة فلا تأخير ولا ازدحام، ثم يفرض ان جميع الجارات الثلاث مستعدة لتزويد ما تستطيعه الى ايطاليا مع ان احداها سويسرا والغالب انها ستلزم الحياد الدقيق. والاخرى يوجوسلافيا وهي تتأرجح في الميزان بين المعسكرين. ثم انه يُهمل من الحساب ان الخطوط الحديدية من يوجوسلافيا وخطين من الخطوط الثلاثة الممتدة من النمسا تجتمع عند ستر قرب البندقية حيث لا بد ان يقع ازدحام مبلبل. ثم ان الخط الممتد من ستر الى المنطقة الصناعية وهي منطقة تورين وميلانو، يجتمع بالخط الثالث من المانيا المخترق لمضيق برنر عند فيرونا والازدحام فيها لا بد ان يكون مبلبلاً ايضاً

فاذا اقيم وزن لجميع هذه العوامل فالغالب في رأي الخبراء الهندسيين ان قدرة السكك الحديدية الايطالية على نقل المواد من يوجوسلافيا والمانيا وسويسرا، لا تزيد على ١٥ مليون طن في السنة والغالب انها لا تبلغها. ولكن مقدار الواردات الايطالية في سنة ١٩٣٤ عن طريق البحر بلغت ٣٤ مليون طن. فاذا فرضنا ان السكك الحديدية نقلت اليها ١٥ مليوناً مما تحتاج الى استيراده بقي عليها عجز قدره نحو ١٩ مليون طن

وطبيعة ايطاليا الطبوغرافية في الشمال لا تشير الى احتمال مد سكك حديدية اخرى بسهولة او زيادة قدرة السكك الحديدية الممدودة على الثقل بجعلها خطوطاً مزدوجة الا بنفقة فادحة فجعل نفق سمبلون مزدوجاً — وهو احد الخطوط الرئيسية التي توصل الى ميلان — بدىء سنة ١٩١٨ واستغرق اربع سنوات

— ٢ —

تقول المجلة العسكرية الاسبوعية (ميليتار ديشبلات)، ان المانيا تسيطر الآن في ميدان المستخرج من ركاز الحديد على خمس ما كانت هي وامبراطورية هبسبرج تسيطران عليه سنة ١٩١٤: ومعظم هذا النقص راجع الى خسارة لورين وضمها الى فرنسا والمانيا تستخرج الآن سنة ملايين طن من ركاز حديد غير جيد (٢٠ — ٣٠ في المائة من ركاز حديد) ثم اضافت الى ذلك مليونين ونصف مليون طن في النمسا على وجه التقدير. فاذا اضيف الى المستخرج، الحديد المهمل الذي يعاد استعماله كان لالمانيا خمسة ملايين طن من الصلب حالة ان حاجتها السنوية — على ما تقوله المجلة الالمانية «يورنال التعدين الالماني» — الى ٢٦ مليوناً ونصف مليون

الآن ان معظم الاسلحة الالمانية لا تصنع من ركاز الحديد الالماني غير الجيد ، بل من ركاز الحديد السويدي الممتاز (٦٠ — ٧٠ في المائة من الركاز حديد) المستخرج من مناجم جبال لبلدة . وكانت المانيا الآن تستورد كل سنة تسعة ملايين طن من هذا الركاز . ولكن ثلاثة ملايين طن فقط تنقل في خليج بوتنيا فبحر بلطيق . والثلثان الباقيان ينقلان من شمال النرويج الى مصب نهر الرين ومنه رأساً الى المناطق الصناعية في الرور بسفن نهرية . ثم تبتاع المانيا سبعة ملايين طن من ركاز الحديد من اللورين وهو معتدل الجودة ونحو مليوني طن من طبقة اجود من بلباو بشمال اسبانيا والريف في المغرب الاسباني . ومقادير يسيرة جداً من يوجوسلافيا والبرازيل . وبعد ان تستعمل كل الحديد القديم في المانيا تحتاج الى ان تستورد من الخارج جانباً كبيراً من ٥ ملايين الى ٦ ملايين طن من الحديد المستعمل التي تحتاج اليها كل سنة

وقد صرح المارشال جورنج غير مرة منذ تولى الاشراف على تنفيذ مشروع السنوات الاربع لجعل المانيا مكتفية ان مناجم الحديد التي نسبة الحديد في ركازها واطئ ستفتح على نطاق واسع وان المناجم الجديدة ستخرج عشرين مليون طن في السنة وان مصانع ضخمة ستحول ذلك الركاز الى صلب ، وان المصنع الواحد منها قادر على اخراج مليون طن من الصلب في السنة الواحدة . وعند ما انشئت المصانع المعروفة باسم مصانع هرمان جورنج للحديد صحبها تهليل وتكبير وارسال العمال الى المواقع المختلفة لاعداد مساكن العمال . ودعي اصحاب شركات الصلب الخاصة الى الاكتتاب في رأسمالها ، ولكن سراة صناعة الحديد في المانيا لم يشتركوا وذلك لسبب يسير بسيط جداً ، وهو ان مصانع من هذا القبيل لا تسفر الا عن خسارة . ففي مناطق الرين والرور مناجم قريبة من الامكنة التي يكثر فيها الكوك اللازم لاستخراج الحديد من الركاز . ونسبة الحديد في ركاز هذه المناجم من ٢٥ — ٣٠ في المائة ومع ذلك لولا معونة الحكومة المالية لوقف تشغيلها ، فكيف يمكن تشغيل مناجم بعيدة عن ميدان الصناعة وعن موارد فحم الكوك ونسبة الحديد في ركازها لا تزيد على ١٢ الى ١٧ في المائة

ولما ضمت النمسا الى المانيا كسبت المانيا موارد للحديد لا بأس بها كما تقدم وقال يومها المارشال جورنج ان هناك « موارد من الركاز التي لا حد لها » فصححت له مجلة « الفرنكفورتر تيتونج » هذا القول بنشرها الارقام الصحيحة وهي : ٢٤٢ مليون طن من ركاز الحديد « النسبة ٢٧ في المائة » وهذا المقدار يكفي المانيا خمس سنوات ونصف سنة على معدل استهلاكها السنوي من الحديد الآن . اما مناجم النمسا فكان معظم ما يستخرج منها يصدر الى ايطاليا . وفي الوسع توسيع نطاق الاستخراج باستعمال وسائل جديدة فيزيد المستخرج من نحو مليون طن في السنة — وهو اقصى ما كان — الى خمسة او ستة ملايين طن على الاكثر ومازالت ايطاليا صديقة المانيا

يجب ان تُمنح حصة وافرة من هذا المقدار. وثمَّ نقل هذا المقدار من شمال النمسا الى الرور مشكلة قائمة بنفسها. المسافة ٧٠٠ ميل والنقل يقتضي كل يوم قيام عشرة قطارات كل قطار منها مؤلف من ٤٥ مركبة من المناجم ومعظمها يجب ان يعود فارغاً. فالى ان تتم ترعة «الراين — الدانوب» تظل مشكلة نقل حديد النمسا الى الرور مشكلة غير يسيرة

ولنحول النظر الآن الى مادة اخرى من المواد الاساسية في الصناعة والحرب وهي مادة «البترول» وهي فيما يتعلق بالحرب لا غنى عنها للطائرات والدبابات والسيارات على اختلافها والسفن الحربية. فقد نشرت مجلة «الدويتش فهر» وهي لسان الجناح النازي في الجيش الالماني مقالاً في عدد يناير سنة ١٩٣٦ قدرت فيه حاجة المانيا الى البترول في الحرب فاعتبرت تقديره على اساس جيش قوامه ٣٠٠ فرقة منها ٣٠ فرقة ميكانيكية عدتها ١٠٥٠٠ دبابة و ١٤٠ الف سيارة نقل و ٤٠ الف سيارة ركاب و ٦٠ الف موتوسيكل فاذا حاجتها الى البنزين والزيت والشحم خمسة ملايين ونصف مليون طن بالسنة. ثم هناك سلاح الطيران وقوامه ٩ آلاف طائرة منها ٦٥٠٠ ذات محرك واحد و ٥٠٠ ذات محركين و ٥٠٠ ذات ثلاثة محركات و ٢٥٠ ذات اربعة محركات و ١٢٠٠ أخرى من طراز «السبور» فاذا حاجتها الى مليون وثلاثة أرباع مليون طن في السنة. يضاف الى ذلك اسطول بحري تبلغ حاجته مليوني طن ثم يضاف الى ذلك ثلاثة ملايين ونصف مليون للصناعة والنقل وراء خطوط القتال

والمجموع الذي قدرته مجلة الدويتش فهر ١٢ مليوناً وثلاثة أرباع المليون من أطنان البترول

وفي ١٦ ابريل سنة ١٩٣٩ أخرجت مجلة «الاقتصادي الالماني» تقديراً آخر فاذا المقدار في حسابها يتفاوت من ١٥ مليوناً الى عشرين مليوناً. ومتوسطه ١٧ مليوناً ونصف مليون من الاطنان. وهذا التقدير قريب من تقدير خبير فرنسي إذ روعيت النسبة بين حجم الجيشين فقدر انها في حربه تحتاج الى مقدار يتفاوت من ١٢ الى ١٥ مليوناً من الاطنان

فاذا تنتج المانيا من هذا المقدار؟ . ينابيع البترول فيها تخرج نصف مليون طن في السنة ومجلة (الاقتصادي الالماني) تقول (مارس ١٩٣٨) ان نصف مليون طن من البترول تستخرج كتتابة في معامل فحم الكوك يستخرج منها ٢٠٠ الف طن من الوقود

ويستخرج من الفحم بالطريق الصناعي ٧٨٠ الف طن من البنزين الصناعي فمجموع ما يستخرج داخل البلاد مليونا طن وهو ثلث ما تستهلكه المانيا الآن وتسع ما ينتظر استهلاكه في أثناء الحرب على التقدير المتوسط لمجلة الاقتصادي الالماني

أتستطيع أن تسد الفرق بتوسيع نطاق البنزين الصناعي المستخرج من الفحم؟ هذا يعني توسيع نطاق هذه الصناعة عشرين مرة. ولكن أعلم ما يقتضيه هذا التوسع من مقادير الفحم

وعدد العمال والنفقة ؟ فقد ألفت في انكلترا لجنة لدراسة موضوع جعل بريطانيا مكتفية من ناحية البترول باستخراج البنزين من الفحم . فقررت اللجنة في تقريرها أن صنع ١٥٠ الف طن من البنزين الصناعي في السنة يقتضي معالجة ٦٠٠ الف طن من الفحم وعمل ستة آلاف عامل في المناجم والنقل والمصانع ورأسمال قدره اربعون مليوناً من الجنيهات . وهذه المنشآت تخرج مقداراً من الزيت يكلفها مليوني جنيه علاوة أن ثمنهُ في السوق العالمية ثلث ذلك المبلغ . وأرقام هذه الصناعة في المانيا تؤيد هذه الارقام . ومع ذلك فلم يفت مجلة « الاقتصادي الالماني » نقل خلاصة هذا التقرير الى قرائها

وعلى هذا الاساس لا تستطيع المانيا أن تجعل نفسها قادرة الآن على الاكتفاء الذاتي في مادة البترول وما يشتق منها عن طريق الصناعة الا برأسمال قدره ستة عشر الف مليون مارك وتحويل نحو ٦٥ مليوناً من اطنان فحم الانتراسيت — وهو تقريباً نصف انتاجها — ونصف مليون من العمال الى هذه الصناعة . ونصف مليون عامل يعني ١٥ فيلقاً في الجيش وكذلك يمكن القول ان الفوز بما تحتاج اليه من البترول ومشتقاته لن يجيء الآن من هذا الطريق

والمطاط — لقد صنع المطاط الصناعي في المانيا وهو يعرف باسم « بونا » . وهو مطاط يتصف بأهم صفات المطاط الطبيعي ويفوقهُ . وقد روى — زيشكا في كتابه « العلم يحطم الاحتكار » أن الجيش الالماني امتحن مطاط البونا امتحاناً دقيقاً في سنة ١٩٢٥ فجهزت اربعون سيارة بعجلات من مطاط البونا وسيقت ليل نهار سوقاً متواصلاً بواسطة فريقين من السواقين وفي النهاية وجد أن مدى حياة العجلة المصنوعة من مطاط البونا ٣٠ الف ميل

ولكن موطن الضعف في هذا المطاط العجيب أن نفقات صنعه تجعلهُ أغلى كثيراً من المطاط الطبيعي . فالمطاط الطبيعي يباع الرطل منهُ بمبلغ يتفاوت من ٢٤ ملياً الى ٣٠ ملياً . حالة أن رطل البونا في سنة ١٩٣٦ كان يكلف عشرين قرشاً . وفي مجلة لبنك الريخ صادرة في يناير ١٩٣٨ أن الرطل منها لا يزال يكلف من ١٣ الى ١٤ قرشاً

وليس هناك معلومات يوثق بها عن مقدار ما يصنع من هذا المطاط . ولكن كاتباً المانياً خبيراً على ما يلوح يقول في كتاب لهُ أن المانيا استهلكت من المطاط في سنة ١٩٣٥ مقدار ٧٢ الف طن وأن جزءاً من اربعة عشر جزءاً (اي أكثر قليلاً من ٥ آلاف طن) من ذلك صنع في المانيا بالتركيب الكيماوي . وفي ٨ فبراير من سنة ١٩٣٨ كتب مكاتب جريدة التيمس المدنية في فرانكفورت أن مقدار ما يصنع من مطاط البونا ينتظر أن يبلغ قريباً ٢٤ الف طن في السنة وهذه زيادة عظيمة ولكنها قلما تلحق بزيادة المطلوب من المطاط

ثم هناك مواد صناعية أخرى تجعل في قرنا خيوط النسيج من صوف وقطن وكتان .

والحالة في المانيا في ما يتعلق بهذه المواد هي عكس الحالة الخاصة بالمطاط . فصنع الخيوط الصناعية المختلفة سهل ورخيص ولكن خواصها لا تزال دون خواص الخيوط الطبيعية التي تقابلها . فقطوعية المانيا من هذه الخيوط — وهي مقطوعية مقيدة أشد التقييد — يؤخذ خمسها مما تخرجه المصانع الالمانية من الاعواض الصناعية كالرايون والفيسترا . يضاف الى هذا ان المانيا زادت محصولها من الكتان منذ سنة ١٩٣٢ سبع مرات ، وانتاجها من الصوف ٣٠ في المائة وجمعت كل ما يمكن جمعه من الخرق القطنية البالية القديمة في طول البلاد وعرضها لاعادة استعمال خيطها

ومجموع ما تستهلكه من هذه الخيوط يبلغ في السنة ٨٥٠ الف طن منها ١٠٠ الف طن من الفيسترا و٦٥ الفاً من الرايون و٦٠ الفاً من الخرق القديمة المستردة و٢٥ الفاً من الكتان و١٥ الفاً من الصوف والمجموع ٢٧٥ الف طن أي ثلث ما تحتاج اليه

أتستطيع ان تسد النقص بخيط الفيسترا ؟ هناك مصانع جديدة لصنعه تقام ، وكان في الجو أحاديث عن مضاعفة ما يصنع منهُ سنة ١٩٣٨ كما ضوعف في سنة ١٩٣٧ ولكن المصاعب التي تحول دون توسع عظيم فيه كانت ان صناعته مبنية على الخشب المستورد . ومعظم الاستيراد كان من تشيكوسلوفاكيا وروسيا ، والى حدٍّ ما من فنلندة . وقد جاء دخول النمسا — وفيها حراج غنية — وتشيكوسلوفاكيا في نطاق الريخ مما سهل على المانيا مسألة الاستيراد وتوفية الثمن . وهناك الآن تجارب تجرب لصنع الفيسترا من خشب اشجار الزان والشربين وهي كثيرة في حراج المانيا . ولكن قطع اشجار الحراج في المانيا ماضٍ على وجه يثير مخاوف الخبراء

ثم ان الفيسترا ليس عوضاً صناعيًّا بالمعنى التام . بل يجب ان يخلط بنحو ٧٥ في المائة من القطن الطبيعي ، او الصوف الطبيعي لينتج خيطاً تُنسج منه منسوجات قطنية او صوفية تصلح للملبس . وقد شكا احد تجار برلين لمنشىء هذا المقال ان نسيج الفيسترا الذي لا تزيد نسبة القطن الطبيعي او الصوف الطبيعي فيها على ٢٥ في المائة لا يثبت على غسلة واحدة بالماء الساخن ثم هو قصير العمر . والملابس المصنوعة من مزيج كهذا لا تدفىء وشؤبوب واحد من المطر الشديد يقضي عليها . ثم ان الملابس التحتانية التي تصنع منها لا تلبث حتى يشعر لابسها كأن طبقة من المطاط الرقيق تلامس بشرته علاوة على انها تولد عند التفاعل بعرق الجسم رائحة كريهة

وأهم من هذا وذاك انها لا تفي بحاجة ملابس الجنود . وعلاوة على ما تقدم تحتاج المانيا الى استيراد معظم ما تحتاج اليه من الالومنيوم والنيكل والنحاس وتسعة اعشار ما تحتاج اليه من النحاس وثلاثة ارباع ما تحتاج اليه من الرصاص وثلث ما تحتاج اليه من الزنك

(١) نقلاً بتصرف يسير من عدد الاهرام الخاص (بين السلم والحرب) يوليو ١٩٣٩

غنى الجار

لعبد المجيد الريب

أهلٌ بها لله راضيةً نفسي ... وأشربها في الصبر مترعةً كأسي
على موهباتي الف دَيْن لأمتي ... على أنني فيها لدى نحتي نفسي
وأحتمل الدنيا كأني خلقتها ... وأن جميع الخلق عُلّق في رأسي
رفعتُ حجاب الشمس فيها فأطلعت ... عليَّ النهار الصفوخُلواً من الشمس
على القرب مني كنز قارون ماثلاً ... ولما أنلْ منهُ سوى حُرقة اليأس
في بيت جاري آثر المالُ وكرهُ ... فيصبح في لمع الثراء كما يُمسي
وجاري جماع الباخلين وظلهم ... فلم يَدعْ محروماً بعيدٍ ولا عُرس
تكبَّر فالألفاظ منهُ إشارة ... كأن جاد الله طرًّا من الخرس
وان لطق الفصحى فمن طرف أنفه ... كنفخة ذي مال وجاه من الفرس
له أسرة كالروض زهراً وصادحاً ... فمن شامها ألفى ملائك فردوس
بنون بنات كالورود ملاباً ... يمرون كالإصباح معتدل الطقس
يمرُّ على سكناي في ذيل بيته ... مرور عيون الموسرين على الفلس
محوتُ على قصف الرياح وصوته ... وما أحدث الطرق الخليع من الجرس
يطالبني بالأجر في غيظ بائعٍ ... تصيِّده المحتال بالثمن البخس
وقال يواري ظلعهُ أي ضامنٍ ... لسكنى تمرت عن سرير وعن كرسي
اراك هنا كلّ الاثاث ولا أرى ... سوى قلم تارٍ على الارض او طرس
فقلت معاذ الدَّين ما كنت مرة ... غريماً وما أذللت يوماً ولا أسي
إذا كانت السكنى بأجرٍ مذلةً ... فما ارحب الجان في غرف الحبس
وأسمعته صوت الدراهم فانحنى ... يقدم أعذار اليهود من الوكس
وأخضع فقري كبره وثراءهُ ... وأيُّ غنى للحرّ غير غنى النفس

فليكس فارس

لصديق شيبوب

في أواخر الشهر الماضي فجعت العربية بأديب من خيرة أدبائها ، وخطيب من أبلغ خطبائها. ورزئت العروبة بداعية من أخلص الدعاة لها ، ومجاهد من أبر المجاهدين في سبيلها . وفقدت الانسانية فرداً كان من أنبل أفرادها قلباً، وأتومهم خلقاً،وأصدقهم عاطفة،وأخلصهم أمانة ووفاء

انتقل الى رحمات ربه المغفور له فليكس فارس وقد كان كل هذا . فلا غرو اذا عظم خطبه على اللغة والعروبة ، وبكاه أصدقاؤه وعارفو فضله العديدون المنثرون في الاقطار العربية كلها وبلاد المهجر وشاطرهم حزنهم عليه وشعورهم بالفجيعة فيه جميع الناطقين بالضاد

وإذ نحاول اليوم ترجمة حياته والالمام بمواهبه وصفاته نريد ان يعرف هذا العالم العربي أي رجل فقد بفقده . كان يمثل جيلاً من أبناء العربية يكاد يزول أفراده ، ولوناً من الأدباء يعزّ أن نلقى اليوم نظيره

ولد المرحوم فليكس فارس في ٢٧ دسمبر سنة ١٨٨٢ بقرية «صليما» التابعة لقضاء المتن الاعلى « المحاطة بغابات الصنوبر القائمة » من اسرة لبنانية قديمة أنبتت اكثر من واحد خدم لبنان وحكوماته المتعددة

كان والده المرحوم « حبيب فارس » كاتباً وشاعراً تلقى علومه بمدرسة عينطوره وعين في الثانية والعشرين من عمره رئيساً للدائرة الاجنبية وسكرتيراً خاصًّا لمتصرف الجبل رستم باشا وما لبث ان اعتزل الخدمة وأخذ يعارض في اساليب حكم جبل لبنان ، وكان قد تولى متصرفيته واصا باشا . فاضطر اخيراً الى النزوح الى مصر حيث أصدر صحيفة « صدى الشرق » ليحارب على صفحاتها المظالم التي كانت تقع على لبنان واهله في ذلك العهد . وقد حاول واصا باشا الانتقام من أسرته التي ظلت مقيمة في « صليما » فأنزل بها شتى الوان الاضطهاد . وقد شهد فليكس فارس الصغير هذا الاضطهاد فانطبعت نفسهُ منذ صغرها على حب الحرية والثورة بالظالمين

وكان المرحوم حبيب فارس قد تزوج بالسيدة « لويز شفاليه » وهي سويسرية بأمها وهولندية بأبيها . وقد حنت هذه السيدة الفاضلة على سرير طفلها الصغير فليكس تنشده الموسيقى العربية

التي تعلمتها من وطن « جان جاك روسو » فاستعد عقله لفهمها ، وصارت فيما بعد « تصل الى شعوره الباطن الخفي اهتزازات هذه الموسيقى كأنها صدى خافت لصوت بعيد . . . » حتى انهُ كان اذا رجع « الى كوامن الغريزة يشعر بالفطرة العربية متغلبة على سائر ما ورث من نزعات أوربية »

وما خصهُ فليكس فارس بالموسيقى عند ما تحدث عن نفسهِ لستطيع ان نبسهُ بحيث يشمل الثقافة والادب ، فقد نشأ متغلبة عليهِ نوازع الادب الفرنسي ثم لم يلبث ان تخلص من أثرها فصار ادبياً عربياً صميماً

تلقى فليكس فارس علومهُ الاولية بمدرسة « بعبدات » ثم اخذ العربية عن والده والفرنسية عن أمهِ . ولم يلبث ان برع باللغة الفرنسية وشغف بها وصار يستلهمها فنهُ العربي

في اثناء هذا كانت أسرتهُ قد انتقلت من « صليما » الى « المريجات » ، وهي البلدة القائمة عند منحدر « ضهر اليدر » في اتجاه دمشق . ومنزل أسرته فيها عند منحدر الوادي تحوطهُ الاشجار والكروم ويطل على منبسط سهل البقاع ذي الألوان المختلفة والمناظر البهجة

هذه هي العناصر التي كوّنت فليكس فارس عند ما استقبل الحياة بعد اتمام دروسهِ في سنة ١٨٩٨ وأخذ يحترف التعليم في بعض مدارس لبنان ويعالج الأدب في صحفهِ وفي بعض المجلات المصرية كالمقتبس والجلبس ومجلة سركيس

فكانت النزعة الفرنسية تتغلب وتتنذ على أدبهِ العربي . وقد وصفهُ في ذلك العهد الاديب خير الله خير الله في كتابهِ الفرنسي « سوريا » فقال انهُ « حاول أن يقتبس ما في الأدب الفرنسي من جمال ليدخلهُ على الأدب العربي . وكان النقد الذي وجه اليه أن الهامهُ غريب عن العربية » ثم قال : « حقاً أن اسلوبه كان في بدايته معقداً ، وفكرته مبهمة غير مستقرة تماماً . ثم على أن هناك اشياء لم تهضم . وزاد اللغويون على هذا فقالوا انهُ كان يسيء الى قواعد اللغة ولكنهُ عوض عن هذا جميعه بميزات طيبة كالاحساس والخيال والانسجام واختلاف الافكار والصور وخصبها ، لذلك عند ما ظهر خطيباً للمرة الاولى أثار حماسة فياضة »

وقد كان ظهوره خطيباً عند صدور الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، اذ قام المصلحون ينادون بالحرية والاخاء والمساواة ، فائتلف المتباعدون وتقارب المتباعدون وغمرت البلاد موجة الاخاء الشاملة التي تجمع بين ابناء الوطن الواحد على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم فاذا الهلال والصليب يمشيان جنباً الى جنب في ظل الوطن ، واذا الشيخ والقس يتعانقان تحت راية الامة والدولة

قام فليكس فارس وقتئذ خطيباً يستمد من روح ابناء وطنه هذا الوئام الناشئ على الوجوه ويغذيه بما في نفسه من حب الحرية وكراهية الظلم والاستبداد فرحب به مواطنوه وانزلوه المنزلة التي هو خليق بها ولقبوه بخطيب الحرية

ولم يكتف فليكس فارس بنضاله على المنابر بل اجرى قلمه للدفاع عن مبادئه ونزعات نفسه فأصدر في ٨ فبراير سنة ١٩٠٩ صحيفة اسبوعا « لسان الاتحاد » التي ظلت حية الى ٤ أغسطس سنة ١٩١١

في ذلك الطور من حياة فليكس فارس طبعت نفسه بطابعها الخاص واتخذ تفكيره شكله الكامل ونما النمو الذي ظل يسير عليه طيلة حياته

وكان قد عين استاذاً للغة الفرنسية في المكتب السلطاني بحلب سنة ١٩٩٠ فأقام فليكس فارس في هذه المدينة الى اواخر الحرب الكبرى . وحين دخلت الجيوش العربية سوريا التحق بها وعين سكرتيراً لجعفر باشا العسكري ثم جاء بيروت واتصل بحكومة الانتداب فارسله الجنرال « غورو » الى الولايات المتحدة مع الفنان المعروف المرحوم « جان دبس » ليتصلا بالبنانيين والسوريين في مهجرهم ويدعوهم لمساعدة وطنهم ويبينا لهم مهمة فرنسا في الشرق فقاما بالمهمة التي عهد اليهما بها على أوفى وجه

اتصل فليكس فارس في اثناء اقامته باميركا بالاوساط العربية وادبائها وتوثقت اواصر الصداقة بينهُ وبين نفر عديد منهم وفي طليعتهم جبران خليل جبران كما اتصل بالاوساط الفرنسية ممثلي الدولة الفرنسية الرسميين. ثم عاد الى لبنان وفي نفسه مشروعات سياسية لم يستطع تحقيقها على الرغم من اقناع الجنرال « غورو » بصحتها . وقد هنأه « غورو » بنجاحه في مهمته وعرض عليه منصباً أباهُ وفضل الاشتغال بالمحاماة وقيد اسمه امام محكمة التمييز (النقض والابرام) واشتهر بتفوقه في المرافعة امام محكمة الجنايات

عند ما خلا منصب رئيس نقابة الترجمة ببلدية الاسكندرية رشح فليكس فارس نفسه لهُ وفاز به فانتقل الى هذه المدينة سنة ١٩٣١ ولم يلبث ان اتصل بالاوساط الادبية المصرية فذاع صيته وذهب ذكره واخذ يؤلف الكتب ويلقي المحاضرات والخطب بهمة ونشاط عظيمين حتى وافته منيته في صباح يوم الثلاثاء ٢٧ يونيه الماضي فذهب بكنة اخلاقه محمودة آثاره

***

هذا هو الرجل ، اما الاديب فقد ذكرنا فيما تقدم كيف استهل فليكس فارس حياته الادبية قلق العبارة والاسلوب بارز الالهام العربي . على انهُ لم يلبث ان تخلص من هذا وذاك واصبح كاتباً عربيًّا قوي العبارة صحيح الاسلوب ، دقيقاً في تخير الفاظه تجري على قلمه سهلة سلسة في قوة ورصانة . وقد ظهرت هذه المزايا في نثره وشعره

وقد تطور الهامه وتفكيره كما تطور اسلوبه . وهو اذا ظل يدين للثورة الفرنسية بمبادئه الحرية والاخاء والمساواة التي جاهد في سبيلها طول حياته ، واذا ظل ينادي بنبذ التعصب

ووجوب تآلف الاديان وعدم التفرقة بينها وبين بنائها ، فانهُ عكف على تقاليد الشرق فاخذ يقول بوجوب احترامها ، وهي التقاليد التي ارادها مستمدة من الديانات الثلاث المتأصلة فيه ومن مجموع العادات التي درج الشرق عليها سواء في الاجتماع أو الفن أو الادب

ويطول بنا الحديث اذا شئنا أن نعرض لتفصيل هذه الآراء التي كان يشيرها حيال رسالته الادبية والاجتماعية فقد فصلها رحمهُ الله في المحاضرات التي القاها في سنواته الاخيرة وجمعها في كتابه « رسالة المنبر الى الشرق العربي » وفيها يجد المطالع كيف كان فليكس فارس يمزج بين فكره وعاطفته ، ولعله كان يستوحي تفكيره من قرارة صدره الفياض بالشعور اكثر مما كان يستنزله من معين عقله الصائب . وقد كان ذا شعور متسع الافق ، وخيال رحب الجوانب

وقد كتب فليكس فارس كثيراً ، وعالج فنوناً شتى من فنون الادب كالشعر والقصة والاقصوصة . ومن تآليفه المطبوعة قصتا « الحب الصادق » و « شرف وهيام » وكتابا « النجوى الى نساء سوريا » و « رسالة المنبر الى الشرق العربي » . وكان قد أعد غيرها للطبع مما فيها ديوان شعر بعنوان « القيثارة » ولكن الاجل لم يفسح له لاتمام مشروعاته الادبية

وقد عكف في سنيه الاخيرة على ترجمة روائع الادب الاوربي فنقل قصيدة « ورلا » التي نشرتها « المقتطف » وكتاب « اعترافات فتى العصر » وهما للشاعر الفرنسي « الفريد دي موسه » وكتاب « هكذا تكلم زرادشت » للمفكر الالماني « فريدريك نيتشه »

اما الخطابة فقد بلغ فيها فليكس فارس حدًّا من التفوق كبيراً . ولعلها كانت مصدر شهرته وذيوع صيته اكثر مما كان ادبه

وكانت له قدرة عجيبة على المواقف الخطابية لا يعرف الكلال ولا التعب حتى قيل انه كان يعلو المنابر اكثر من عشر مرات في اليوم الواحد

وكان لا يعتمد على مواهبه الطبيعية في الخطابة بل يعالجها بأسلوب فني بارع . كان انيقاً في موقفه ، فنيًّا في اشارته ، بليغاً في عبارته . وقد فطر خطيباً أبلغ منهُ كاتباً ، فقد كان حين يرتجل تواتيه الالفاظ مطواعة تنثال في بريق عينيه وتجري سحراً حلالاً على لسانه

***

واليوم وقد أسكت الموت ذلك الصوت الجهير وأخمد تلك الجذوة المتقدة وعاد فليكس فارس الى لبنان حيث نقلوا جثمانه كما عاد من قبله جبران خليل جبران فهو يرقد الآن في قرية المريجات الى جوار آبائه واجداده حيث يحنو عليه الجبل الاشم بأرزه وصنوبره وشمسه وارضه وسمائه وهوائه ويحتفظ العالم العربي بذكراه ما بقيت في الصدور العربية نزعات الشمم والفخار والاشادة بالرجال العاملين

كيف أفهم

النقد الادبي

— ٢ —

لجبرائيل جبور
استاذ بدائرة الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

مؤهلات الناقد

يقولون عن جويته انه كان يصنف القراء فبعضهم يلتذ بما يقرأ دون ان يتفلسف شيئاً لذلك، وبعضهم يحكم على ما يقرأ دون ان يلتذ به، وبعضهم يحكم وهو يشعر بلذة ما يقرأ، ويلتذ وهو يحكم، وهو خيرهم. والواقع ان الناقد الحقيقي يستطيع ان يرتفع فوق هؤلاء جميعهم بحيث يدرك أن باستطاعته ان يعجب بأثر دون ان يلتذ به شخصيًا او ان يلتذ بأثر لا يستثير اعجابه

ولعل اول ما يحتاج اليه الناقد ادراك غرض صاحب الاثر التي وفهم المغزى الذي يرمي اليه ؛ هذا سر النقد في نظري ، ولست اذكر ان قرأت عن فيدياس وتلميذه الكيمنس ، وقد سبق بينهما جائزة في النحت ، قالوا ، فاخذ كل منهما في عمله حتى اذا تم صنع التمثالين كاد المحكمون وهم ينظرون اليهما بين ايدي صاحبيهما أن يحكموا لالكيمنس لدقة التفاصيل وبهاء الصقل وجمال المسحة الاخيرة ، وهنا وقف فيدياس يسأل المحكمين ان لا يبدوا آراءهم قبل ان يوضع التمثالان على قاعدتيهما في الموضع الذي عُيّن لهما ، وما ان وضعا حتى انقلبت آراء المحكمين ، ذلك ان التقاسيم البارزة والخطوط الخشنة في الظاهر قد غطت لينظر اليها من بعد ، فبرزت بروعة جمالها حين ارتفع التمثال على قاعدته . اما حسن الصقل ودقة التفاصيل في تمثال تلميذه الكيمنس فقد زالت معالمها حين ارتفع التمثال ، وأضحى التمثال كثوب نضلت عنه الصبغة التي تقضها عليه صانع غير ماهر

فالفنان ، أو رجل الفن اذا شئتم ، يحاسب على الغاية اكثر مما يحاسب على الطريق الذي يسلكه في سبيل تلك الغاية . والناقد الذي يخطىء غرض الأديب قد ضل سبيله ، ولأضرب لكم مثلاً بنقد بعضهم لقصيدة بشارة الخوري الشاعر التي قيلت في مهرجان الزعاوي ، واسمحوا لي قبل كل شيء ان اقرأ لكم الابيات التي دار عليها نقده

بغداد ما حمل السُّرى مني سوى شبح مريب
جئت لهُ الصحراء والتفت الكثيب الى الكثيب

وتقصّت زمر الجنادب من فوهات الكثوب
يتساءلون : وقد رأوا قيس الملوّح في شحوبي
والتمتمات على الشفاه مضرّجات بالنسيب
تبكي لها قبل الصبا ويذوب فيها كل طيب
يتساءلون : من الفتى السيربي في الزي الغريب
صحراء يا بنت السماء السكر والوحي الخصيب
انا لو ذكرت ، ذكرت اجلامي وانغامي وكوبي
احدى الشموع الذائبات امام هيكلك الرهيب
انا دمعة الأدب الحزين رسالة الألم المذيب
من قلب لبنان الكئيب لقلب بغداد الكئيب

قال الاديب الناقد في جريدة المكشوف عدد ٣١ اذار (مارس ١٩٣٨) ما يلي: «وبشارة الخوري لو كان من الصحراء ولو كان ابنها وحبيبها لعرف انها لم تعرف في حياتها الجنادب ، فالجنادب لم تطل من ثغب فيها ولا سمعت في رحابها صوتاً على الاطلاق » اه . وانا ارى قبل كل شيء ان اتهم معرفة الناقد بالصحراء فانه لم تكن الصحراء ام الجنادب فأين موطنها بل اريد ان اذهب الى ابعد من هذا فازعم ان بشارة الخوري ليس مرغماً على ان يعلم ان الصحراء تعرف او لا تعرف الجنادب، ولا يهمهُ ان يعرف، فهو امام الفكرة التي تجلت لهُ قد يستطيع ان يضحي بعلم الحيوان باسره، وقد يستطيع الروائي مثلاً وهو يقص روايةً حربيةً ان يهمل التفاصيل في واقعة يريد ان ينتصر بطله فيها، فيخطىء في وصف فنون الحرب وهو ليس قائداً حربيًّا، بل ربما يخطىء في وصف موضع المعركة ذلك لأنهُ لا ينظر الاّ الى الغرض الاكبر وقد ملك عليه كل حواسه ، ألا وهو انتصار بطله، فليس غرضه ان يعلّم الفن الحربي ولا ان يرسم خارطة ليدان المعركة . ولم يكن بشارة الخوري في قصيدته هذه مدرّساً في علم الحيوان ولا شارحاً يصف مواطن الجنادب والجراد

وفي الالياذة سور قد يغيظ كل النقاد ، يُبنى في السنة العاشرة من تلك الحرب لا لسبب فيا يظهر الاّ لأن اكلس قد ترك الميدان ، وقد خيل لهؤلاء النقاد ان السور كان يظهر ويختفي في الالياذة بشكل غريب . واذن فقد زعموا ان هوميروس لم يضعهُ ، بل بناه شعراء متأخّرون ودسوه في الياذته ، وقد انبرى لهؤلاء من زعم لهم ان السور لم يتغير ولم يتبدّل ، ولو فعل فذلك لا يضير الشاعر ، لأن غايته الكبرى هي ان يبرز اكلس في اي شكل كان ، ويستطيع في سبيل غايته ان ينقل سور الصين الاكبر الى ميدان القتال في اليونان أو يذريه هباء منثوراً في الفضاء

ولقد قرأت لصديقي الاستاذ المازني وهو احد كبار النقدة في مصر في هذا العصر فصلاً في كتاب « صندوق الدنيا » عن تمثال النهضة الذي نحتهُ محمود مختار ، أخذ فيه على

صاحبه أشياء أصاب في أكثرها غير أنهُ حين عرض لي أمر نهوض ابي الهول الجديد على يديه عمد الى عم الحيوان فزعم ان الحيوان — من البعير الى الهرة — حين يريد ان ينهض يقوم على قائمتيه الخلفيتين اولاً ثم على الاماميتين وقال : « وأحسب ان مختاراً انما آثر هذا الوضع لأن منظر ابي الهول يكون غريباً ثقيلاً اذا أنهضهُ على رجليه الخلفيتين كما ينبغي ان ينهض اذا كان يقصد الى النهوض » ولا أظن صديقي الاستاذ المازني يسوؤه ان المجترات من الحيوان من ثور وجمل وغيرها تنهض على أرجلها الاماميةِ أولاً

ولو سلمنا جدلاً أنها لا تفعل فذلك لا يضير مختاراً لانهُ يجب ان تنظر قبل كل شيء الى الغاية التي رمى اليها مختار ، فابو الهول القديم يمثل الصبر والانتظار ، اما أبو الهول الجديد فيمثل نهوض مصر ولنذكر كما ذكر الاستاذ أن ابا الهول هذا خليط من الآدمي والحيوان فلهُ ان ينهض كيف يشاء ولكن ليس على رأسه كما يريد الاستاذ المازني متهكماً

ومتى أخذ الناقد يستفهم عن غرض الاديب بدأ النقد عمله . فما هو المعنى الذي يرمي الشاعر ؟ وما الذي يقصده بهذا القول ؟ وما الذي تقصده حين تحاول فهم المعنى ؟ وهل بلغ الشاعر غرضه ؟ وكيف عرض غرضه ؟ وبعبارة اوجز نكشف الغرض اولاً ، ثم نحكم على قيمته ، ثم نقد صنعة الاخراج.تلك هي بكلمة مفاتيح النقد فاذا أحسنا استعمالها فتحت الابواب المقفلة واخذت الامور الغامضة تظهر شيئاً فشيئاً

وبعد ان يدرك الناقد غرض القطعة الادبية ومعناها ومغزاها واثرها في النفس ينتقل الى التفاصيل ويرى ان المعنى التام الشامل مركب من معانٍ فرعية مترابطة واضحة في بعض الاحيان ومبهمة في بعض الاحيان الاخرى . ويرى أيضاً أن للعبارة الواحدة في كثير من المناسبات معاني كثيرة اذ ان لغة الادب ، شاء الناقد او لم يشاء تحتمل في كثير من الاحيان غير معنى واحد . وابواب المجاز والكنايات واسعة وقد تنقل العبارة من موضع الى موضع فتغير معناها وقد يشار لفظها الى معنى آخر: خذوا مثلاً هذه العبارة « وكانوا في الغرفة ثلاثة رابعهم فلان » فمدلولها اللفظي عددي لا أكثر بحيث يصح المجموع أربعة ، اما مدلولها الناقد الادبي فيجب ان يكون اعمق من هذا وستعرض ذاكرته ما جاء في سورة الكهف من القرآن الكريم : سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون... الخ وسيجد ان هذا الكتاب اراد ان يشير من طرف خفي ظاهر الى ان هذا الرابع كان منهم كما كان كلب اهل الكهف من اصحابه

وهناك استعارات من عالم الفنون التي تدرك بالنظر مثال ذلك قولك : وبدا لونها كلون حاشية الافق عند الغروب فالسامع يسمع اللفظ ولا يرى فيه لوناً والقارىء يراه بحروف سود وكلاهما يعمد الى خياله او حافظته وهذه تستعرض الالوان فتشرح للذهن هذا اللون وتصوره له على صفحات الدماغ وقد تخطىء متى كان اللون غير مألوف لها ، فالصورة اللفظية تختلف من

اللوحة المدهونة فتلك هي نفسها انتاج الرسام وهي تبرز امامك لتتصح عما فيها بينما هذه حروف مصفوفة في كلمات أو اصوات متقطعة تدوي في الآذان وما هي الا رموز يستعين بها الادباء لنقل ما في نفوسهم ومع ان الادب كسائر الفنون قد هيئت له واسطة لا يضاهيه ونقل ما يجوبه الى النيرفانة لا يزال أوعر الفنون مسلكاً لان حدة الواسطة كثيرة الصور والمعاني ومن هنا كان الاشكال في النقد

وهناك امور أخرى يجب ان يلتفت اليها في النقد العملي ، منها مسألة ايقاع الالفاظ وحسن جرسها والصفات الصوتية لمقاطعها ولا سيما في الشعر . وعلى الناقد بعد ان يكون قد أدرك المعنى الذي يستخلص من العبارة الواحدة ان ينتقل الى الموسيقى التي يمشيها حسن انتظام الالفاظ ثم ينظر الى الكلمات المفردة ويفهم معانيها الاولية وما تنتجهُ من خيال . ثم ينتقل الى المزية الصوتية في مقاطعها . وهنا قد يعترضنا ثانية اختلاف الاذواق واسمحوا لي ان اضرب لكم مثلاً على بعض هذه الظواهر واختلاف اذواق الشعراء فيها : نشر منذ زمن قصير الدكتور طه حسين بحثاً نقيساً في المتنبي ونقد فيه اشعاراً وردت للشاعر وأورد هذين البيتين :

بأبي من وددتهُ فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولاً فلما التقينا كان تسليمه عليَّ وداعا

ثم قال : أعجب الفتى بهذا المعنى فاراد ان يمثلهُ وان يصل اليه فتكلف لذلك بيتاً ونصف بيت وانت ترى مظهر التكلف في قوله :

بأبي من وددتهُ فافترقنا ، فكلمة وددتهُ هنا ناية قلقة مكرهة على الاستقرار في مكانها الذي هي فيه . أراد الصبي (وقد كان المتنبي وقتئذٍ في صباه) ان يقول أحببتهُ فلم يستقم له الوزن فالتمس كلمة تؤدي له هذا المعنى وتلائم هذا الذوق فلم يجد الا وددتهُ هذه ! وقرأ الاستاذ العقاد كتاب الدكتور طه فانبرى يرد على هذا النقد ويقول : « والخلاف بيننا وبين الدكتور في طريقة النقد هنا جد بعيد فنحن نرى من جهة ان أبا الطيب لو أراد ان يقول أحببتهُ بدلاً من وددتهُ لاستقام له الوزن مع بعض التجوز الكثير في الشعر المقبول في العروض وأرى من جهة ثانية ان أبا الطيب كان مستطيعاً ان يستخدم هنا حببته الثلاثية بدلاً من احببتهُ الرباعية كما استخدمها في قوله وهو شاعر كبير :

حببتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غدراً فكن أنت وافيا

فلا ضرورة في الوزن ولا استكراه وفضلاً عن هذا لا نظن كثيرين يحسبون مع الدكتور ان وددتهُ في موضعها من البيتين لا تعبر عن معناها الصحيح . فالمودة هي الكلمة العربية التي تقابل كلمة Tendresse في الفرنسية وتطابق معناها تمام المطابقة وهو ذلك الحب الرفيق الذي فيه حنو وشوق وليس فيه عنف ولا اعتلاج . ثم استشهد الاستاذ العقاد بطائفة من الابيات الشعرية التي ذكر فيها الشاعر المتنبي في كبره كلمة وددتهُ او مشتقاتها . وأظن ان باستطاعة الدكتور طه بدوره ان يرد على هذا النقد ويحيل الأمر الى اختلاف الذوق والحكم في مثل هذا الامر هو عامة المتخصصين

ثم هناك تعابير او الفاظ شعرية ليس من الضرورة ان تكون الاساس في الاسلوب الشعري وليس الجمال في ايرادها فحسب بل ان الامر يتوقف على الطريق الذي يسلكه الشاعر في استعمالها . ويذهب بعض النقاد في هذا العصر الى ان كل تعبير يناسب المقام يجوز استخدامه في الادب والعيب في نظرهم هو ان يكون الاسلوب عاجزاً عن التعبير غير اني ارى ان هناك الفاظاً اقوى من غيرها لا على نقل المعاني فحسب بل على نقل الجو او الحالة التي يريد الشاعر نقلها الينا ولعلي في غنى الآن عن ان اذكر لكم انه لا بد للناقد في كثير من الاحيان ان يستسلم الى تأثير الشاعر فيه ولو الى حين ليرتفع معه في هذا الجو العلوي او ينتقل الى الحالة التي اتحاها بعضهم حالة « اللاوعي » وأسميها الوعي الاكبر او الروح الاكبر الذي يستتبع حتماً غموضاً في الفكرة واضطراباً في التعبير ولنذكر ان الشاعر يستمد حياته وقوته من العالم الباطني كما يستمدها من العالم الظاهري ، والعالم الباطني لا تحد آفاقه وفي عمقه وبعده وعدم وضوحه يستطيع الخيال ان يكسب مناظر فتنة وسحراً

ويجب على الناقد عند يقظته من هذه النشوة السحرية ان يحلل ولو الى حد محدود اسباب نشوته ولذته والاَّ فقد ضلَّ السبيل . ويحكى عن مصور كان يعرض صورة ان أحد الاغبياء قال له انهُ لا يعرف شيئاً من أصول التصوير . ولكنهُ يعلم اي شيء يحب ، فاستشاط الرسام غيظاً وقال هكذا تقتل الحيوانات أيضاً . ومهما يكن من امر الوقاحة في جوابه اليه فانه — اي الرسام — قد لمس ناحية مهمة من نواحي النقد في جوابه له . فان علمنا بما نحب لا يكفي بل يجب ان نقرن اليه الاسباب التي من اجلها تعلقنا بهذا الحب

ونستطيع ان نتتبع صفات الناقد الحقيقي بشيء من التفصيل ، غير ان الوقت لا يسمح ولا اظن ان محاضرة واحدة تكفي للبحث في صفة واحدة من صفات الناقد بل اني ارى ان الغرض من المحاضرات ليس حشد المعلومات وقتل الموضوع درساً وانما هي تنبيه للخواطر وفتح لابواب الوحي للعلهين . وعليه فاسمحوا لي ان اجمل فأقول ان على الناقد في نظري ان يكون قبل كل شيء واسع الثقافة عميقها ، يحسن العلم والفلسفة ويتذوق الادب ، واسع الافق ، رحب الصدر بعيد النظر ، فلا يتعصب لجنس على جنس ولا لوطن على وطن ، متجرداً من الغرض ، فلا يجعل للهوى الشخصي سلطة عليه في أحكامه على الآثار الفنية ، ولا يكيل الكلام جزافاً في تقريظ او انتقاد ، ذا قدرة على التعبير عما يحسُّ به اذا سئل عن ذلك ، وعليه بعد ان لا يتقيد بقيود الزمن ولا باقوال الناس ، فلا يبني نقده لشاعر ما على ما قيل عنهُ في عصره او على اثره فيه ، بل ينظر اليه نظراً حرًّا ، مالكاً لعقله اذا اعترته حالات منهُ قد تؤثر بسيطرتها على أحكامه الفنية ، حسن الاستعداد والتخيل والسليقة ، غير جاهل لنظم النقد التي عرفت من قبل ولا متقيد بها ، وعليه بعد ان تكون المقاييس التي يحاول هو وضعها مرنة بحيث تستطيع

ان تصمد امام المفاجئات الادبية التي قد تعصف بكثرة من نظم النقد فتدك معالمها

عند ما تتحقق هذه الامور في الناقد يجيء دور الذوق، وهو أبرز مؤهلات الناقد فيتلمّس الجمال ويتذوقه ويدركه ويميّز ، ويكون النقد الادبي عندئذٍ تطبيق شروط علم الجمال على الادب

اما ميدان الجمال فهو لحسن حظنا واسع تكثر فيه المتناقضات حتى زعم اناتول فرانس ان باستطاعة المرء ان يناقش في المواضيع المتعلقة بتقدير الجمال اكثر مما يستطيع في اي موضوع آخر ، ومن يزعم ان المقاييس لتقدير الجمال وتذوقه قد وضعت وضبطت واستقامت وعينت حدودها فهو خادع او مخدوع ، بل لا اظن ان علماء الجمال يستطيعون ان يخضعوه لهذه النظم التي تخضع لها سائر العلوم ، ولا اظن ان الجمال ينتفع بشيء اذا نظم على قواعد وأرقام وقياسات خاصة ليحشر بين العلوم . انهُ عندئذٍ ليجد ان خياله قد دخل بينها ومدلولاته الرقيقة قد تسربت بين المعادلات العلمية ولكن الجمال والمغزى الذي يحمله الجمال — سحر الجمال يبقى خارج الابواب — ولست اذكر من قال — وأرجو ان لا تحاسبوني على ارقام السنين — اذا استطاع علم الحياة ان يصبح علماً ثابتاً بعد الف سنة فسيقتضي علم الآداب والسلوك مثلها ثم لا بد ان تمر الف سنة أخرى قبل ان يصبح علم الجمال مثلها وسيظل الناس في حيرتهم طيلة الثلاثة آلاف سنة يتساءلون عن مقاييس الجمال ونظمه . غير ان علماء الجمال قد اصطلحوا على وضع بعض النظم لهُ ولكن الخطر كل الخطر أن يوضع هذا السلاح في ايدي الاطفال من الادباء والنقاد فانهم يتحرون به ولقد يضطرنا درسها — لو شئنا التوسع — الى درس فنون أخرى كالتصوير والموسيقى والرقص والنحت وغيرها وبكلمة ان هذه النظم لا يمكن ان ينظر اليها كما ينظر الى المقاييس المادية ، وان تقدير الجمال وتذوقه يختلفان عن اللذة المادية التي تكتسبها منهُ. واذا سال لعاب احدكم حين ينظر الى رسم تفاحة مثلاً فهذا لا يعني ان الجمال فيها هو هذه اللذة التي اكتسبها — هذه تزول ولكن الجمال يبقى فيها فيؤثر فيك وفي غيرك في اوقات أخرى. فتذوق الجمال اذن هو هذا الرضا الذي تحس به دون ان يكون لك مصلحة مادية : هذه هي في نظري فلسفة علم الجمال بكلمة ، وذلك هو سحر الفنّ الذي لا يدرك بالحواس الظاهرة بل بالحسّ الباطن . هكذا أفهم النقد الآن ، قد تفهمونهُ على غير هذا الشكل ، ولعلي واياكم نفهمهُ غداً على غير ما نفهمهُ الآن ، ولحسن حظي وحظكم وحظ النقد نفسهُ ان الناس تختلف فيه اختلافها في أمر الجمال ، ولولا هذا الاختلاف في الاذواق لما وجدت كل هذه الكثرة من الرجال امة في عيون النساء ، ولا ألفت كل هذه الكثرة من النساء سبيلاً الى قلوب الرجال . ولا اظن احداً في هذا البهو يوافق صاحب ليلى في ليلاه حين قال

لقد فضلت ليلى على الناس مثلما على الف شهر فضلت ليلة القدر

الانزيمات

النظريات الحديثة في طبيعة عمل الانزيم

لسر صوار الله محمد رضوان

طبيعة عمل الانزيم

اتسعت الدراسات لمعرفة طبيعة عمل الانزيم وتأثيره كعامل مساعد، وساعد على تقدم هذه الأبحاث اكتشاف Büchner طريقة عزل الانزيمات بعيداً عن خلاياها الحية

ولقد ظهرت نظريات عديدة في تفسير عمل الانزيم، أبسطها النظرية القائلة بأن الانزيم يهيء بيئة مناسبة للتفاعل الكيميائي الحادث، ذلك لأن محلول الانزيم غروي، فتتسع بذلك الأسطح المعرضة للتفاعل المطلوب. الا أن هذه النظرية قد سقطت أخيراً لأن الابحاث الحديثة اثبت أن هناك اتحاداً فعلياً بين المادة المؤثر فيها وبين الانزيم، ثم يتحلل هذا المزيج الى المادة المطلوبة، ويبقى الانزيم ثابتاً دون أن يتغير، فيتحد بمقدار آخر من المادة وهكذا. وقد امكن اثبات هذا الاتحاد بالتجربة العلمية، فأخذ محلولان من مادة التفاعل ومن الانزيم ثم رشحا خلال مرشح خزفي وخلط المترشحان، فوجد أنهما لا يتفاعلان من خلال مسام الترشيح دلالة على امتزاجهما. وهناك رأيان في طبيعة هذا الاتحاد، رأي يقول أنهُ مركب كيميائي أي انهُ قائم على اتحاد الجزيئات، والثاني يقول انهُ مركب طبيعي أو غروي، والرأي السائد الآن في الدوائر العلمية هو انهُ نظام غروي يؤيد ذلك جميع البراهين العملية: والاثباتات النظرية، ورؤية المواد المتفاعلة بالالترامكروسكوب Ultramicroscope، وتأثير الحرارة في المخاليط المتفاعلة

ويؤيد هذا الرأي أيضاً كون التفاعلات التي تقع تحت تأثير الانزيمات هي تفاعلات عكسية، فالانزيم الواحد يستطيع ان يزيد في سرعة التفاعل في اي جهة، وكل اتجاه له شروط تفاعل خاصة، والامثلة على ذلك عديدة مثل تكوين «الاستر» الصناعي الدهون بواسطة «الليباز» الذي في البنكرياس، وكذا تكوين البروتين من الحوامض الأمينية المتحللة، الى غير ذلك

وقد خُصَّت الانزيمات المؤكسدة بضبط كبير من ابحاث العلماء ووضعت نظريات كثيرة لشرح عملها، أشهرها النظريتان التاليتان:

١ — لنظرية Bach : وتتلخص في ان عملية انتقال الأكسجين ، لا تحدث الاّ في حالة وجود مادتين ، الأولى صالحة لتأكسد السريع تعرف علميًّا باسم auto-oxidiser والأخرى أقل قابلية لتأكسد السريع ، وتعرف علميًّا باسم accebtor ، فتتفاعل المادة الاولى مع الاكسجين الجوي فيتكوّن بيروأكسيد ، وهو مركب يحتوي على الاكسجين في حالة فعالة جدًّا . ففي حالة انحلال هذا المركب ، تتأكسد المادة الثانية بسهولة تامة بكونة للاكسيد فاذا رمزنا للمادة الأولى بحرف س والثانية بحرف ص أمكن شرح التفاعل كما يلي :

$$س + ا_{٢} \rightarrow \overset{س}{\underset{ا}{\diagup\diagdown}}$$

$$س ا ا + ٢ ص \rightarrow ٢ ص ا + س$$

٢ — نظرية ويلاند Wieland : وتعتمد هذه النظرية على الاكسدة أيضاً ، ولكن في صورة اخرى وهي تنشيط أيونات الايدروجين لكي تتحد بالاكسجين . ولقد تمكن العالم ويلاند من استخدام هذه النظرية في شرح العملية الحيوية التي تحدث في الخلايا تبعاً للمعادلة الآتية :

كحول + اكسجين ← اسيتلدهيد + ماء

$$ك_{٢} يد_{٥} ايد + ا \rightarrow ك يد_{٣} ك يد ا + يد_{٢} ا$$

وتبعاً لهذه النظرية تتكوّن الاحماض من الالدهيد بواسطة انفصال ذرتين من ايدروجين الاسيتلدهيد كما في المعادلة :

$$ك يد_{٣} ك يد ايد_{٢} ا + ا \rightarrow ك يد_{٣} ك ا ايد + يد_{٢} ا$$

* * *

قد وجد ان حيوية الانزيمات تتأثر تأثراً كبيراً بوجود اجسام أخرى في محاليلها ، وتختلف درجة تأثير اي انزيم عن غيره ، فلقد تزداد سرعة انزيم لوجود مقدار من حامض ما ، وفي نفس الوقت قد يجد هذا المقدار من نشاط انزيم آخر ، مثال ذلك تحلول $\frac{س}{٢٠٠}$ من الحامض الكبريتيك يوقف عمل انزيم الاميلاز الذي في اندوسبرم البذور ، وفي الوقت نفسه يزيد في نشاط انزيم البروتياز ، وهناك من المحاليل ما يوقف حيوية الخلايا ، وبالتالي عمل الانزيمات ، مثل محلول الفورمالدهيد ، والحامض السيانيك ، والفلوريدات المذابة . بينما توجد محاليل أخرى توقف نمو الخلايا ولكنها لا تؤثر في حيوية الانزيمات مثل التولوين والزيلين ، وتعرف المواد التي تنشط الانزيمات باسم Activators والمواد التي تحد من هذا النشاط Inhibitors

وقد لوحظ اخيراً ان انزيمات الانسجة الحيوانية لا تؤدي عملها الا اذا وجد معها مواد خاصة توجد في الغدد او البروتوبلازم الذي يفرزها، مثال ذلك انزيم التربسين يشترط لنشاطه وجود املاح الصفراء وهذه الاملاح — وما يشبهها — تسمى مساعدة الانزيم Co-enzymes ويمكن فصلها عن الانزيم بواسطة عملية الفصل الغشائي Dialysis خلال ورق البرشمنت (البارشمنت)، ومن أحسن الامثلة لمساعد الانزيم في انضاج النباتات، هو مساعد انزيم الزمار في خلايا الخميرة، فاذا رشحت عصارة الخميرة خلال المرشح الهلامي (الجيلاتيني)، رأيت ان الانزيمات الزمرية التي تبقى لا يمكنها القيام بعملية التخمير، وبتحليل هذا المترشح الذي يحتوي على مساعد الانزيم، وجد انهُ يحتوي على فوسفات ذائبة ومادة اخرى لم تعرف ماهيتها للآن

من جهة ثانية وجدت ظاهرة أخرى تعرف بظاهرة تضاد الانزيم Anti-enzyme وتوجد في الديدان المعوية التي تعيش في قنوات الحيوان الهضمية لتمنع تأثير انزيمات المعدة والامعاء في تلك الديدان. وهي توجد ايضاً في الغشاء المخاطي المبطن لجدران الامعاء نفسها لتمنع الهضم الذاتي للامعاء بواسطة الانزيمات الدائمة الاحتكاك بها

ونختم هذا البحث بذكر أهم الفوائد الفسيولوجية الأنزيمات، فللانزيمات تأثير هام في جميع الظواهر الحيوية، ونحن قد علمنا ان الانزيمات لا توجد تفاعلاً جديداً لم يكن موجوداً من قبل، اذ انها تساعد على التفاعلات الكيمية في اي اتجاه، فهي ولا شك تحدد سرعة التفاعل بعد أن يحدد البروتوبلازم اتجاهه. ومن المستحيل أن يتم التفاعل بين المركبات العضوية غير المتأينة في محتويات الخلية بغير هذه الأنزيمات وبمثل هذه السرعة الهائلة التي تتم بها التغيرات، حتى يتمكن الكائن الحي من أن ينمو ويقوم بوظائفه الحيوية الضرورية

***

ومعلوم أن التفاعلات المختلفة التي تحدث داخل الخلايا كثيرة جداً وأغلبها يختلف عن الآخر، لهذا كان من الطبيعي أن يكون عدد الانزيمات الذي ينتظر وجوده في النبات أو الحيوان، كبيراً جداً، وفعلاً أثبتت التجارب ذلك، فوجد أن هناك ١٤ انزيماً مختلفاً في المعدة وحدها و١٦ أنزيماً على الأقل في الكبد، أي انها توجد في جميع اشكال البروتوبلازم الحي ولا يختلف هذا في أي كائن حي سواء كان ميكروسكوبياً مثل البكتيريا، أو ضخماً جداً كشجرة البلوط في المملكة النباتية، ومن الاميبا الى الحوت في المملكة الحيوانية. وتتعدد الأنزيمات وكثرتها، نشاهد في غالب الأحيان أنزيماً معيناً شائعاً في أنواع مختلفة من الاحياء، مثال ذلك أنزيم التربسين فقد عثر عليه في أنواع من الكائنات الدنيئة وفي النباتات آكلة الحشرات وفي بنكرياس الانسان وفي حيوانات أخرى عديدة

جدول

الانزيمات الهامة

القسم والنوع	اسم الانزيم	بيئة الانزيم	المواد الناتجة	مكان وجود الانزيم
اولا انزيمات هيدروليتية				
ا — مجلة الكربوايدرات	الافرتاز	سكر القصب	سكر جلوكوز وفراكتوز	الخمائر
	مالتاز	سكر المالتوز	سكر جلوكوز	شعير المولت
	انيولاز	الأنيولين	سكر فراكتوز	الخرشوف
	بكتيناز	بكتوز	سكر اراپنوز	الثمار
	دياستاز — أميلاز	النشا	سكر مالتوز	شعير المولت
	سليولاز	السليولوز	سكر مالتوز	البكتيريا والفطر
ب — مجلة البروتينات	پپسين	البروتين	بيتون + البيوموزس	شجرة الباباظ
	ترپسين	»	» »	نباتات كثيرة
	رنين	اللبن	پاراكازينات	معدة الحيوانات الرضيعة
ج — مجلة الاسترات	ليپاز	الدهون	جليسرين + احماض دهنية	الحبوب الزيتية
ثانياً انزيمات مؤكسدة	كتالاز	فوق اكسيد الايدروجين	ماء + اكسجين	كل النباتات
	پروكسيداز	»	اكسجين نشوء	»
	يوريز	يوريا	ثاني اكسيد كربون + نوشادر	»
ثالثاً انزيمات مجزئة	زيماز	سكر عنب	كحول + اول اكسيد كربون	خمائر
	لاكتاسيداز	حوامض دهنية	حامض لاكتيك	بكتريا

فهرس

بالاسماء العلمية التي وردت في هذا المقال ولم نعثر لها على مرادفات عربية حتى تسهل مراجعتها على القارىء

اللفظ العربي	الاصطلاح العلمي	اللفظ العربي	الاصطلاح العلمي
الانزيم	Enzyme	انزيم الاميلاز	Amylase
عامل مساعد	Catalyst	» اليورياز	Urease
سكروز	Sucrose	» الكتالاز	Catalase
جلوكوز	Glucose	» الزيماز	Zymase
مالتوز	Maltose	» بروكسيداز	Peroxidase
انزيمات هيدرولية	Hydrolases	» لاكتاسيداز	Lactacidase
انزيمات تحل الكربوايدات	Carbohydrases	» اوكسيداز	Oxidase
» » البروتين	Proteases	» الاميولوزين	Emulsin
» » الدهون	Lipases	» الدكسترياز	Dextrinase
انزيم الاقرتاز	Invertase	» الجلكتاز	Galactase
» مالتاز	Maltase	البيتون	Peptone
» انيولاز	Inulase	البيتيد	Peptides
» دياستاز	Diastase	دهن الاستيارين	Stearin
» سليولاز	Cellulase	الحمض الاستياريك	Stearic acid
» سيتاز	Cytase	جليسيريد	Glycerides
» بكتاز	Pectinase	جليسرول	Glycerol
» بيسين	Pepsin	استرات	Esters
» اريبسين	Erepsin	انزيمات مختزلة	Reductases
» تربسين	Trypsin	اسيتالدهيد	Acetaldehyde
» رنين	Rennin	سكر الليفيولوز	Levulose
» الزيماز	Zymase	سكر الفراكتوز	Fructose

باب المراسلة والمناظرة

حول «مباحث عربية»

النظر في آراء النقاد

بقلم الدكتور بشر فارس

لا يعني — و «المقتطف» خارج في أغسطس — الاّ ان أشكر لطائفة من النقاد عنايتهم بكتاب «مباحث عربية». وهؤلاء النقاد هم (على ترتيب المجاء) : الأب انستاس مارى الكرملي «المقتطف» يوليه ١٩٣٩ — ابراهيم عبد القادر المازني «البلاغ» ٢٧/٥/٣٩ و «المقتطف» يوليه ٣٩ — ادجار جلاد Le Journal d'Egypte ٢٣/٦/٣٩ — اسماعيل أحمد أدهم «الرسالة» العدد ٣١١ و ٣١٢ — بروكلمن «تكملة تاريخ الآداب العربية» ج ٣ ص ١٦٩ ليدن ١٩٣٩ — زكي محمد حسن «الاهرام» ٢٩/٥/٣٩ — سلامة موسى «البلاغ» ٢٣/٦/٣٩ — صديق شيبوب «البصير» ١٩/٥/٣٩ — كامل محمود حبيب «المقطم» ٩/٦/٣٩ — محرر الدستور الأدبي، «الدستور» ١٠/٥/٣٩ — محرر «الهلال» يونيه ٣٩ — م. ح. ع. «الدستور» ١٨/٦/٣٩ — مراد كامل «الرسالة» العدد ٣٠٨ — وشكري للصديقين: القصصي محمود تيمور («الرسالة» العدد ٣٠٩) والفنان زكي طليمات («الرسالة» العدد ٣١١). وشكري أيضاً لمن بعث اليّ برسائل رقيقة، وأخص بالذكر الاستاذ ميخائيل نعيمة من لبنان، والدكتور فيليب حتي من أميركة الشمالية، والمستشرق ماسينيون من فرنسة والمستشرق تيشنر من المانية

وقد ورد في كتب النقاد كلام لطف أيّ لطف حتى إنك ترائي أنسبهُ الى سماحة الطبع تارةً، وأعده من باب حسن الظن بالمؤلف أخرى. واهتمام النقاد — على اختلاف مشاربهم، إذ فيهم العالم والأديب والمنشىء — بكتاب كنت أظنه يدفن يوم يخرج، لبوس صفحته وثقل مادته، لأقطع دليل على ان في مصر من ينشط لكتاب مجرى على «أسلوب يُضجر مَن همم من القراءة أن يتلوا ويتلهوا ساعةً لانهُ يحوجهم بشدة إحكامه الى كد الذهن» على قول الصديق الأديب المترسل ابراهيم عبد القادر المازني

وثمة أمر يجب القارىء — على سبيل الفرض — من هذا الكتاب ، ليحسن بي أن أعرض معه جُملة ما أخذ عليه . وإن أنا نظرت في المآخذ ، على اختلاف ألوانها ، فإنما يكون هذا طلباً للدنو من الحقيقة ورغبة الى القارىء المهذَّب في أن يرى رأيه فيها

***

أخذ عليَّ العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي استعمالي لفظة « المتضدة » بدلاً من « التضد » لأن المتضدة « لفظة لم ترد في كلام فصيح » ، والتضد « من باب تسمية الشيء بالمصدر »

والوجه ان المتضدة لا تعميها في « لسان العرب » (ج ٤ ص ٤٣٣ وما يليها) ولا في « القاموس » مثلاً ، ففيهما : « التضد : السرير يتضد عليه المتاع » . فالأب العلامة على صواب . إلا أن المعجمات لا تحصر متن اللغة ، فضلاً عن أن باب الاشتقاق ميسور لطالبه . والمتضدة على وزن مِفعلة (بكسر الميم) تجري مجرى اسم الآلة . ثم اني يلوح لي ان استعمال لفظة التضد يورث بعض الاشتباه لأن التضد يدل على الشيء ومصدر الفعل في آنٍ ، وفي استعمال لفظة المتضدة تقييد للمعنى ونجاة من الاشتراك

***

يسألني الدكتور مراد كامل — مدرس اللغات السامية في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول — أن « أدوّن الرموز (التي استعملها) في الطبعة الثانية على ترتيب ما ، نحو الترتيب الابجدي »

وبهذا الأسلوب الرقيق ينبهني الزميل الفاضل أنه كان ينبغي لي ان ارتب الرموز ، مع قلتها. وعليَّ عهد أني متدارك هذا في الطبعة الثانية ان شاء ربك

***

في رأي الأستاذ صديق شيبوب ان استعمالي «النقد الباطني مقابلاً للنقد الخارجي لا يتشى وتقاليد اللغة . فقد قالوا : خارجي وداخلي ، أو ظاهري وباطني»

والحق بين يدي الأستاذ الناقد صديق شيبوب من جهة التقليد اللغوي. الاَّ أن للاصطلاح الفلسفي أن ينحو نحوه ابتغاء الدقة والفرار من اللبس . وبيان هذا اني لو استعملت «الظاهري» لانصرف الذهن الى الأخذ بال «ظاهر» ، و «الظاهر هو اسم لكلام ظهر المراد منه للسامع بنفس الصيغة ويكون محتملاً للتأويل والتخصيص » (أطلب « التعريفات » للجرجاني ، مصر ١٢٨٣ ، كلمة «الظاهر» الأولى) . هذا على حين أني أريد «القضية التي يكون الحكم فيها على الأفراد الخارجية فقط» (اطلب «كشاف اصطلاحات الفنون» كلمة «الخارجي»). ومن هنا تولي عند الفحص عن حديث نبوي : « واذا بدا لك أن تعدل عن النقد الخارجي critique externe

وهو النظر في الأسانيد ، الى النقد الباطني critique interne وهو النظر في الأسلوب ، فاعلم أن أسلوب هذا الحديث محض اسلامي » (مباحث عربية ص٤٢) . هذا ما يعلل إعراضي عن لفظة الظاهري . وأما انصرافي عن لفظة الداخلي ، وهي المقابلة للفظة الخارجي من باب التقليد اللغوي الى لفظة الباطني ، فسببه مخافة اللبس . وذلك لأن لفظة «الداخل» مُفادات شتى في الكلام والفلسفة (وهي : الركن والأسطقس والهيولى والاصل ، والموضوع — راجع « التعريفات » كلمة الداخل») . هذا فضلاً عن أن « الباطن » أدل على المعنى المقصود من « الداخل » في هذا التعبير : « النقد الباطني » . لأن الباطن يوجه الذهن الى ما هو داخل والى ما في الداخل من خفي ، على حين ان النقد الداخلي لا يقتضي النفاذ الى كنه الاشياء بل يقف عند ما وراء المنظور . وعلى ذلك ترى الباطن أشد إيغالاً وأعم

واذا قلتَ : لِمَ لا تستعمل كلمة « خفي » — وهي ضد كلمة « ظاهر» أيضاً على ما جاء في « التعريفات » (كلمة « الظاهر» الثانية)— قلتُ : ان كلمة « الخفي » سَاقة الى اللبس ،لأن الخفاء « في اصطلاح اهل الله هو لطيفة ربانية مودعة في الروح بالقوة ... » (« التعريفات » كلمة « الخفي »). واذا اعترضت بعد هذا بقولك : ان كلمة « الباطني » مجلبة للبس أيضاً من حيث ان « الباطنية »فرقة من فرق المسلمين (أطلب « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للرازي مصر ١٩٣٨ ص ٧٦ وما يليها ، ثم أطلب « كشاف اصطلاحات الفنون » كلمة « الباطنية ») ، جعلت ردي أنك إن اردت النسبة الى « الباطنية » قلت : نقد الباطنية ، اي فرقة الباطنية ، لا النقد الباطني أي : طَلاّب الباطن (وعلى هذا « الظاهرية »)

***

عدّ الاستاذ م . ح . ع . [1] المبحث الأول من الكتاب ، وعنوانه : مسلمون في فلندة « مقالاً لا يتناسب مع موضوعات الكتاب »

وهذا حق من جهة أن ذلك المبحث لا ينهض ، نحو مبحث «مكارم الاخلاق » أو «المروءة» أو « تاريخ لفظة الشرف » ،على استقراء الواقعات واستقصاء المصادر . فليس هو مبحثاً بالمعنى المتواضع عليه،ولذلك سميتُه «استطلاعاً» inquiry, enquête وهو بهذا يدخل في باب« المشاهدة بمباشرة وملاقاة » (كما يقول ابن سينا) من علم الاجتماع . ولعلي جعلته رأس المباحث ، لجدّته وخلابة موضوعه مع سهولته ، مدخلاً الى فصول كالحة تأكل حواشيها منها

(١) — محمد فتحي العرابي

ثم ان الكاتب المستعرب الأستاذ اسماعيل احمد ادهم ، خريج جامعة موسكو [1] ، نشر في « الرسالة » ، بعد الدكتور مراد كامل ، نقداً مسهباً أحب أن أتمهل عنده :

ألا أني يسوءني ان اقول اني لمست فيما كتبهُ الأستاذ ادهم انحرافاً عن وجه النقد الصحيح واضطراباً في تناول المسائل العلمية، واجتلاباً للنقد نفسه ، واستسلاماً الى آراء المستشرقين من غير تمحيص للواقعات ذاتها ، ثم تحدياً في القول . واليك تفصيل ذلك :

***

أما انحراف الناقد عن وجه النقد الصحيح ففي مثل قوله في مبحثه « مكارم الاخلاق » — وهو المنشور من قبل باللغة الفرنسية في « مجلة الأكاديمية الوطنية للعلوم في رومة ١٩٣٧ بعد القاء لهُ في مؤتمر المستشرقين (سبتمبر ١٩٣٥) — : « وكان بودنا ان نناقش الباحث آراءه التي اتى بها في الموضوع ولكن المصادر اعوزتنا . لهذا صرفنا النظر عن مناقشتها . على انهُ يظهر ان الباحث وفى حقهُ من التحقيق والفحص العلمي »

هذا أسلوب من النقد لم ألقه قبل اليوم . فاما ان يناقش الناقدُ الباحثَ في مسائل واضحة معينة ، ولا يكون ذلك إلا بعد مراجعة المصادر بنظر ناقد . وإما ان يتجنب الكلام او يعرض للبحث من الناحية الموضوعية فيبين مطالبه ويجملها للقارىء دون أن يلقي في وهمه انهُ يستطيع مناقشة الباحث ولكنهُ « صرف النظر عن المناقشة » لان المصادر تعوزه . فذلك أسلوب فيه تهويل ، مما يدعو القارىء الى الارتياب في قدر البحث نفسه . اثم يكتب الناقد : « على انهُ يظهر (كذا) ان الباحث وفى حقهُ (اي الموضوع) . . . » ؟

انما وظيفة النقد تحقيق الموضوع ولا سيما اذا كان مما يتصل بالعلم الاستقرائي . وعلى هذا الوجه يستعين الباحث بالناقد على خدمة العلم الصرف

***

وأما اضطراب الناقد في تناول المسائل العلمية ففي استشهاده بفصل من كتاب « ملتقى الفنين » للأستاذ مراد فرج (القاهرة ١٩٣٠ ج ١ ص ٩٠) . قال الناقد : « كلمة المروءة وردت في اللغة العبرية نازعة فيها لمعنى السيادة » ثم رجع القارىء الى : سفر دانيال، الإصحاح ١٤ ، الآية ١٩ والواقع ان في كتاب مراد فرج ما حرفه : « مرا : فتح فكسر مال ممدود بمعنى السيد

---

(١) أورد الاستاذ سامي الكيالي في بحثه بعلب « الحديث » في التصدير الذي عمله لبحث الاستاذ ادهم في « طه حسين » ١٩٣٨ ، ان الاستاذ ادهم أخذ في العلوم والفلسفة اجازتي Sc. D., Ph. D بدرجة شرف من جامعة موسكو سنة ١٩٣٣ وانه قام من الجامعة نفسها اجازة Ph. D. بصفة ثانية سنة ١٩٣٨ . هذا وان الاستاذ ادهم ، كما يعلم قراء المقتطف ، يجعل تحت توقيع اسمه : « عضو أكاديمية العلوم الرومية ووكيل المعهد الرومي للدراسات الاسلامية »

وولي الأمر» . وعليه فمن اين جاءت لفظة «المروءة» ؟ ثم ان الأستاذ مراد فرج استشهد في هذا الموطن بسفر دانيال (من «العهد القديم») ، فكتب : « دانيال ١٤ — ١٩ ، والأصل العبري ١٦... (يريد الإصحاح ١٤ والآية ١٩ في الأصل العربي والآية ١٦ في الأصل العبري)

ومن المستحيل ان يكتب الأستاذ فرج : الاصحاح ١٤ (الرابع عشر) ، لأن سفر دانيال اثنا عشر إصحاحاً فقط . ومن هنا اتضح لي ان الاصحاح ١٤ من غلطات الطبع . فسألت زميلي الدكتور مراد كامل — مدرس اللغات السامية بكلية الآداب لجامعة فؤاد الأول — في ذلك ، فأخبرني بعد المراجعة ان الصواب هنا : الاصحاح ٤ (الرابع) والآية ١٦ و ٢١

وهكذا ترى كيف جاء الاستاذ أدهم ونقل ما في كتاب فرج من غير تحقيق ولا مراجعة . والظريف انهُ استشهد بسفر دانيال أولاً ، اذقال : « دانيال ١٤ — ١٩ ومراد فرج في ملتقى اللغتين ج ١ ص ٨٩ — ٩١ » ، كأنهُ اطلع على سفر دانيال قبل « ملتقى اللغتين » لمراد فرج

— ومما يتصل بما تقدم أن الناقد كتب عند الكلام على انساب العرب : « ولكننا على الرغم من ذلك نلاحظ جواز أن تكون القبيلة منشؤها اجتماع عدة بطون واخلاط من قبائل مختلفة : (ابن حزم نقلاً عن الفهرست ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ . والمراجع العربية تروي ان قبائل ثمود وغسان والعتق تكونت من شتيت البطون التي تناثرت في الصحراء من القبائل العربية التي تفرقت بعد تركها مواطنها في الجنوب : الفهرست ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ وكذلك لنا (يعني كتاباً لهُ) علم الأنساب العربية ص١٣ — ١٤ »

على هذا النحو ترى الجزء الثالث (؟) من « الفهرست » لابن النديم يُنبّت مرتين على سبيل المرجع . وليس للأستاذ أدهم أن يستجيد غلط الطبع ، إذ في كتابه المستشهد به ايضاً « علم الأنساب العربية » (طبعة مجلة الحديث، حلب ١٩٣٨ ص ١٤) ما جاء في نقده حرفاً بحرف

هذا والمعلوم ان « الفهرست » لابن النديم طبع مرتين : مرة في ليبتسج Leipzig سنة ١٨٧٢ ومرة في مصر سنة ١٣٤٨ هـ . وفي كلتا المرتين خرج « الفهرست » في جزء واحد . والذي حدث في هذا الموطن أن الاستاذ ادهم اقتبس المرجع الى « الفهرست » من كتاب من الكتب الحديثة من غير ان يراجع المظنّة (شأنهُ مع «سفر دانيال»)، ولو راجعها لعلم أن الكلام على الأنساب يقع في « المقالة الثالثة » (« الفن الأول : في أخبار الاخباريين والنسابين ... ») من كتاب الفهرست لا في « الجزء الثالث » منهُ . ومن هنا يتبيّن انهُ ظن المقالة جزءاً لحظة اقتبس المرجع ، وأما الصفحة التي يعينها (ص ١٨٧) فلا أثر فيها لما يذكره . بل اني قرأت « الفن الأول » من « الجزء الثالث » كله (طبعة مصر) ولم أعثر على حديث الناقد

وأما قوله في مرجعه : « ابن حزم نقلاً عن الفهرست ... » فغاية الاشتباه . لأنهُ اذا

قال ابن حزم من غير تعيين اراد صاحب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » المولود سنة ٣٨٣ (والفهرست صنف سنة ٣٧٧) . ولابن حزم ستة وثلاثون مؤلفاً (راجع بروكلمن « تكملة تاريخ الآداب العربية » ليدن ١٩٣٧ ج ١ ص ٦٩٤ — ٦٩٧) . وعليه فلنا ان نسأل الناقد اي كتاب لابن حزم يعني . ثم اني اعلم أن لابن حزم كتاباً لا يزال مخطوطاً عنوانه : « جمهرة النسب » وقد نشر جانباً منهُ Khuda Bukhsh في كتابه Contributions to the Hist. of Isl. Civil... كلكته ١٩٠٥ ص 1 الى XXXV . فهل يعني الأستاذ ادهم ذلك المخطوط ؟ واذن فاين اسم الكتاب واين الصفحة كما يصنع الناقد الثبت والباحث الثقة ؟ (١)

وخاتمة القول : أين الجزء الثالث في الفهرست ، وأين النصُّ المستشهد به في ص١٨٧ ، بل في الفن الاول من المقالة الثالثة من الفهرست ؟ ثم من ابن حزم هذا وما كتابه ؟

— ومن الاضطراب أيضاً أن يقول الناقد : « ويرى (يعني) للعربي صلات اجتماعية في حدود الحي والقبيلة . وفكرة البحث وجيهة ، ولكن ما رأيه في كون التحالف العربي بقبيلته او حيه مظهر (كذا) من الاصل الطوطمي totemism عند العرب القدماء ، والطوطمية مصدرها فردية صرفة »

والرد ان الطوطمية اجتماعية صرفة ، كما قرر ذلك علماء الاجتماع . واليك دليلاً ما كتبهُ (دوركايم) Durkheim صاحب مدرسة علم الاجتماع في فرنسة لهذا الزمان : « ان نوع الاشياء الذي يعين الحي من طريق اجتماعي collectivement يسمى : طوطم . وطوطم الحي هو طوطم كل فرد من افراده » (اطلب Les Formes élementaires de la Vie Religieuse باريس ١٩٢٥ ص ١٤٣) . وعلى هذا ما جاء في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١٤ ، كلمة Totemism) : « للطوطمية خاصة اصلية هي ارتباط جماعات من الناس بجماعات من الحيوانات او الاشياء ، لا ارتباط افراد من الناس بحيوانات مفردة . وهذا الارتباط الاخير ظاهرة شائعة لا يستحسن ان تنطوي تحت الطوطمية »

***

واما اجتلاب الاستاذ ادهم للنقد فيُعين عند كلامه على طائفة المسلمين الذين اهتديت اليهم في فنلندة سنة ١٩٣٤ ، وهم من التتر الضاربين أصلاً في وراء جبال اورال . وقد دوَّنتُ أنهم هجروا الى الشمال وحلوا بفنلندة عقب الثورة البلشفية في روسية

(١) وهنا يذكرني ان بالاستاذ أدهم ميلا الى ارتجال المراجع . من ذلك ما جرى على قلمه في مجلة الرسالة (العدد ٣١٣ ص ١٣٣١) : « قد تكررت جملة كذا في كتابك العالم الاجتماعي دوركايم Durkheim وخصوصاً في مجموعة محاضراته عن علم الاجتماع في السوربون (ص ١١ و١٣ و٢٤ و٢٦ مثلا) » فما هذه « المجموعة » ؟ راجع ما كتبته في الرسالة العدد ٣١٤ « باب رسالة النقد » ص ١٣٧٩

على أن الناقد يقول : «ونحن نعرف ان المصادر التركية تتحدث عن رحلة مجموع من الاتراك المسلمين الى الشمال في القرن السادس عشر للميلاد وانهم نزلوا بلاد (الفنوا) . فهل تحقق الباحث من ان مسلمي فنلندة الذين شاهدهم عن كثب ليسوا من نسل هؤلاء؟ وان قولهم بأنهم اتوا فنلندة عقب الثورة الاشتراكية الكبرى في روسيا حقيقة تخلو من الريب ؟ »

والرد ان هؤلاء المسلمين الذين اهتديت اليهم في فنلندة خبروني بما دونته ، وقد أيد موظفو الحكومة الفنلندية ما خبرني به القوم ، وصاحب الدار أدرى بالذي فيها . وليس لي ان اشك فيما قاله هؤلاء الموظفون واولئك المسلمون ، اذ لا داعي الى الكذب ، واذ الهجرة قريبة العهد (خمس عشرة سنة) فكيف تُلفَّق ؟ والذي يُخيَّل اليَّ ان الاستاذ آدم — خريج جامعة موسكو — يريد ان يجعلنا نرتاب في ان نفراً من الناس بل من المسلمين يخطر لهم ان يفروا من الثورة البلشفية (او الثورة الاشتراكية الكبرى ، كما يسميها)

— ومن اجتلاب النقد ايضاً قول الأستاذ ادهم اني كتبت أن هؤلاء المسلمين يقيمون في مدن ، منها مدينة « توركو » ولم اذكر مأصلة هذه المدينة بلفظة « تُرك » . وفي رأيه ان هؤلاء المسلمين لم يستطيعوا ان يخلعوا اسماً مشتقاً من جماعتهم (يعني لفظة تُرك) على تلك المدينة لأنهم لم يقيموا بها سوى خمس عشرة سنة ولأنهم أقلية ، وعليه « فللموضوع شأن اعمق من القول بأن هؤلاء من الذين نزلوا فنلندة بعد الثورة البلشفية في روسية » . وبهذه الجملة يعود الناقد الى حمل القارىء على الارتياب في تاريخ هجرة اولئك المسلمين ، فيصرف ذهنه الى جماعة الترك الذين رحلوا الى فنلندة في « القرن السادس عشر »

والرد ان مدينة « توركو » عيِّدت ، سنة ١٩٢٩ ، انقضاء سبعمائة سنة على انشائها (راجع « دائرة المعارف البريطانية » الطبعة ١٤ كلمة Turku) ثم ان « توركو » هو الاسم الفنلندي الصميم للمدينة (واسمها الأسوجي : آبو Abo ، وقد أهملهُ الفنلنديون الآن تعصباً لقوميتهم) . وكانت « توركو » عاصمة فنلندة في المائة الرابعة عشرة للمسيح ، وفيها كان مقر الاسقف وقيام الحكم (الطب La Fiolande بقلم J.—Le Perret باريس ١٩٣١ ص ١٥ ثم Hist. des Pays Baltiques بقلم Meurret باريس ١٩٣٤ ص ٧٢) . والمائة الرابعة عشرة للميلاد قبل « القرن السادس عشر له » . فلا تأثير اذن لجماعة الترك الذين ذكرهم الناقد في اسم مدينة « توركو »

— ومن اجتلاب النقد ايضاً ان الناقد يقول في بحثي عن اولئك المسلمين « اني لم اتعمق في البحث » وحجته اني كتبت ان حروف هجائهم هي الحروف اللاتينية — التركية التي وُضعت وشاعت بأمر اتاتورك ، فلم اتبت من ان هذه الحروف هي التي « توافق عليها اتراك آسيا الوسطى والقوقاز والاورال في مؤتمر تفليس عام ١٩٢٥ »

وهنا اقول دفعة اخرى : ان هؤلاء المسلمين خبروني بما دونته ، فضلاً عن انهم صرفوا هواهم عن روسية الى انقره ، كما جاء في مجتي (ص ٢٣) ، وذلك بغضاً للبلشفية وأصحابها. والعهدة في ذلك عليّ

[هذا وإن منطق الاستاذ ادهم في هذا الاعتراض والذي سبقهُ يذكرني بمنطقهِ في اثبات تاريخ ميلاد صديقي الاستاذ توفيق الحكيم . فقد عين الاستاذ الحكيم لأدهم مولده ولكن الأستاذ ادهم أبى الاّ ان يسلب صديقي خمس سنوات من عمره ، وذلك على طريقته الخاصة في الاستدلال . اسمعهُ يقول : «هنالك خلاف جوهري بيني وبين الاستاذ توفيق الحكيم بخصوص تاريخ ميلاده ، فهو يقول انهُ ولد عام ١٨٩٨ في خطاب بعثه الينا ولكن هذا التاريخ لا يتفق مع هيكل التحقيقات (كذا) التي قمنا بها . . . . وعلى هذا يكون ميلاد الاستاذ الحكيم اواخر سنة ١٩٠٣ (صيف عام ١٩٠٣) ، اما انهُ مولود في الصيف فهذا محض استنتاج من مجرى تاريخ حياته حيث افترض ان والديه ذهبا للاسكندرية لقضاء اشهر الصيف ، فوضعته والدته بالاسكندرية» راجع هذه الفصة الفريدة في مجلة الحديث ، حلب ١٩٣٩ ص ٣٣٢ المتن والحاشية رقم ٨٢٧.]

— ومن اجتلاب النقد ايضاً ان الناقد يقول اني « اعتبر كلمة البصيرة مقابلاً لكلمة intuition (يريد ناظرة اليها) في ص ٥٧ (من كتابي) » على حين ان «المرجح عنده لفظة الحدس لأنها فلسفيًا كما جرت على اقلام فلاسفة العرب كابن سينا والفارابي تفيد معنى الانتقال دفعة واحدة من المبادىء الى النتائج ، وهذا ما يفيده معنى لفظة intuition اصطلاحيًا ولغويًا كما يستفاد من مراجعة معاجم اللغة الفرنسية»

والرد اني لم اثبت كلمة intuition ازاء كلمة « البصيرة » في ص ٥٧ من كتابي ولا في صفحة غيرها ، فمن اين جاء بها الناقد وكيف يجعلني « اعتبر» ما يجهل هل انا « اعتبره» ؟ انه يحملني هذا ليساق الى الكلام على «البصيرة» و«الحدس» فيذيع علمه الغزير ، دون ان يخرج نصًا لأحد من فلاسفة العرب . واليك نصًا صريحاً للغزالي : «الحدس وهو سرعة الانتقال من معلوم الى معلوم...» («تهافت الفلاسفة» بيروت ١٩٢٧ طبعة Bouyges ص ٢٧٣ . ثم ليراجع لفظة الحدس في «كتاب الاشارات» و « النجاة» لابن سينا : Goichon, Introduction à Avicenne باريس ١٩٣٣ ص ٣٦ التعليقات) . وهما يفيد «الحدس» فان الناقد يرى ان كلمة intuition تفيد أيضاً الانتقال دفعة واحدة من المبادىء الى النتائج (ولعله يريد «الى المطالب»: كما جاء في « التعريفات» و « كشاف اصطلاحات الفنون») ، وذلك «اصطلاحيًا ولغويًا كما يستفاد من مراجعة معاجم اللغة الفرنسية »

وهنا أحب ان أدعو الناقد الى مراجعة معجمات الفلسفة ، نحو « المعجم الاصطلاحي والنقدي للفلسفة (ج ١ ص ٣٩٦ — ٤٠٢) وصاحبه الاستاذ لالند Lalande وعليهِ أخذت فن المنطق في

السريون . فلعل الناقد يرى أن مدلول كلة intuition يذهب الى أبعد مما يظن . وذلك لان المصطلحات الفلسفية لا تصاب على وجوهها التامة في « معاجم اللغة » كما يقول الناقد . أضف الى هذا ان لفظة « البصيرة » ولفظة intuition متباعدتان من حيث الاشتقاق اللغوي (راجع «البصيرة» في «كشاف اصطلاحات الفنون» فوازن بينها وبين مدلول intuition عند Bergson خاصة) . ولا أريد ان أعرض لهذا المطلب ، فانهُ يخرجنا مما نحن فيه

***

واما استسلام الناقد الى آراء المستشرقين من غير تمحيص لاوائلات نفسها ، فأقطع دليل على هذا ما كتبهُ : « على هذا التفسير يسير اعلام الاستشراق في أوربا » يريد تفسير لفظة المروءة . ذلك التفسير الذي اظنني دفعتهُ دفعاً في مبحث لي نشرتهُ من سنتين دائرة المعارف الاسلامية التي يخرجها « أعلام الاستشراق » في اوربة

وعلى هذا النحو من التثبت يردد الناقد أقوال المستشرق جولدتسيهر ، وهي أقوال تصعد الى سنة ١٨٨٩ ، في نقده لمبحثي في المروءة . والغريب انهُ يعتمد على ما ذهب اليه جولدتسيهر في هذا الباب ، على حين اني عقدت فصلاً كاملاً في المبحث لأدفع مذهب جولدتسيهر وبين يدي الحجج المستخرجة من النصوص الصريحة لا المنزعة من الذهن تخيلاً وارتجالاً او المنقولة من كتب الفرنجة . وكل ما صنعهُ الناقد انهُ قال : « ان تساؤل معاوية عن معنى المروءة لا يدل على التباس معنى اللفظة لأن مثل هذه الاسئلة التي ترد في كتب الادب واللغة منحولة لاغراض واضحة ظاهرة »

فان صح قول الناقد فما رأيه في النصوص الأخرى التي اتيتها أو رجعت القارىء الى مظانها وهي كثيرة ، بدليل ان الناقد نفسه يقول : « في هذا المبحث (اي مبحث المروءة) يبرز الباحث رجلاً مدققاً غرضهُ للموضوع في احاطة تحيية » . ما رأي الناقد مثلاً في كلمة ابي حاتم البستي : « اختلف الناس في كيفية المروءة » والبستي ، بهذه الكلمة ، يصرح بتضارب التعريفات للفظة المروءة وتباين الأقوال فيها (راجع «مباحث عربية» ص ٦٠) . والبستي هذا اقرب الى العصور الاسلامية من المستشرقين ومناء فقد توفي سنة ٣٥٤ هـ . ثم ان اختلاف الناس في كيفية المروءة دليل على التباس هذه اللفظة

واما قول الناقد بأن المروءة تنزع في اللغة العبرية الى معنى السيادة ، مستخرجاً ذلك من كتاب مراد فرج ، على ما تقدم ، فمدفوع أساساً . ذلك أن مراد فرج نفسه يقول : ان اصل « مرا » العبرية (ولم يذكر المروءة البتة) آرامي . وفي مبحثي في المروءة فصل أوردُ فيه

الاستاذ الى مادة «م ر ا» الآرامية في سبيل الذهاب — من طريق ذلك الاستاذ — الى ان لفظة «مرء» العربية تفيد السيادة . وقد أهمل الناقد ما قاله الأستاذ فرج في كتابه «ملتقى اللغتين»، في اصل كلمة «مرأة»، مغالطة

— ومن استسلام الناقد الى آراء المستشرقين انه يعول على كتاب Robertson Smith وعنوانه Kinship and Marriage in Early Arabia في «كون التحاق العربي بشيخه اوجبه مظهر (كذا) من الأصل الطوطمي»

على ان كتاب Smith في هذا الباب لا يحتج به اليوم (راجع مثلاً ما دونته في رسالتي «العرض عند عرب الجاهلية» باريس ١٩٣٢ ص ١٩ من «ثبت المصادر»)

— وهنا اذكر اننا اصبحنا ندير النظر في كل ما يذهب اليه المستشرقون، سواء بالرجوع الى الاصول والفحص عن المصادر الاولى أو بتعقب التبيين والاستدلال . اذ قد مضى الزمن الذي فيه كنا نأخذ العلم عنهم اخذاً نؤمن بكل ما يقولون به . والرأي ان نقتبس من مناهجهم وننتفع بما يؤلفون مع استقلالنا بأقلامنا وبصائرنا : العلم لا يستأثر به، والعربية وقوتها من تراثنا

***

وأما تحدي الناقد في القول فيدخل تحته كل ما اخذ عليّ في باب اللغة . من ذلك انه يرى — بعد الاستاذ صديق شيوب، دون ان يذكره — ان تعبيري: النقد الخارجي والنقد الباطني «ضعيف من جهة السياقة العربية اللغوية الخالصة». وقد مرّ ردي على هذا الاعتراض

ومن ذلك أيضاً انه يرى ان استعمالي لفظ «السلوك» لأحد مشتقات المصدر الفرنسي (وهو moralité) تارةً، ولفظ (الاخلاقيات) لمشتق آخر لنفس المصدر (وهو morale بمعنى éthique) تارة اخرى «يوقع في اللبس والاختلاط»

والرد ان الناقد لم يدرك الفرق الذي بين اللفظين الفرنسيين : moralité و morale (راجع مباحث عربية ص٣٦و٥٦)، فالأول يدل على اعمال المرء من الناحية الاخلاقية، والثاني يفيد علم الاخلاق . وحسب الناقد ان يستفسر معجماً فرنسيًّا للمدارس ذينك اللفظين

— ومن ذلك أيضاً انهُ يرى ان قولي: «ان لفظة الشرف مفادات متجاورة تارة، متباينة أخرى» بما «فيه قصور واضح في التعبير العربي فضلاً عن ان التعبير غير مستقيم من جهة البناء اللغوي العربي» (اين البناء غير المستقيم؟) وحجته في هذا ان «في هذا التعبير لفظة التجاور تفيد الفرنجيًّا معنى synonyme، ولكي تتسق مفادات العبارة لا بد من ابدال لفظة المتجاورة من الجملة بالمتشابهة لأنها ادل على المعنى واكثر اتساقاً في الجملة»

وهنا لا اريد ان اطيل الرد ، لاطمئناني الى ان القارىء العربي يفطن بسليقته أن وجه الصواب (وكلة synonyme في الافرنجية هي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد ارتقارب) وليأذن لي الدكتور أدهم في ان ارشده الى كتب اللغة العربية ليتبين ان معنى synonyme تؤديه في العربية الفصحى لفظة « المترادف » . واليه مثلا فصلا قريب المثال في « المزهر » للسيوطي (النوع السابع والعشرون) . وأما « المفادات المتجاورة » فهي المتجاورة voisines في الفرنسية ، وأما المتشابهة فغير المترادفة . وبين هذه الألفاظ من الدقائق ما يشق على غير العربي أن يحس به

— ويدخل فيما تقدم ما يراه الناقد في كلة « الاسلوب » وما كتبهُ في شأن « المشاهدة والتخيل » . والله لا ادري ما الذي استدرج الناقد الى باب النقد في اللغة ، وهو الذي لا يزال يأخذ لثتنا عنا . ألا تسمعهُ يقول (مجلة الرسالة العدد ٣١٣ ص ١٣٣١ ، وهو يريد الاعتذار من اقتباس تعبيرات لي[1]) : « اني حين اكتب بالعربية فانا اكتب بلغة غير لغتي الاصلية ، ومن هنا بعض ما يجيء على قلمي من التعابير الخاصة لكتّاب اليوم استدراكاً للمعنى الذي في ذهني من تعابيرهم » .

***

تلك هي مآخذ الاستاذ أدهم على « مباحث عربية » . وما تهلت عندها الاّ ارادة ان تستقيم موازين النقد في بلدنا ، ورجاء أن يفطن من يقد علينا من المتصرفين الى النقد انا ندري ما أساليب العلم الحق ، واننا لا يأخذنا القول بالظن ولا الكلام المتحدّي ولا الجدال المتحكم ولا التظاهر بالدراية والتثبت ، وان قال الناقد ، غير متهيب ولا متردد ، انهُ « أكثر الكاتبين في العربية استقصاء للمصادر » . (مجلة الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٥) .

ألا اننا نطلب في معسر النقد الذي تمده الرغبة الصحيحة في خدمة العلم ، والعلم عندنا أسمى شيئاً مقدساً له حدّته وله حرّاسه . والنقد للعلم مصباح على ان يكون الزيت لا دخل فيه

بشر فارس

دكتور في الآداب من السربون

---

(١) اقتبس الاستاذ ادهم جملا تارة برمتها واخرى مجزءة من توطئة مسرحيتي « مفترق الطريق » المنشورة في مقتطف مارس ١٩٣٨ ثم من بحث لي في مذهبي الرمزي منشور في مجلة الرسالة العدد ٢٥١ والظريف أنه استحسن هذه الجمل المقتبسة مني لدرس مذهب توفيق الحكيم في الرمزية . وهذه طريقة في التطبيق في النقد الادبي جديدة (راجع كل هذا في مجلة « الرسالة » العدد ٣١٢ البريد الادبي « في اقتباس الكتاب » والعدد ٣١٤)

حول مقال التعقيم

كتب الدكتور شرف عيران في عدد المقتطف لشهر يوليو عن التعقيم بين انصاره ومعارضيه افتتحهُ بتعريفهِ لغويًّا ثم قال (وكان الملوك والخلفاء يعقمون الرجال الذين يستخدمونهم بسل خصاهم فيزول عنهم الميل الجنسي) ثم أشار في الهامش إلى حكاية تؤيد هذا فقال (يقال هو أعقل من خاسي المخنثين وهو مثل أصله أن جماعة من المخنثين كانوا في المدينة في عهد سليمان بن عبد الملك الأموي فأراد أن يفهم منها فكتب إلى عامله فيها أبي بكر عمر بن حزم احص من عندك من المخنثين فاتفق أن نقطة من السطر الأعلى وقعت فوق الحاء فخصاهم)

وليست صحة الرواية كما روى الكاتب الفاضل فهو قد أوفى بحثهُ من الناحية الطبية لذا لزم أن نصحح ما ليس من اختصاص الطبيب بل من أبحاث الأديب

فقد حكى الجاحظ في باب (مساوي شدة الغيرة والعقوبة عليها) من كتابهِ (المحاسن والاضداد) ما نصُّهُ:

(حكي عن سليمان بن عبدالملك أنهُ كان في بعض اسفاره فسير معهُ قوم فلما تخرقوا عنهُ دعا بوضوء فجاءت بهِ جارية فبينما هي تصب الماء على يده اذ استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثاً فلم تصب عليهِ فأنكر ذلك ورفع رأسهُ فإذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها الى صوت غناء من ناحية العسكر فأمرها فتنحت فسمع الصوت فإذا رجل يغني فأنصت لهُ حتى فهم ما غنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فأجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيهِ حتى ظن القوم أنهُ يشتهيهِ فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء في الغناء والترخيل لمن سمعهُ وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال من بقي أحد يسمع منهُ فقال رجل من القوم عندي رجلان من أهل الأبلّة محكمان قال فأين منزلك من العسكر فأومأ إلى ناحية الغناء فقال سليمان ابعث اليهما فضل فوجد الرسول أحدهما وأتيَ بهِ وكان اسمهُ سمير فسألهُ عن الغناء وكيف هو فيهِ قال محكم قال متى عهدك بهِ قال البارحة قال وفي أي النواحي كنت؟ فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال: فأتيَ سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضجت الناقة ونبّ التيس فشكرت الشاة وهدل الحمام فرانت الحمامة وغنّى الرجل فطربت المرأة — . ثم أمر بهِ فخصي وسأل عن الغناء أين اصله قالوا بالمدينة وهم المخنثون فكتب الى عامله أن أخص من قبلك من المخنثين) وتلك هي الرواية المعقولة لا ما نقله الدكتور عن البستاني

وحدث الأصمعي ان الشعر الذي سمعه سليمان يغني بهِ هو:

عجوزةٌ سمعتْ صوتي فأرقبها ... من آخر الليل لا بلّها المطرُ
تُدني على الخدّ منها من مُخيرقةٍ ... والخزُّ بادٍ على لبّاتها خَصِرُ

في ليلةِ البدر ما يدري مُعانجُها أوجهُها عندهُ أبهى أم القمر
لم يمنع الصوت ابوابٌ ولا حرسٌ فدمعها لطروق الظعن يتحدر
لو تستطيعُ مشتْ نحوي على قدمٍ تكادُ من رفرفٍ في المشي تنطرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكي فوجه إلى سنان فأحضره ووجهت الجارية رسولاً إلى يسّان يحذّره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم إن سبق رسول سليمان فلما حضر انشأ يقول:

استبقني الى الصباح أعتذرْ إنّ لساني بالتراب منكسرْ
فأرسل المعروف في قوم نُكُرْ

فأمر به فَخُصِي وكان بعد ذلك يسمى الخصي — ولعلنا نكون بذلك قد أوفينا الغاية تفصيلاً من هذه القصة كما أوفيناها تحقيقاً في الرواية وقد أثبتت ان صحة امر الخليفة الى عامله بالمدينة كان بخصيهم لا باحتسابهم وأما المثل (هو أعقل من خاص الختين) فليس مراداً به الوالي بل الخليفة نفسه فانّ النقطة لم تقع اتفاقاً كما يقول الباحث الفاضل ، بل الرواية رويت خطأ كما نقلها البستاني بدون تحقيق . ونقلها عنهُ الدكتور بدون مراجعة

دمهور عبد الحفيظ نصار

ذيل

لمقال الدكتور بشر

جمع مقال الدكتور بشر فارس (حول مباحث عربية) ومثل الجانب الاول منهُ للطبع في الثلث الاول من الشهر (يوليو ١٩٣٩) لاعتزام الدكتور السفر الى اوربا . ثم صدرت مجلة الرسالة الغراء بتاريخ ١٠ يوليو — وهي ميدان المناقشة الاصيل — وفيها مقالٌ بقلم الدكتور بشر فارس انطوى على أهمّ ما جاء في فصله المنشور في هذا الجزء من المقتطف خاصّاً بالردّ على الدكتور اسماعيل احمد أدهم . فاقتضى التنويه

***

ثم جاءنا من الدكتور بشر من الاسكندرية ليلة سفره ان ما أشار اليه في مقاله من ان الدكتور أدهم أخذ عن الاستاذ صديق شيبوب فكرة النقد الخاص بلفظي الباطني والخارجي (راجع ص٣٦٦ سطر ١٤ من هذا الجزء من المقتطف) ليس قرين الصواب لأن الدكتور أدهم كان أسبق الى الاشارة الى هذه المسألة من الاستاذ صديق . ولما كان المقال قد طبع عند ورود هذه الكلمة في ١٣ يوليو رأينا إنصافاً للدكتور أدهم وللدكتور بشر أن نوردها هنا

جولة في مصنع مصر للأزرار

خامات السودان تصنع في مصر

فتش ملابسك واحص عدد الازرار التي تحتاج اليها في جاكتة فستان أو بنطلون سواء أكنت غنياً أم فقيراً، وسواء أكنت من أنصار الحديث أم من أنصار القديم، وسواء أكنت رجلاً أم امرأة فستجد ازرار الصدف او الدوم تحتل من ملابسك مكانها الممتاز فهي جزء من مظهرك وهي لازمة لوقاية صحتك

وبعض هذه الازرار ظاهر للعيان وبعضها مختف في الملابس الداخلية فهي شيء ضروري كالملح والكبريت وهي تجارة رابحة تنفق فيها مصر كثيراً من مالها وقد كانت الى عهد قريب تجارة خارجية تستورد بضاعتها من الاقطار الاجنبية ومازلنا حتى الآن نستورد بعضها الى ان كفانا مصنع الازرار التابع لشركة مصر لمصايد الاسماك بالسويس عبء الاعتماد الكلي على البلاد الاجنبية. فهو ينتج في اليوم الواحد ١٢٠٠ قاروصة (١٢ دستة) من الازرار الصدف ومثلها من ازرار الدوم [1] . أما بقايا ازرار الصدف فيطحن وزنها نصف طن تكسر بطريقة خاصة ويصنع من كسرها بلاط النسيناء ذو الالوان البراقة . ولا يتولى المصنع هذه العملية لبعده عن الاسواق التي تستعمل هذا الضرب من العروض فيبيعها خاماً الى هذه المصانع. أما بقايا ازرار الدوم فانها مادة جيدة للوقود والصبغ. وبعد فمصنع الازرار بالسويس احد فروع شركة مصر لمصايد الاسماك التي صدر المرسوم الملكي بتأسيسها في ٢٦ اغسطس ١٩٢٧ . بدأ المصنع اعماله بصنع ازرار الصدف وحدها ثم اتسع نطاق العمل فأدخلت عليه صناعة ازرار الدوم وبختلف النوعان مظهراً ومتانة فالاول يستعمل في الجلاليب والقمصان والملابس الداخلية . والثاني في البدل وملابس السيدات

وخامات هذه الازرار لم تظهر بعد في مصر الا أن اكثرها يرد من السودان ولذلك فهي تعتبر تجارة محلية . وأنواع الصدف كثيرة بعضها يرد من السودان كالبيد وبعضها من استراليا وجزائر تاهيتي وغيرها وله بورصة كبورصة القطن . ولم يجرب الصيادون المصريون

(١) الدوم من العصبة النخلية Palmae واسمه الشائع Doum-Palm واسمه العلمي Hyphaene Thebaica ثمره في حجم التفاحة المتوسطة له حبة خشبية قاسية ولها قشرة طرية حلوة تؤكل

الصدف والدوم والثقوة الكهربائية هي الخامات الاولية لصناعة الازرار ففي الصورة العليا الى اليمين وكيل المصنع يعرض اصناف الصدف وفي الصورة الثانية عامل يفرز حب الدوم تمهلحجمه وفي الصورة السفلى الى اليمين المحرك الكهربائي والى اليسار اللوحة الخاصة به

استخراجهُ من البحر لما يقتضيه استخراجهُ من جهد واحتياطات شديدة فالاصداف البحرية لسكنها الاحياء المائية . فاذا خرجت الى الارض ماتت هذه الاحياء وتعفنت بقاياها فهي تحتاج الى بقعة منعزلة عن الناس حتى لا يضرهم تعفنها ورائحتها . أما الدوم فبضاعة سودانية وهو يرد من الدويم والمطيرة وكسلا . ويشتغل في هذا المصنع ١٥٠ عاملاً وعاملة يكسب الواحد منهم اجراً يتفاوت بين ١٠ قروش و ١٥ قرشاً . أما العاملات فتتفاوت أجورهنَّ بين ٨ قروش و ١٠ قروش في اليوم الواحد . وتدور آلات هذا المصنع بالكهربائية فتحتاج آلاتهُ الى قوة ١٨٠ حصاناً . ومع ذلك فقد اعدت مولدات كهربائية قوتها ٤٧٣ حصاناً حتى اذا تعطل أحدها اشتغل الآخر . وحتى اذا مست الحاجة الى زيادة الانتاج توافرت القوة الكهربائية المطلوبة

وصناعة الأزرار الصدف من الصناعات المعقدة كثيرة العمليات فالخام الاصلي يجتاز عشر مراحل صناعية قبل ان يصبح أزراراً تباع . ان خاماته ترد الى المصنع اصدافاً مختلفة الاشكال والحجوم فمنها المتوسط ومنها الطرمي، ومنها الخشن ومنها الناعم ورائحتها كريهة ومنظرها لا يسر. يتسلمها العامل فيضعها بين اسنان آلته فتقطعها قطعاً مستديرة بعضها كبير وبعضها صغير تبعاً لثخانة الصدفة وسماكتها. وينتج العامل الواحد في عملية التقطيع ما لا يقل عن ٧٢٠ دستة في اليوم ثم تمر القطع في مرحلة المسح فتنزع عنها القشرة الخارجية القذرة وتخرج من هذه المرحلة وهي بسمك واحد فتصل لها الحلية وهي تختلف باختلاف الصدفة والطلب . ولكل حلية جهاز خاص يمكن تركيبهُ على الآلة ويبلغ عددها عشر حليات . ثم تخرز الازرار بآلات خاصة يسهل بها نزع الازرار التالفة ثم تمر في ادوار الثقب والتبييض والتلميع ويتم العمل فيها جميعاً بطريقة آلية تسهل على العامل كثرة الانتاج وجودة الصناعة . وتنتقل الازرار الصدف الى مرحلة التجويز النهائي . هنا العاملات تفرز الازرار الى ثلاث مراتب الاولى وهي التي لا عيب فيها مطلقاً والثانية قليلة العيوب والثالثة كثيرتهُ وتباع الازرار مختلفة المراتب بأثمان مختلفة فازرار المرتبة الثانية يبلغ ثمنها ثلثي ثمن ازرار المرتبة الاولى تقريباً. وتثبت هذه الازرار على ورق ثم توضع في العلب وأحياناً تطلب المصانع ازراراً في أكياس من القماش فتوفر بذلك نفقات تثبيتها على الورق أو وضعها في العلب . ولكل مرتبة علامتها الخاصة ولكل حجم رقم يوضع على العلبة من الخارج ثم تلف وتصدر الى التجار

أزرار الدوم

وتختلف صناعة الازرار من الدوم عن صناعتها من الصدف لاختلاف شكل الدوم عن شكل الصدف ولأن ازراره اكثر متانة وقابلية للتلوين والنقش وصناعتها أدقُّ من صناعة أزرار الصدف . وعنبرها أحدث عنبر بني في المصنع ولهذا كانت جميع آلاته من آخر طراز

يرد الدوم الى المصنع من السودان فيفرز وفقاً لحجمه : كبير ومتوسط وصغير. ثم ينقل الى

المرحلة الثانية حيث ينزع غلافه فيوضع في برميل به سكاكين مدة ٢٤ ساعة يدور فيها البرميل دوراناً يحدث صوتاً مزعجاً ولهذا جهزت الغرفة بباب مازلين للصوت حتى لا يصل الدوي الى الخارج فيقلق السكان . وتختلف عملية تقطيع الدوم عن عملية تقطيع الصدف. ففي حالة الصدف، للآلة سكين مستدير تضغط على الصدفة فتنفصل منها قطع كالترونش، اما في حالة الدوم فانهُ يقطع بمنشار مستدير يدور ٢٨٠٠ دورة في الدقيقة ويقطع الدوم قطعاً عادياً. ولما كان الدوم صغير الحجم فانهُ يعرض اصابع العمال للاصابة في أثناء قطعه فيلبسون اصابع من الصلب تمنع ٨٠ ٪ من خطر الاصابات

ويستخرج من كل دومة أربع قطع اذا كانت الدومة سليمة فاذا كانت بها بعض العيوب التجارية او الصناعية فانها تضاف الى الفضلات لاستعمالها وقوداً او في تلوين الازرار. وقد كانت اصابات هذه المناشير كثيرة في بدء العمل فلما تمرن العمال على استعمالها قلت الاصابات

ويجتاز الدوم بعد عملية التقطيع عمليات متعددة فيفرز بواسطة غربال ذي سبع عيون الى سبعة مقاييس مختلفة ثم يخرط وتعمل له ألحلية المطلوبة ثم يثقب ويلون ويفرز وقتاً لتأثره باللون. ويحتم المصنع على العمال ان يكونوا مدققين في فصل الازرار الملونة بعضها عن بعض ليكوّنوا منها مجموعات متسقة اللون تقدم الى السوق . وتجتاز ازرار الدوم بعد ذلك مراحل اخرى كتلميعها وزخرفتها وتنشيفها بالطرق الفنية والكيميائية . وكل مرحلة من هذه المراحل تحتاج الى وقت يطول او يقصر تبعاً للحاجة . واكثر اصباغ الدوم نباتية وهو سريع التأثر بها لانهُ نبات ولذلك تكون ثابتة لا يتغير لونها وغير المقادير القليلة التي يحتاج اليها الزر للتلوين او الزخرفة

وتتبع العاملات في عد الازرار طريقة بسيطة سريعة فهن يستعملن لوحات مثقوبة بطريقة خاصة كل لوحة فيها مائة ثقب فتأخذ العاملة كمية من الازرار على اللوحة وتهزها فيأخذ كل زر مكانه ويسقط الباقي وعند امتلاء ثقوب اللوحة ان عددها مائة زر تحزمها العاملة بطريقة خاصة

وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فشاهد معروضات الشركة وأعجب بها فقدمت الى جلالته مجموعة كاملة من أزرار المصنع ، وتهتم الشركة بأن تقدم لعملائها نماذج من جميع أصناف الأزرار وألوانها وحجومها لكي ينتقوا منها ما يوافق حاجة السوق

ويقصر المصنع عمله الآن على ساعات النهار ومع أنهُ مستعد للعمل ليلاً ومضاعفة انتاجه ، فيشتغل عماله وعاملاته من الساعة السابعة صباحاً الى الظهر ومن الساعة الواحدة بعد الظهر الى الساعة الرابعة ويشتغل فيه الآن ٤٠ بنتاً و١١٠ عمّال اي نصف عدد عماله اللازم ليكون كامل الانتاج

ويحرص المصنع على راحة عماله وعاملاته ولهذا خصص سيارة لنقل البنات من المدينة الى المصنع فينتظرهنَّ امام فندق مصر او ينقلهنَّ اليه صباح كل يوم ومساء.

وخصص احدى غرفه لتكون عيادة خارجية يشرف عليها طبيب وممرض فاذا احتاج احد

تجتاز الخامات مراحل صناعية متعددة وهنا بعضها . في الرسم الاعلى الى اليمين جانب من عنابر الدوم وفي الثاني جانب من عنابر الصدف وفي الثالث والرابع العاملات والعمال يفرزون الأزرار بالطريقة اليدوية والميكانيكية

العمال او العاملات الى علاج او اصيب بحادث تولى الطبيب فحصهُ وصرف العلاج اللازم ويتولى الطبيب فحص العمال مرة كل اسبوع حتى لا تنتشر بينهم الامراض فيحتفظوا بصحتهم ونشاطهم

والمصنع وعماله مؤمن عليهم ضد الاصابات والحوادث فاذا اصيب احد العمال باصابة في اثناء العمل صرف له التأمين تبعاً لشدة الاصابة وتأثيرها في عمله وتقدر اصابة جزء من اصبع العامل بمبلغ ١٢ جنيهاً يحصل عليها العامل خلاف العلاج

تنشيط الانتاج في مصر

هو العلاج الوحيد لصون الثروة الأهلية

لشر البلية من أيام يابانا وافياً من الاسكندرية عن صنع الجبن والزبدة وسائر منتجات اللبن وما يعانيه العاملون في هذه الناحية وما يلقون من صعاب تكاد تقضي عليهم بالكف عن العمل

وهذه حالة جديرة بأن تكون موضوع عناية المسؤولين والذين يهمهم مصير الحالة الاقتصادية في مصر ولا سيما بعد ما هبط سعر القطن هبوطاً يضعف قوة مصر الشرائية ويقضي علينا بالتزام سياسة التوفير والاعتماد على النفس. لقد جاء الانتاج الأهلي ولاسيما الانتاج الصناعي في هذا العصر علاجاً لما أصابهُ من انحطاط في قيمة الانتاج الزراعي. وقد صار من المحقق أن القطن لا يمكن أن تقوم له قائمة فان اتاحة آخذٌ في الانتشار في بلدان لم يكن تعرفهُ من قبل وقد نافسهُ الحرير الصناعي والالياف التي استخرجوها في المانيا وسواها وقل استعماله بسبب الأزمة العامة وحرب الصين واليابان الى آخر هذه الأسباب المعروفة ومع أن القطن المصري لا يزال يجد أسواقاً في بلدان العالم فالعبرة ليست بهذا وحده بل بسعر ما يباع منهُ كذلك ليكون متُ ربح لمنتجيه بعد تسديد نفقات الانتاج وفائدة ثمن الارض ومال الضرائب. وإن في اضطرار مصر الى شراء مقادير من الزبدة والجبن وسائر منتجات اللبن بما يبلغ ربع مليون جنيه في السنة وشراء لحم ومواش وغنم من الخارج بمبالغ طائلة ان دوام هذا الأمر مما يدهش ويستغرب في الحين الذي تسعى فيه للاقتصاد ومواجهة الحالة الدقيقة التي نشأت عندنا بهبوط سعر القطن. فالمسألة التي يجب الفصل فيها هي هل تستطيع مصر ان تنتج من اللحم واللبن ما يكفي لسد حاجاتها أو لا. فاذا كان الجواب بالايجاب تعين على الحكومة ان تسعى لتحقيق المستطاع فان لم يكن في الحال فبالتدريج فاذا كانت الدنمرك وهولندا وهما في أقصى الشمال وليس لارضهما من الخصب ما لارض مصر ولا لشمسهما من الفعل ما لشمس مصر استطاعتا أن تمونا شعبهما وتصدرا ما قيمته ملايين من الجنيهات من الزبدة واللبن والجبن والبيض واللحم الى انكلترا وسواها فلماذا تعجز مصر عن بلوغ أقل من هذه المنزلة فتطعم شعبها ولا سيما بعد ما صارت حاجتها الشديدة تقضي به

باب الأخبار العلمية

اقتراب المريخ والمشتري وزحل

يشاهد قراء المقتطف في هذه الايام كوكبين متألقين، احدهما محمرٌّ والآخر مزرقٌّ. فالاول هو المريخ وقد اقترب من الارض حتى صار على اكثر قليلاً من ٣٣ مليون ميل منها. والثاني هو المشتري وقد أخذ في الاقتراب من الارض وسيغدو على اقرب قربه منها في ٢٧ سبتمبر القادم

والصورة التي صدَّرنا بها هذا الجزء من المقتطف رسمها الفلكي موريل G. F. Morrell ونشرت في مجلة « أخبار لندن المصوَّرة »، وهي تبين اقتراب المريخ والمشتري وزحل من الارض. ففي اسفل الصورة جانبٌ من سطح الارض، ثم على مقربة منهُ السيارات الثلاثة (وهي من اليمين صعوداً الى الزاوية اليسرى، المريخ فالمشتري فزحل المعروف بحلقاته). وهي مرسومة هنا كما تبدو لين الراصد من خلال عدسات المرقب

والغريب في هذه السيارات الثلاثة انها لم تقترب من الارض هذا الاقتراب وفي مواعيد قريبة بعضها من بعض (يوليو للمريخ، وسبتمبر للمشتري، واكتوبر لزحل) وفي رقعة واحدة من الفضاء حتى لكاد تقترن منذ مئات السنين على حساب موريل. واقترابها من الارض على هذا النحو لا بدَّ ان يؤثر في مقدار جذبها للارض وهذا كافٍ لاحداث اضطرابات في قشرة الارض وجوّها كنشاط البراكين وحدوث الزلازل واضطراب احوال الجوّ. فالمشتري يفوق الارض وزناً ٣١٨ ضعفاً وزحل يفوقها وزناً ٩٥ ضعفاً. فاشتراك تأثير السيارات الثلاثة لا بدَّ ان يحدث حالة غير عادية في قشرة الارض وجوّها. والى القارىء بياناً موجزاً عن هذه السيارات الثلاثة من حيث بعدها وقربها من الارض

زحل : — يقترب السيار زحل الى الارض في ٢٢ اكتوبر اقتراباً لم يقاربه من عشرين سنة. فيكون بعدهُ عنها ٧٧١٫٢٢٦٫٠٠٠ ميل مع ان متوسط بعده عنها ٨٨٥٫٩٠٠٫٠٠٠ ميل. وقد اقترب منها في سنة ١٩٢٩ ولكنهُ كان أبعد ٦٦٫٨٨٠٫٠٠٠ ميل عما سيكون في ٢٢ اكتوبر القادم

المشتري : — ويقترب السيار المشتري الى الارض في ٢٧ سبتمبر اقتراباً لم يقاربه من ٢٤ سنة. فيكون بعدهُ عنها ٣٦٧٫١١٠٫٠٠٠ ميل، مع ان متوسط بعده عنها ٤٨٣٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل. وقد اقترب الى الارض سنة ١٩٣٤ ولكنهُ كان أبعد ٦٦٫٦٩٠٫٠٠٠ ميل عما سيكون في ٢٧ سبتمبر القادم

المريخ : — اقترب السيار المريخ الى الارض في ٢٣ يوليو اقتراباً لم يقاربه من سنة ١٩٣٣. فكان بعدهُ عنها في ٢٣ يوليو ٣٦٫٠٣٤٫٠٠٠ مع أن متوسط بعده عنها ١٤٢ مليون ميل. وكان بعدهُ عنها عند اقترابه في سنة ١٩٣٣ — ٦٢٫٣٧٨٫٠٠٠ ميل

كيميائي مصري وزوجته

يكتشفان عقاقير فعالة ورخيصة لشفاء لدغ العقرب

من بواعث اغتباطنا أن نزف الى القراء نبأ كشف علمي مصري تمّ على يدي صديقنا الدكتور علي حسن أستاذ الكيمياء الحيوية بكلية الطب في جامعة فؤاد الاول وقرينته السيدة زينب كامل حسن اذ وفقا الى تحضير المادة الفعالة في سم العقرب ومهّدا السبيل الى الشفاء من لدغ العقرب بعقاقير فعّالة ورخيصة. والى القرّاء نص التقرير الرسمي الذي بعث به الدكتور علي حسن الى الدكتور علي توفيق شوشه بك المدير العام للمعامل في وزارة الصحة:—

«حضرة صاحب العزة الدكتور شوشه بك

بعد التحية يسرني أن اخبر عزتكم بأن البحوث الخاصة «بسم العقرب» التي اشتغل بها القسم عندي خلال الثماني السنين الماضية والتي لقيت من عزتكم شخصيًا ومن بحوثكم الثمينة في ذات الموضوع مساعدات طيبة قد وصلت الى نتيجة سارة تبشر بفائدة عملية هامة توفر على الوزارة مبلغاً لا يستهان به سنويًا

دلتنا البحوث المشار اليها الى جواز علاج لدغة العقرب بواسطة عقاقير لها مفعول مضاد لمفعول السم ذاته وأني قبل الكلام في التطبيق العملي لهذه الملاحظة أرى من الفائدة الاشارة الى الخطوات التي سار فيها العمل من أوله الى أن وصل الى هذه النتيجة

١ — في سنة ١٩٣٢ وفقت أنا وزوجتي السيدة زينب كامل حسن الى تحضير المادة الفعالة في سم العقرب في حالة نقاوة وبكميات وفيرة

٢ — رأيت وجوب درس خواص هذا المركب من جديد ولقد قام بدرس هذه الخواص احمد حسن محمد افندي المعيد بكلية الزراعة وقد أهدى عزتكم نسخة من رسالة لهُ في هذا الباب ولقد وصلنا في هذا البحث الى نتيجتين جليلتين

الاولى — أظهرت أن السم يقتل عن طريق تهيج الجهازين السيمتاوي والباراسيمتاوي

والثانية — اظهرت ان العقاقير التي تخدر هذين الجهازين مثل الارجوتوكين ومشتقاته والاتروبين تفيد في وقاية حيوانات التجارب ضد السم حتى ولو اعطيت منهُ مقادير قاتلة

٣ — أمكننا انقاذ كلاب حقنت بكمية من السم وزنها ٥٤ر٠ ملليجرام وذلك بعلاجها بالعقاقير التي اشرنا اليها سابقاً (هذا المقدار من السم يكفي لقتل ستة كلاب وزن كل منها ثلاثة كيلو جرامات)

٤ — ثبت لنا ان العقرب البالغة الصائتة من نوع البوذس كوينكوستراياتس وهي اكثر الانواع شيوعاً بالقطر المصري تفرز اذا هيجت للدغ حوالي ٢٥ر٠ ملليجرام من السم في

ثلاث لبغات متوالية وانها اذا لدغت سبع مرات متوالية يصل مجموع ما تفرزه الى حوالي ٠٫٥٦ ملليجرام من السم وانا اذا ارغمنا عقرباً بالغاً من النوع ذاته على افراز كل ما في غدتيه وذلك بتهييج الغدد كهربائياً حصلنا على حوالي ٠٫٦٠ ملليجرام من السم

ولقد استنتجنا من هذا اقصى ما يستطيع عقرب من هذا النوع حقنه

نوع اللقاح	عدد الحالات جميعاً	عدد الحالات التي يقل منها عن ١٢ ستة
المصل المضاد بالطريقة الجديدة	٢٧	١٢
	٣٦	١٦
بالطريقتين معاً	١	١
المجموع	٦٤	حالة شفيت كلها

ولقد شجعتني هذه النتيجة العلية على ان اتقدم الى عزتكم راجياً منكم عرض الامر على من بيديهم الامر بوزارة الصحة بقصد تجربة الطريقة في المناطق التي تكثر فيها العقارب وأنتم بالطبع خير من يقوم بهذه الوساطة لتيسير نشر هذه البحوث ومعرفتكم للجهود التي بذلت في سبيلها اما الطريقة ذاتها فسهلة للغاية ويمكن تفهمها من اوراق المشاهدات المرفقة طيه وهي تنحصر في الآتي :

اولاً — يعطى المريض ساعة وصوله حقنة تحت الجلد من نصف الى واحد سنتيمتر مكعب من الحينارجين او طرطيرات الارجوتامين ويمكن اعادة الحقن اذا عادت الاعراض ولكن هذا نادر الحدوث

ثانياً — يجوز اعطاء المدوغ حقنة اتروبين تحت الجلد اذا كانت الاعراض متحوية بسيلان لعابي شديد وبقيء او اسهال

ثالثاً — تنائج اخالة المصومية بالطرق العادية اذا لزم الامر وفي قسم البيت يعطون المدوغ لهذه الغاية حقن كافور او كورامين ويضعون المريض في حمام كهربائي

وتمتاز هذه الطريقة على طريقة المصل بانها اسرع في مفعولها وربما كان هذا ناشئاً من ان الحينارجين اسرع في الامتصاص وتمتاز ايضاً بان هذه العقاقير لا تتلف على مر الزمن كالمصل

اما الحينارجين هذا فهو من مركبات الارجوت وقد اتفقت مع مدير قسم الطفيليات بوزارة الزراعة على انتاجه تجليًّا وسنبدأ التجربة في الموسم المقبل

ولا يصح ان ننسى هنا ذكر الفرق الكبير بين سعر المصل وسعر هذه العقاقير لان علبة الحينارجين تساوي حوالي ستة عشر قرشاً وتكفي ستة اشخاص او اكثر وسيكون ثمنها بحساب الجملة اقل بالطبع

بما ان نتيجة التجربة تهمني كثيراً اقترح في حالة الموافقة على اجرائها ان تستعمل المستشفيات مشاهدات مماثلة لما هو مرفق طيه وإني مستعد لتقديم عدد كاف منها توفيراً للوقت اي الى ان تطبع الوزارة منها ما يلزمها

وتفضلوا عزتكم بقبول شكري واحترامي

دكتور علي حسن
استاذ الكيمياء الحيوية

ملاحظة — عند ما لا حظنا الفصول

المعاكس الذي يحدثهُ الجينارجين ضد سم العقرب خطر لنا جواز استعماله في علاج اللدغة وجواز الاستعانة به في تحضير المصل المضاد للسم والاستغناء به عن السم الملطف والانانوكسين الذي يستعمل عادة في بداية عملية تحضير المصل المضاد وقد عرضنا على حضرتكم النتائج التي حصل عليها احمد افندي حسن محمد أولاً بأول

ولقد كانت النتيجة الختامية مشجعة للغاية اذ حصلنا على مصل مضاد من المعز قدرت قوته في معامل الصحة بواسطة الدكتور حسين ابراهيم فوجدت تزيد تسع مرات على مصل ليستر مع العلم بان حصتنا هنا طبيعي لم يركز — على أني اعتقد ان اكتشاف مفعول هذه المقاقير سيوقف في النهاية استعمال المصل المضاد في علاج لدغة العقرب» آه بتصرف

هافلوك إلس
HAVELOCK ELLIS

إن وفاة هافلوك إلس تزيل من ميدان الثقافة الانكليزية العالمية رجلاً يندر نده في هذا العصر المكب على التخصص. ذلك بانهُ كان يجمع في شخصه كثيراً من مناقب العلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء. ولعلهُ لا يقضي ربع قرن عليه حتى يطوف طائف النسيان بمعظم ما كتب. ولكن ذكره يبقى خالداً لأنهُ اقترن بحقيقتين اولاهما انهُ في مقدمة بحّاث العصر الحديث الذين حاولوا ان يرفعوا النقاب عن حقيقة « الحياة الجنسية » ويزيلوا ما علق بها في أذهان الناس من تحريم بحثها وحظر التحدث فيها. وثانيتهما انهُ اضطهد في سبيل ذلك، فقدم الى المحاكمة في إحدى محاكم انكلترا متهماً « بالقذف القذر » وامتع الناشرون الانكليز عن نشر مجلداته في « سيكولوجية الشق » Studies in the Psychology of Sex بعد ما نشر احدها وحوكم بسببه. فنشرت دراساتهُ هذه اولاً في اميركا. ولذلك يبقى ذكرهُ مقروناً بالحركة الفكرية والاجتماعية الحديثة المتجهة الى تعزيز الصحة الجسدية والخلقية باخراج المسائل الجنسية من دياجير الجهل والتحريم. ويقال إنهُ كان يرغب في أن تكون تربيتهُ كما يلي: « لقد اضاف شيئاً الى حلاوة الحياة ونورها »

اما أنهُ اضاف شيئاً الى « نورها » أي الى فهم خفاياها فهذا مما لا ينكر، ولكن هل زادت « حلاوتها » في افواه الأجيال التي اليم نطاق فهمها لاسرار الحياة الجنسية؟ هذه مسألة تحتمل النقاش

ولد في سنة ١٨٥٩ في كرويدن على مقربة من لندن، وكان والدهُ من اسرتين لهما صلة وثيقة بالملاحة فقضى معظم طفولتهُ على سفينة في المحيط الهادي وتلقى أصول التعليم على غير نظام. ولما كان في السادسة عشرة من عمره عين مدرّساً في مدرسة بولاية نيوسوث ويلس باستراليا فقضى فيها اربع سنوات وكان في معظم هذه المدة يقطن الخراج ويطبخ

ما يحتاج اليه من الطعام ويدير شؤون كوخه بنفسه . ولكنهُ قرأ في خلالها طائفة من آيات الادب الانكليزي ونظم اشعاراً على شان سونيتات شكسبير ، ودبَّ في نفسه دبيب الرغبة الشديدة في الاصلاح الخلقي . وعاد الى انكلترا في سنة ١٨٧٩ وانتظم طالباً للطب في مستشفى سانت برثولوميو وأتمَّ دراستهُ وتخرَّج طبياً ولكنهُ لم يمارس الطب الاَّ فترة قصيرة إلاَّ أن دراسة الطب وجهتهُ توجيهاً جديداً. في مجاهل استراليا لنظم الشعر ، فانقلب بعد دراسة الطب الى حياة علمية . غير أن هذا لم يتمَّ الاَّ بعد نضال نفسي . وفي الفترة المتوسطة بين الشعر والعلم شرع في نشر المسرحيات الانكليزية القديمة . وله عدا ذلك مؤلفات اشتهرت في وقتها بالنحو الفلسفي والنقد الأدبي منها « الروح الجديدة » (١٨٩٠) والرجل والمرأة (١٨٩٤) وعالم الاحلام (١٩١١) و « مهمة علم الصحة الاجتماعية » (١٩١٢) « ورقصة الحياة » (١٩٢٣) ومجموعة قصائده الطفولة والمراهقة وترجمات من الشعر الاسباني (١٩٢٥) وغيرها

ولكن مؤلفهُ الكبير الذي قضى نحو خمس عشرة سنة في وضعهِ ونشرهِ كان ذلك البحث النفسي الذي سماهُ « دراسات في سيكولوجية الشق » وهو سنة مجلدات نشر أولها سنة ١٨٩٧ وآخرها ١٩١٠ وموضوعاتها بحسب ارقام المجلدات (تقول ارقام المجلدات لان المجلد الثاني نشر قبل المجلد الاول) كما يلي : — تشوه الحياة الجنسي — الشذوذ الجنسي — تحليل الحافز الجنسي — الانتخاب الجنسي في الانسان — الرمزية الجنسية — الجنس وصلتهُ بالاجتماع

واذا كان البحث الحديث في ظل المدارس السيكولوجية المختلفة ولا سيما مدرسة التحليل النفسي قد بدل بعض الآراء والنتائج التي وصل اليها هافلوك إليس بالاستقراء والنظر البيولوجي ، فان هذه المجلدات الستة تحتوي على طائفة كبيرة من الحوادث التي تمت الى موضوعات الجنس بصلة ، مستخرجة من حياة الامم والشعوب المختلفة على اختلاف مراتبها في الحضارة فهي من هذا القبيل كنز من المعارف الجنسية لا ينفد

التسمم بالكدميوم

يؤخذ من انباء مجمع تقدم العلوم الاميركي أن اطباء معهد الكيمياء والتربة بكلية الطب في جامعة ستانفورد اثبتوا ان الادوات والاواني المطلية بالكدميوم — كاواني اللبن وصفارات الجزارين التي يعلق بها اللحم — خطرٌ على الصحة لأن مواد الطعام التي تحفظ فيها او تلامسها تسبب تسمماً بطيئاً متجمع الاثر

وقد اجريت تجارب على جرذان اضيف الى طعامها مقادير يسيرة من كلوريد الكدميوم (١٢٥ جزءاً من الكلوريد في عشرة آلاف جزء من الطعام) فاصيبت بفقر الدم ثم لما شرحت ثبت انها مصابة بتضخُّم القلب . والرأي اي ان سبب تضخُّم القلب جهده المبذول في تجهيز الجسم بعدد كافٍ من كريات الدم الحمر

السلفانيلاميد والسلفابيريدين

عرف قراء المقتطف مما كتبناه عن عقاري السلفانيلاميد والسلفابيريدين أن لهما تأثيراً عجيباً في شفاء طائفة من الامراض (راجع مقتطف يوليو ١٩٣٩ ص ١٩٥ ومايو ١٩٣٤ ص٥١٧—٥٢٥) وقد اطلعنا الآن في رسالة العلم الاسبوعية على نبأ خاص باحتمال فائدتهما في علاج التيفود. وقد قام بهذه التجارب ثلاثة اطباء (هرير Harries وسوير Swyer وطمسن Thompson) من أطباء مستشفى نورث ايسترن بلندن ومن غريب الحوادث التي وقعت لهما ان احد المصابين بالتيفود كان مصاباً بضرب خاص منها من ادوائه طول زمنه وخطره. دخل المستشفى فعولج بالسلفابيريدين ومصل التيفود فما انقضت عليه عشرة أيام حتى كان ناقهاً والرأي ان الجمع بين السلفابيريدين والمصل كان العامل الفعال في شفائه

سر الشباب الدائم؟

في اباء جامعة كاليفورنيا أن الباحثين أجلس فاي مورغان وهلن دافيسون عزلا استخرجا مقادير مركزة من فيتامين مجهول تابع لفيتامينات B التي تكثر في الحميرة والرز والردة (التخالة) والكبد، واثبتا بتجارب اجرياها على الجرذان والخنازير الهندية وجراء الكلاب أنها تؤثر في احوال الجسم التي تقترن عادة بالشيخوخة المبكرة فتردها الى ما تكون عليه في عهد الشباب. ولما سئلا عن علاقة ذلك بالشباب والشيخوخة في الانسان قالت الدكتورة مورغان إن تجاربها اجريت على الحيوانات وانها لم تحاول بعد تطبيق هذه التجارب على الإنسان. ولكنها ترى ان الشيخوخة المبكرة في حيوانات التجارب قد يكون سببها نقص هذا الفيتامين في افراز الكظرين فقد اثبت تشريح الجرذان التي يعوزها هذا الفيتامين في طعامها ان قشرة هذه الغدد تتقلص وتحول قبل الوفاة

حكمة المناظرة

قيل انَّ السيّد الجرجاني تناظر مع السعد التفتازاني بمجلس خاصّ. وكان السيد شابًّا حديث العهد. وكان السعد شيخ العلماء في وقته، فانتهى المجلس بأن السعد اقرَّ للسيّد وان السيد فلج على السعد امام ذلك الجمهور. فساء ذلك تلاميذ السعد. ولما انصرف الناس قالوا لاستاذهم: ما كان ينبغي لك ان تسلم لرجل هو في سن احد تلاميذك فأجابهم. وماذا اصنع اذا كان الحق معهُ. فقالوا له: قد كان يمكنك ان تقول له كيت وكيت في الجواب. فقال لهم ولكنهُ يكون مماحكة ولا يكون من العلم في شيء فقالوا له: لكن الناس قد علموا الآن ان السيد أعلم منك. فقال لهم: أحبُّ اليَّ ان يعلمني الناس جاهلاً وان يعلمني السيد وحده عالماً

عجائب معرض نيويورك العالمي

الجان الكهربائية في المعارض العالمية الحالية

قلت في صفحة ١٠٨ من مقتطف يونيو الماضي في وصف عجائب معرض نيويورك العالمي الحالي ما يأتي : — ويسمعون صوتاً صناعياً يشرح خطوة تلك الحركة حركة البواخر والقطرات وعربات نقل البضائع قادمة الخواضر والمصانع ، من الضياع والحقول محملة المواد الاولية ، وعائدة الى الريف مشحونة « بشتى المصنوعات » من جميع نواحيها مؤكداً الحقيقة الثابتة ، وهي ان كل امرىء في هذا العصر ، يتوقف بقاؤه على مجهودات أفراد كثيرين ، مبيناً وسائل تسهيل معضلات الحياة بالتعاون بين افراد المجتمع البشري». وهأنذا أصف للقراء الجهاز الكهربائي القائم بذلك العمل وصفه المساعد له في مهمته : —

نقصد بالجان الكهربائية الاجهزة المعدنية الشبيهة بالانسان التي يطلق عليها الانكليز والاميركان لفظ robots وقد نصب أحدها في معرض نيويورك الحالي وهو الجهاز المسمى اليكترو Elektro وطوله سبع أقدام ووزنه ٢٦٠ رطلاً وهو مؤلف من ٤٨ جهازاً لتقوية التيارات الكهربائية ويشتمل على ٩٠٠ عضو تساعده على المشي والعد والتدخين والكلام وله ذراعان مغطاتان بصفائح الالومينيوم المزخرفة بستة وعشرين من اشكال الزخارف

واسمه ويلي فوكاليت Willie Vocalite

ولذلك الجهاز صنو ضخم المعروض في معرض سان فرنسيسكو العالمي

وفي معرض نيويورك جنيّ آخر عملاق اسمه بوليرهيتور Polyrhetor يلقي على سامعيه كل ربع ساعة ، خطاباً يترجم حالاً الى ١٥٠ لغة مختلفة . وفيه جهاز كهربائي لترديد الكلام الذي يصدر منه ، وذلك بدوامات مغنطيسية ، توصل الصوت الى مضخمات صغيرة موضوعة في عربات معزولة ، تطوف بأرجاء المعرض بحيث يستطيع الركاب الاربعة الراكبين في كل عربة من العربات الجائلة فيه ، سماع خطاب على كل مشهد من المشاهد المفيدة التي تصادفهم في اثناء تجوالهم

الاشعة الكهربية

مفتاح الاضواء الكهربائية في معرض نيويورك العالمي

حينما ازيد افتتاح معرض شيكاغو سنة ١٩٣٣ ، وهو الذي أطلق عليه اسم معرض «قرن التقدم» توخى مديروه ان يفتحوا ابوابه للجمهور بطريقة عجيبة في ذاتها . وهي انهم ترقبوا ظهور النجم السهى السماك الرامح وهو نجم اصفر نير في النصف الشمالي للكرة الفلكية ويقع في ذنب الدب في المرتبة الرابعة ، وهو النير الرابع في انحاء بأجمعها . ويبعد عنا مسافة

يقطعها الضوء في احدى وأربعين سنة ضوئية فسلطوا ضياءه على بصاصة كهربائية متصلة بأبواب المعرض ، فما انعكس على عدسة البصاصة ، ذلك الضوء حتى دار مفتاحها الكهربائي ففك عقال بوابات المعرض ، فانفتحت على مصاريعها ، كأنما ادارت بقوة الجان ، لا بمخترعات الانسان ودخل الزائرون المعرض أفواجاً وهم لا يدرون من طريقة فتحه شيئاً وقد وصفتُ ذلك في مقتطفي مارس سنة ١٩٣٢ وديسمبر سنة ١٩٣٣ حيث قلت ما يأتي : —

فتح معرض شيكاغو في أواخر شهر يونيه سنة ١٩٣٣ وكانت طريقة افتتاحه معجزة لم يسبق ان شاهد الناس مثلها اذ اخترقت شعاعة ضاربة للاحمرار ، من كوكب السماك الرامح ، احدى البصاصات الكهربائية ففتح باب المعرض ، بأن مرَّ طيف الكوكب ، أمام عدسة مرقب مرصد يركيز الكاسر للأشعة ، ويبلغ قطر تلك العدسة ٤٠ عقدة (بوصة) وهو اكبر مرقب كاسر في العالم ، مركب في جامعة شيكاغو ومثبتة في قاعدته ، بصاصة كهربائية أي بطارية كهربائية حساسة بالضوء ، فانقضت نوره حالاً ، فولّد فيها ، تياراً كهربائياً ، قوي بالاجهزة المضاعفة للتيارات ، ثم نقل بالاسلاك الارضية الى معرض شيكاغو ، حيث استخدم في فتح بابه الضخم ذي المصلات ، وفي إنارة مصابيحه ، فكانت طريقة الافتتاح اول أعجوبة شاهدها زواره

وقد رأى مديرو معرض نيويورك العالمي الحالي ، عند فتحه اختصاص الأشعة الكونية بذلك الشرف وذلك بأن سخروها إذ جعلوها في آلة من آلات جيجر Geiger العدادة ، التي تسجل مرورها فتحرك الجزيئات في الأنابيب المملوءة بالغاز الجوي فتسلط الجزيئات قوة على الكهيربات فتؤلف طاقة كافية لتنشيط أنبوب مفرغ من الهواء ، فيدير الآلات الكهربائية التي تضيء أراضي المعرض

البصاصة الكهربائية في مصر

وما دمنا نتحدث في منافع البصاصة الكهربائية فجدير بنا ان نورد الخبر الآتي نقلاً عن جريدة الاهرام الصادرة في ١٨/٦/١٩٣٩ . وهو : طلبت ادارة السرايات الملكية ، الى مصلحة المباني بوزارة الاشغال ، تركيب أجهزة كهربائية لتسهيل فتح واغلاق الابواب الرئيسية الثلاثة بسراي عابدين العامرة نظراً لضخامة هذه الابواب وتعذر فتحها وإغلاقها ، في المناسبات الكبرى والمفهوم بناء على حديث دار بيني وبين رئيس تحرير المقتطف ومهندس خبير من الانكليز أن الاجهزة الكهربائية التي من المحتمل التعويل عليها هي البصاصة الكهربائية قياساً على ماهو حاصل الآن في كثير من الاماكن العظيمة عوض جندي

نخب الذخائر في احوال الجواهر

نشر الاب انستاس ماري الكرملي

هذا كتاب نفيس النفاسة كلها. بل هو في الواقع ثلاثة كتب ثمينة مجتمعة بين دفتيه. اما الاصل فمن تأليف محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري النجاري المعروف بابن الاكفاني واما الثاني فتحقيقات الناشر العلامة، من لغوية وجغرافية وادبية. واما الثالث فمعارضة بعض ما جاء به ابن الاكفاني بما اوردهُ التيفاشي وهو صاحب كتاب نفيس في الجواهر

وقد اخذ الأب العلامة متن « النخب » عن نسخة قديمة كانت برسم احدى خزائن ملوك مصر وهي اليوم في خزانة كتب الآباء الكرمليين في بغداد ثم حرَّرها وعلَّق حواشيها اللغوية والادبية وطبعها بالمطبعة العصرية، فجاءت سفراً نفيساً متناً وحاشية وفهارس في ١٨٨ صفحة من حجم المقتطف لا يستغني عنهُ الباحث العربيّ المحقق لما فيهِ من فوائد

جاء في الصفحة ٤٨ القول في الزُمُرُّذ (وفي الحاشية: الزمرذ بذال معجمة وضمّ الاحرف الثلاثة الاولى وتشديد الراء وجاءت بدال مهملة ايضاً مع الضبط المذكور) وقد راجعنا نسخة خطية للتيفاشي في خزانة المقتطف فاذا اللفظ وارد احياناً بالذال المعجمة واخرى بالدال المهملة. اما كلام المؤلف في الزمرذ فاليك بعضهُ « الخضرة تعمُّ اصنافهُ كلها، وافضلهُ ما كان (مشبع الخضرة) ذا رونق وشعاع لا يشوبهُ سواد ولا صفرة ولا غش ولا حراميات ولا عروق بيض ولا نقوت وليس يكاد يخلص منها ودونهُ الريحاني الشبيه بورق السلق الطري واهل الهند والصين تفضل الريحاني منهُ وترغب فيهِ واهل الغرب يرغبون لما كان مشبع الخضرة وان كان قليل الماء ويزداد رونقاً اذا دهن بزيت بزر الكتان واذا ترك بدون دهن يذهب ماؤه الخ

وقد لاحظنا عند المقابلة بين ما كتبهُ التيفاشي عن الزمرذ او غيره من الجواهر وبين ما جاء في النخب لابن الاكفاني ان التيفاشي يعنى بوصف « علة تكونه » علاوة على اوصافهِ وخواصهِ حالة ان ابن الاكفاني يكتفي باوصافهِ

وقد جاء في ملحق النخب كلام على الجزع نقل فيهِ الاب العلامة كلاماً للتيفاشي قابتناهُ بما في مخطوطتنا فرأينا خلافاً يسيراً اردنا اثباتهُ. فقد جاء في الملحق نقلاً عن التيفاشي « واجوده ما استوت عروقه في التخن والرقة سليماً من الخشونة ووجود الآثار فيهِ » وفي مخطوطتنا التيفاشية « ... وأجودهُ ما استوت عروقهُ في الحسن والرقة وكان سليماً من الخشونة وقبح العرض ووجود الآثار فيهِ » ولعلَّ رواية الاب اصح

ومما يزيد قيمة الكتاب الذي اخرجهُ الأب الكرملي الفهرست الاخير بوجهٍ خاص وهو الحادي عشر ويحوي الكلم المكتوبة بالحرف الروماني وفي هذا الفهرست يجد المترجمون اسماء الجواهر باللغة العربية وما يقابلها بالفرنسية ، وحبذا الحال لو عني الأب الكريم باضافة الاسماء الانكليزية مع انها لا تختلف كثيراً عن الاسماء الفرنسية

كتاب نقد الشعر

للاستاذ نسيب عازار

هذا الكتاب يدل على ان مؤلفه الاستاذ عازار واسع الاطلاع ملمٌّ بما جاء في كتب الادب العربية والاوروبية خاصًّا بالنقد ويدل على ان المؤلف حصيف الرأي متزنه . وكثير ممن يكتبون في النقد يكتبون كتباً انشائية مطولة للدفاع عن رأي واحد ولا ينظرون الى تعدد المذاهب والآراء ولا الى جانب الصواب في كل منها فيمل القارىء المثقف قراءة كتبهم . أما الاستاذ عازار فانهُ لم يكتب في النقد الاّ بعد ان درس الموضوع دراسة المؤرخ المحقق . وان القارىء ليتعجب كيف استطاع المؤلف ان يهيء لنفسه هذا الاطلاع الغزير النادر مع الأخذ بأحسن ما قيل في النقد في الكتب العربية والاوروبية . وخليق بكل متأدب وقارىء للادب أن يدرس هذا الكتاب وان يتأمل ما جاء فيه من اقوال المتقدمين والمتأخرين . وهذا الكتاب خليق بأن يوسع ثقافة القارىء وان يجعله يشعر كما يشعر الملاح اذا عبر المحيط بعد ان كان لا يتعدى الخلجان والسواحل . وتوطئة الكتاب مكتوبة بلغة المصطلحات العصرية ولولا ذلك لحسبناه من تأليف كبار نقاد العرب الملمين بأقوال المتقدمين وهو قلما يذكر شاهداً او قولاً او قصة الاّ ويذكر المرجع الذي يستطيع القارىء ان يرجع اليه للتثبت . والمؤلف مثال للناقد المبدع الذي يصفه والذي يلم بمحاسن ما ينتقد ويعرضها على القارىء كي يستطيع ان ينتفع بابداع الشعراء والكتاب وان يعرض أوجه النقد في المحل الثاني وان لا يُغَلِّبَ نظرية يريد تطبيقها قسراً . وهذا الكتاب يعلّم الناقد ايضاً ان لا يطيل من غير جدوى اطالة مملولة فقد كان يستطيع المؤلف ان يجعل حجم كتابه اضعاف ما اكتفى به من الحجم لغزارة مادته وتعدد نظراته وآرائه ولكنه آثر الايجاز على الاطالة المملة . ولا يجد القارىء نقصاً في الشرح مع ذلك الايجاز الاّ في التوطئة اذا كان القارىء غير مطلع على مذاهب الادب الاوربي ولكن هذا ليس بنقص لان عنوان الكتاب النقد في الادب العربي وما هذه التوطئة الاّ مقدمة وهي على ايجازها لم تترك رأياً لكاتب الاّ وتنهُ . فاذا احسَّ قارىء بحاجة الى الاستزادة والافاضة في شرح المذاهب العديدة والآراء المختلفة التي استعرضها في التوطئة كان احساسه

بسبب حاجته الى الاستزادة من الادب الاوروبي تـ وهذا لا يستطيع المؤلف ان يعده به . وفي ان هذه الرغبة في الاستزادة دليل على ان الكتاب نفيس مشوق ممتع

وقد يشعر القارىء في اثناء القراءة انهُ لا يوافق رأياً من آراء النقاد القدماء التي يستعرضها المؤلف . ولكن هذا لا يطعن في ضرورة استعراضها لان الكتاب في تاريخ النقد في الأدب العربي والمؤلف يقابل بين الآراء المختلفة . وعلى الواجب ان لا يهمل رأياً وان لا يغفل مذهباً لناقد مشهور . وقد أدى المؤلف الامانة من هذه الناحية وهو في هذا الاستعراض مؤرخ اكثر منهُ ناقد لما يستعرضهُ وان كان يلخص نقده احياناً لما يستعرض عند ذكره خلاصة حقائق تاريخ النقد بعد كل قول . وأرى الاستاذ قد كسر وزن بيت قيس بن الخطيم : —

قضى الله حين صورها الـــخالق ألا تكنها المدف

فالشطر الاول مكسور . فاما أن يزيد كلمة (لها) بعد قضى واما ان يوردهُ كما جاء في بعض الكتب (أوصى بها) وسقوط لها من الأغلاط المطبعية التي لم يستطع حصرها كلها عند تصحيح الخطأ . وكلمة (الى) في بيت بشار صفحة ١٥١ ينبغي أن تكون أبَى (أبَى طَلَلٌ بالجزع أن يتكلما) وكلمة (لافت) في البيت السادس من قصيدة مطيع بن إياس صفحة ١٧١ ينبغي ان تكون (لا قَيْتُ) وسقطت كلمة (مني) في البيت التاسع من هذه القصيدة فانكسر الوزن وصحته

ويرغمني أن اصبحت لا تراها الـــعين (مني) واصبحت لا تراني

وهذه أخطاء مطبعية هينة قليلة تقع في كل ما يطبع ويستطيع القارىء ان يغطن لها . ونعود فنقول ان هذا كتاب نفيس جامع لمقاييس النقد عند الاوربيين في التوطئة ولمقاييسه عند العرب في باقي الكتاب وقد تتشابه الموضوعات في القسمين في بعض الفصول وإن اختلفت اساليب التعبير والاغراض . وقد أحسن المؤلف اختيار كلمة خلف الاحمر التي قدمها في أول الكتاب فهو كالعيرف في تلك الكلمة يدل على الصحيح والمزيف من الشعر

***

ملخص الكيمياء

يعرف قراء المقتطف الاستاذ حسن السلمان مدير ثانوية البصرة بما نشر لهُ في المقتطف من مقالات علمية نفيسة منها خدمات العرب للكيمياء وسيرة العلامة فون لايبج وكذلك مقالهُ الطويل في الغدد الصم وتأثيرها في الجسم والخلق

وقد أتحفنا بكتاب صغير الحجم كبير القيمة من ناحية طالب الكيمياء لأنهُ حوى في صفحات لا تزيد على ١١٥ من القطع الصغير التعريفات الكيميائية وأوصاف العناصر وخواصها وأهم القواعد المعتمدة في الكيمياء الطبيعية . فهذه الخلاصة في حدود غرضها خير معوان للطلاب « على استذكار الكيمياء النظرية والعملية »

الطبع والصنعة في الشعر

تأليف محمد الهياوي — الناشر مكتبة النهضة بمصر — الصفحات ٨ × ٢ قطع وسط

الاستاذ محمد الهياوي مؤلف هذا الكتاب ، كاتب بليغ وراوية لا ينضب لرواياته معين ، أنعم النظر في أدب العرب بحسٍّ صادق وفكر ثاقب فاستقامت لهُ آراء ولظرات يجب أن تفوز من ادباء العصر بما هي جديرة به من العناية

ولعلَّ أجلَّ خدمة اسداها المؤلف الى أدب هذا العصر ، هي التنبيه الى وجوب الرجوع الى الأصول في فهم الادب وخاصة الشعر . ففي عصر كالعصر الذي نعيش فيهِ تكثر محسنات الحضارة وتتعارض تيارات الاجتماع وتتبارى أساليب الفكر والفن ، فتؤخذ عما يبدو منها خاطفاً للبصر مستوقفاً للعناية بهرجهِ ، فينصرف النظر عن الاصول الى الفروع . وما عنيتنا بما يطلق عليهِ اسم «مدارس الشعر» في العصر الحديث من «رمزية» و« تأثرية » وقديم وجديد وغيرها إلاَّ من هذا القبيل فكتاب الاستاذ الهياوي يعود بنا الى القواعد الاصلية في طبيعة الشعر واساليبهِ . فهو بذلك يقيم ميزاناً صحيحاً في عهد اضطربت فيهِ الموازين

والاساس في رأيهِ مفرع في ثلاث قواعد أوردها في الصفحة السابعة . ١ — كلما كان الشعر صادراً عن ذات نفس الشاعر كان هو شعر الطبع او شعر الفطرة . ٢ — وكلما كان صادراً عن غير ذات نفسهِ فذلك هو شعر الصنعة او شعر الاتصال . ٣ — والشاعر المطبوع هو الذي يفيض احساساً فيفيض احساسهُ شعراً . فاذا كان شعره فيض المصانعة على لسانه فهو الشاعر الصانع

أي ان الشاعر المطبوع في الغزل « هو حامل الصبابة والهوى وصاحب القلب النائب والكبد المحترقة . . . . فاذا هو نظم من أقاصيهِ شعراً رأيت على كل شطر جمرة من ناره ، ووجدت في كل بيت مزقة من كبده . . . » وبهذا الحساب مجنون ليلى شاعر مطبوع ، والشعر المروي عنهُ أصيل لا منحول ولا منتحل . أما في ما عدا ذلك فليتق الخلاف في هل مجنون ليلى هو قيس بن الملوح او غيره وليستمر النزاع في ان قومه بنو عامر او هم قوم آخرون فليس في ذلك ما يبطل الحقيقة وهي ان لهذا المجنون وجوداً ملأ رحاب الشاق

وعلى هذا الاساس كذلك يعتبر الاستاذ الهياوي عمر بن أبي ربيعة المشهور انهُ شاعر غزل، شاعرَ صنعة لا شاعرِ طبع . « فهواه مباغتة واقتحام ، وتشبيبهُ مخادعة واستهواء ، وحبهُ ظلٌّ منسوخ وعرض زائل ، وقلبهُ عصفور مستطار لا يقع على فنن حتى يبرحهُ الى آخر . . . والحب في هذه الصورة . . . ليس هو الحب الذي تألس اليهِ الفطرة فيصدقها الحديث وتصدقهُ ، والتعبير عن مثل هذا الحب يحسنهُ لسان الصنعة حيث لا يحسنهُ لسان الطبع . . . »

وعلى ذلك يعتمد الاستاذ الهياوي في تطبيق رأيه على ابواب الشعر وأنواعه وقصائد الشعراء فيحكم في هل هي الى شعر الطبع أقرب او الى شعر الصنعة

وفي هذا التطبيق يستمد من معين معرفته بأدب العرب ونوادره فيأتيك بالمثل بعد المثل ويسوق الرواية في اثر الرواية، فكأنك واقف وموا كب الشعر العربي تمرُّ امامك وأنت تنظر اليها بعين المؤلف معتمداً على حكمه

وليس ثمة ريب في ان هناك مراتب متفاوتة بين شعر الطبع الصافي وشعر الصنعة الخالص ، وفي الحكم على قصائد الشعراء وكلها من هذه المنازل المتفاوتة بين الطرفين يختلف حكم النقاد وهذا الاختلاف لا بدَّ منهُ ، لأن النقد ليس الاَّ نظراً الى قطعة فنية من خلال المزاج الخاص. فالاستاذ الهياوي يرى قول امرىء القيس « ألا ايها الليل الطويل ألا انجلي » من شعر الصنعة وانا أراه يعبر عما في ذات نفسي احياناً أبلغ تعبير فهو بهذا الحكم — وهو من اوصاف الطبع عند الاستاذ الهياوي — بيت من شعر الطبع الخالص

والخلاصة أن الأستاذ الهياوي أخرج كتاباً جديراً بأعظم العناية سواء من ناحية الآراء المبثوثة فيهِ أو من ناحية اسلوبهِ العالي

الطب النفسي : علميًّا ودينيًّا[1]

تأليف الدكتور مرقس غريغوري — طبع مكتب بلندن — صفحاته ٤٩٥ — ثمنه ٢١ شلناً

جاءنا هذا السفر النفيس ومقتطف اغسطس ماثل للطبع فكان لا بدَّ — ونحن مقبلون على عطلة الصيف — من الاشارة اليهِ إشارة موجزة على ان نوفيهُ حقهُ بعد انعام النظر فيهِ وهو كما يؤخذ من عنوانه يبحث موضوع العلاقة بين العقل والجسد في حالي الصحة والمرض من الناحيتين العلمية والدينية

فدراسة العقل البشري دراسة علمية تطوُّر حديث العهد ، وعلم النفس هو آخر علم انفصل من الفلسفة واستقلَّ بذاته . ولا تزال نذكر يوماً في صيف سنة ١٩٢٤ وقف فيهِ الاستاذ وليم مكدوغل في قسم علم النفس بمجمع تقدم العلوم البريطاني . وكان ملتئماً بجامعة تورنتو بكندا — ليلقي محاضرة الرئاسة فاستهلَّها باعلان استقلال علم النفس عن سائر العلوم . ومع ذلك فقد تقدمت الدراسات النفسية تقدماً يسوغ للباحثين استخراج النتائج والاحكام العامة . ومن هذه الاحكام ما يتصل بفعل العقل او النفس في الشفاء

(١) Psychotherapy, Scientific & Religious. Marcus Gregory D. Phil. Macmillan's, London 21/—

وليس ثمة ريب في ان للعقل تأثيراً في الجسم في حالي الصحة والمرض . وقد بيَّن ذلك زعماء الشعوب القديمة ، فاجتمع الطبيب والكاهن في رجل واحد . ولكن تقدم علم النفس في العصر الحديث يقتضي ان يكون الطبُّ النفسيُّ او العقليُّ مستنداً من ناحية الى اساس الارتقاء الحديث في علوم الطب وعلم النفس ، مع انهُ بطبيعته لا بد ان يتعدَّى — من الناحية الاخرى — حدود هذه العلوم ، مستضيئاً بما في الفلسفة والدين من انوار

هذا هو الاساس الذي بنى عليهِ الدكتور غريغوري كتابهُ ، موفياً البحث حقهُ من النواحي التاريخية والنظرية والتطبيقية . وأنت اذ تطالع موضوعات فصوله الاثني عشر — الصحة والمرض ، الشفاء السحري قبل العصر المسيحي ، العلاج المسيحي ، الكنيسة والعلاج الروحي ، تطور الطب النفسي ، تشريح الشخصية البشرية ، نطاق الطب النفسي ، قواعد التحليل والاعتراف ، التوسم المغنطيسي العلمي والوهمي ، الايحاء وعامل الايمان ، فلسفة مركبة للحياة ، من هو الكفؤ للنهوض بهذه المهمة — تعلم ان الدكتور غريغوري حقق قول استاذه العلامة الدكتور وليم براون مدير معهد السيكولوجيا التجريبية بجامعة اكسفرد حيث قال في المقدمة « والدكتور غريغوري كتب كتابه من هذه الناحية الواسعة فوفى كل وجهٍ من وجوه الموضوع حقهُ »

وحسبنا هذه الاشارة الوجيزة الآن على ان نعود الى تلخيص فكرة الكتاب تلخيصاً اوفى في عدد تالٍ

النواسي

تأليف زكي المحاسني — استاذ العربية في تجهيز دمشق ١٧٨ صفحة — منشورات المكتبة العمومية بدمشق

لم يفز «ابو نواس» قبل الآن بما هو جدير بهِ من عناية اساتذة الأدب وطلابهِ . ولعلَّ ذلك مردُّهُ الى ما اشتهر بهِ من المجون والخلاعة . وليس هذا بالغريب . فقد كان كاتب هذه السطور يجد امتعاضاً من مدرِّسيهِ — وهو طالب — عند ما يشاهدونهُ متأبطاً كتاباً من مؤلفات امكار وابلد ، وهو كاتب وشاعر بينهُ وبين النواسي وجوهُ شبهٍ على ما بيَّن الاستاذ المحاسني . ولكن اذا كان ادباؤنا ومتأدبونا يقرأون الآن بيرجرج لرامبو وبودلير ووايلد ومن كان على شاكلتهم ويكتبون عنهم وينقلون بعض شعرهم فالناحية الخلقية في حياة «ابي نواس» يجب ألاَّ تقوم حائلاً دون دراستهِ من ناحية عبقريتهِ الشعرية ووضعهِ في المنزلة التي تليق بهِ بين كبار شعراء العربية ، ثم بين كبار شعراء العالم في الحريات . فهذا شاعرٌ بذَّ شعراء العالم في ناحية هي ألصق ما تكون بقول الشعر ، تتقدم بهِ في من تقدَّم بهم من فحول الشعر العربي ، الى ساحة الشعر العالمي

والسرُّ في إبداع ابي نواس ، تركيبهُ الحسِّي ونشأتهُ في طفولتهِ وحداثتهِ ، ثم صدقهُ في

التعبير عن ذات نفسه كما انعكست على صفحتها الصافية أحوال العصر الذي عاش فيه . وفي الكلام على أجود شعره من حيث هو تجديد في شعر العرب ، متكلماً فهم التجديد في عصرنا على وجهه الصحيح . (فقد وجد أبو نواس في فاتحة عصر جديد من عهد بني العباس وكانت أسباب الحياة تختلف عن مثلها في عصر بني أمية وفي الجاهلية . انهُ عصر فتح العين على كل جديد في الفكر والحس . . . النهضة العلمية . . وتمازج الثقافة الفارسية بالثقافة العربية الاموية . . . الترف والبسطة في الملذات واستلاك الخواري . . . . . فانا اذا اقرأ خمريات النواسي اتمثل ترف بغداد وعجونها ولذاذاتها في ليالي شهرزاد سمر هذا الانحطاط الخلقي . ومن يدري فربما كانت الليالي في بغداد أيام ابي نواس بمثابة ليالي مونبارناس ومونمارتر في باريس في هذا العصر الذي نعيش فيه) من الصفحات ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ من كتاب النواسي

فسر التجديد في شعر ابي نواس انهُ لبى داعي النفس وداعي العصر ، فتنكب جادة التقليد لفحول الشعراء السابقين ، وحين أهمل هذين الداعيين كقوله في الرثاء والمدح سقط شعرهُ . فلا تعدُّ أقوالهُ في هذا البابين في جيد شعره ، بل في الوسع اهمالها بغير ان يضير ذلك مكانتهُ بين كبار شعراء العربية . وهذا يبين لنا ان التفريق بين القديم والجديد تفريق مصطنع ، وليس هناك الاَّ مقياس أساسي واحدٌ وهو مقياس « الصدق » و « الاجادة » في التعبير سواء أفي عصور الاسلام الاولى قيل الشعر أم في القرن العشرين

استهلَّ الاستاذ المحاسني كتابهُ استهلالاً قصصيًّا على نحو ما فعل موروى مثلاً في ترجمته القصصية لحياة شلي في كتابه آريل ، ولكنهُ عدل عن ذلك النحو في الفصل الرابع ، إذ أخذ نواحي حياة أبي نواس وشعره ناحية ناحية فقال في كل منها ما بدا لهُ مستخرجاً الرأي من حياة الرجل وحياة عصره ومنطوق شعره ، آناً يستشهد بالشعر النواسي وآناً بأقوال كبار النقدة من أدباء العرب وآناً يتم الموازنة بين حوادث ذلك العصر وما يقابلها في أوربا في العصور المتأخرة

من آرائه التي وقف عليها فصول « الايمان » و « الزهد » و « التوبة » ان النواسي كان مؤمناً بالله ، على الرغم مما يبدو مناقضاً ذلك في أبيات لهُ ، وزاهداً في أخريات أيامه مع ما اشتهر به من المجون والفسق وتفسيره لذلك « وحين امتلأ من صبابات الوجود انقلب الى الضد ففكر بالمعبود . فان لم يكن ذلك التقوى فهو رجوع الى النقيض بعد الفراغ من المزيد . وقد يتفق مثل هذا لكثير من الخلق فاذا انتهوا من الفسوق انقلبوا الى ضدها صاروا نساكاً مصلين لانهم ملوا حياة الجسد فالوا الى حياة الروح . . . . واذا كان (أبو نواس) إمام الخلعاء ففيم تنكر عليه هذا الانقلاب النفسي الذي بدا لهُ في أعقاب عمره فأحب ان يدخل في دور التقوى والنسك من باب التوبة والعفو

« يا كبيرَ الذنب عفو الله من ذنبك أكبر »
« أكبر الاشياء عن أصغر عفو الله أصغر »

ولهُ عدا هذا في شعره شعر كثير جيّد في الوعظ . ولكنهُ على كل حال ليس أجود شعره ولعلَّ خيرهُ قولهُ وهو مختصر « دبَّ في الفناء سفلاً وعلواً » الخ . وليس يتسع المقام للبسط في نواحٍ مختلفة من حياة ابي نواس وشعره كما جلاها الاستاذ الحاسني ولكن يكفي ان نقول انهُ رسم صورة لابي نواس الرجل والشاعر في أطار من حياة عصره ، وعلى الرغم مما في حياة الرجل وعصره من الفحش والخلاعة لا تجد كلمة نابية واحدة في هذا الكتاب

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟

تأليف الامير شكيب ارسلان — مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه — ١٦٨ ص قطع المقتطف — الطبعة الثالثة — القاهرة ١٩٣٩

اشتهر عطوفة الأمير شكيب ارسلان بعلومه ومعارفه الواسعة ولا سيما ما يتعلق منها بتاريخ الاسلام والمسلمين وسر تقدمهم القديم وتأخرهم الحديث . ولقد بحث شهرته هذه حضرة الاستاذ الشيخ محمد يسوني عمران إمام مهراجا جزيرة سمبس برنيو (جاوى) على أن يكتب الى المرحوم السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار يقترح على عطوفة المجاهد الكبير امير البيان المشهور أن يكتب للمنار مقالاً بقلمه البيان في أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر وأسباب قوة الافرنج واليابان وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة فسرعان ما لبى هذا الطلب بمقالات نفيسة كان لها اعظم دوي في العالم مما جعل الجمهور يطلب نشرها في كتاب على حدة لسهولة الاستفادة منها فلبى الامير الطلب وطبع الكتاب مرتين فنفدت نسخه بسرعة . وها هوذا عطوفته يعيد نشره للمرة الثالثة في حلة قشيبة وبزيادات مستحدثة . ولقد سرد حفظهُ الله ما كان عليه المسلمون الأولون من عزة وسلطان وعلل ذلك وما صاروا اليه من تفكك وتخاذل وضعف وعلل ذلك ايضاً . ومن أظهر ما علل به الامير أن الأولين استرخصوا انفسهم في سبيل نصرة الدين وأنفقوا اموالهم فدانت لهم الدنيا . وأما اليوم فقد قبضوا ايديهم وضنوا بأرواحهم فخسروا كلَّ شيء

وكتب الامير كتابهُ هذا بعد رحلة رحلها في اسبانيا وقف فيها على مشاهد آثار حضارة العرب في الاندلس والمغرب الاقصى وما انقلبت اليه حالة العرب والبربر اليوم . ثم كتب كتابه متمثلاً بهذه المؤثرات فكان آية من آيات بلاغته وحجة من حجج حكمته لعلها اقنع ما تفجر من ينبوع غيرته وانبجس من معين خبرته فسال من انبوب يراعته — كما قال فقيد الاسلام والعرب السيد محمد رشيد رضا

وختم الكتاب بخلاصة وافية لابحاثه كلها مناديا المسلمين بان ينهضوا بمثل ما نهض به غيرهم . وثمن النسخة خمسة قروش وهو يباع في مكتبة عيسى البابي الحلبي بجوار سيدنا الحسين بمصر

سيف الدولة وعصر الحمدانيين

تأليف الاستاذ سامي الكيالي — ٢٣٦ صفحة من قطع المقتطف
المطبعة الحديثة في حلب

لا يذكر اسم سيف الدولة إلاَّ ويذكر معهُ أزهى عصور الأدب العربي ، ولا يذكر أبطال العروبة الذين جاهدوا في بعث القومية العربية الاَّ ويبرز اسم سيف الدولة مشرقاً زاهياً ، ولا تذكر مدينة حلب الشهباء الاَّ وتتدفق الذكريات عن عهد الحمدانيين الزاهر فيها ، فلقد كانت مدينة حلب على عهد عاهلها العظيم خليَّة عامرة تفيض على العالم العربي الادب الصفي الذي خلد على مرّ الزمان . وكانت مجالس سيف الدولة مجمع فطاحل الادب وأساطينه ، ومن الخجل ان يخدم هذا الرجل العظيم العروبة وأدبها وتمر الف سنة ولا يتقدم أديب من أبناء العربية فيضع لهذا الرجل دراسة شاملة يفيها بحظى رجال عصره من الادباء بالدراسات الطويلة والبحوث المستوعبة ويكون سيف الدولة حاشاً على حياتهم

وكأنما الرسالة التي يحملها الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة « الحديث » الغراء الى موطنه حلب مقرّ ملك سيف الدولة لم تزل به تتقاضاه حق الوفاء لهذا العاهل حتى استجاب اليها ، وهو الاديب المثقف صاحب الحركة الادبية المزدهرة في الشهباء وباعثها والثابت في جهادها فأخرج دراسته الممتعة وقد رسمها صورة صادقة لشخصية الرجل وعصره تناول فيها أصل الحمدانيين ونشأتهم والاحداث التي مرّت بهم الى ظهور سيف الدولة الذي كان مثاليَّ النظرة في خدمة الخلفاء حتى استطاع بفكره الثاقب اقامة دولته . وهنا أفرد المؤلف بحثاً خرج منهُ الى مطابقة دولة الحمدانيين للدولة الاصطلاح الدولي المعروف . ثم وضع بحثاً تاريخيًّا للمدينة التي جعلها سيف الدولة مقر حكمه انتقل منهُ الى دخول سيف الدولة هذه المدينة

وعقد بعد ذلك فصلا تناول فيه حروب هذا الرجل وغزواته ، واقتضى السياق التاريخي منهُ ان يرسم صوراً متتابعة للابطال البزنطيين الذي ظل يصارعهم سيف الدولة ويصارعونهُ والذي انشأ دولته على نحوم امبراطوريتهم ليحافظ على الكيان العربي ضد مطامع هذه الامبراطورية القوية وانتهى منهُ الى فصل في آخر ايام سيف الدولة ففصل عن الحمدانيين وبني بويه

ولما كان عصر هذا الرجل من أزخر العصور بالشخصيات الادبية البارزة فقد رأى المؤلف نفسه مضطرًّا الى ان يتناول بعض هذه الشخصيات بشيء من التفصيل فعقد فصلين عن ابرز شخصيتين لازمتا عاهل حلب وهما الشاعران المتنبي وابو فراس الحمداني

وإنا اذ نختم كلمتنا السريعة عن كتابه بالاعجاب نرجو ان يتاح له من الوقت متسع لان يتناول في القريب بقية الشخصيات من مفكري ذلك العصر وأدبائه بالدراسة الشاملة على نحو ما قام به

حسن كامل الصيرفي

الخلافة في مذهب رشيد رضا

٢٨٦ ص - القطع الكبير — بيروت ١٩٣٨

Le Califut dans la Doctrine de Rashid Rida, par Henri Laoust
Mémoires de l'Institut Français de Damas. Beyrouth 1938

هذا الكتاب الفرنسي ترجمة « الخلافة او الامامة العظمى » للسيد رشيد رضا ، ترجمهُ المستشرق هنري لاوست وعلق عليهِ وأضاف اليهِ بعض الفوائد . والغرض من نقل كتاب صاحب المنار ان يطلع الجمهور الفرنسي المهتم بالتحول الفكري في الشرق الاسلامي على آراء رشيد رضا البعيدة المرمى في الاسلام والجدال عنهُ

ومزية الترجمة ان صاحبها أثبت المصادر التي نقل عنها رشيد رضا او عول عليها ، ثم أشار الى وجوه التقويم التي كان يقصد صاحب المنار اليها والتي استثبت الآن في العرف

وفي رأي المترجم ان رشيد رضا، وإن أقام مذهبه على المأثور عن السلف لا يقف عند النقل بل هو متكلم وأصولي وفقيه ولا سيما محدث . وأهم ما كتب في فن الحديث مقدمته لكتاب جمال الدين القاسمي ، وعنوانه : قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث . واعتماد رشيد رضا في تخريج الأحاديث على صحيح البخاري خاصة ، وهو لذلك كثيراً ما يرجع الى شرحه المتأخر لابن حجر العسقلاني : « فتح الباري في شرح البخاري » . ويعتمد ايضاً على صحيح مسلم وشرحه للنووي ومما ذكره المترجم في تعليقاته ان صاحب المنار صرف الى اتحاد الامة الاسلامية أكبر همه، وهي لا تكون الا من طريق التماسك الاجتماعي والثقافي والروحاني على أساس المساواة المطلقة . وعلى ذلك ان الجامعة الاسلامية انما هي الأخوة ومودة وصداقة معنوية وأخوة دينية تجري بين الامم والجماعات المسلمة في مختلف البلدان

ب . ف

عاصفة فوق مصر

قصة اجتماعية بقلم عصام الدين حفني ناصف — ١٢٩ صفحة — مطبعة نفي النيل مصر

هي قصة مصرية في جوها وأشخاصها — كما يقول مؤلفها الاستاذ عصام الدين — عالجة في مشاكلها وفلسفتها ، وقعت حوادثها أبان الازمة الاقتصادية التي خيمت على مصر والعالم في الاشهر الاخيرة من سنة ١٩٢٩ ولم تخف وطأتها قليلاً في سنة ١٩٣٧ الا ريثما اتصلت بها أزمة جديدة ما تزال جاثمة فوق العالم في انتظار الحرب . وقد دفعهُ الى وضعهِ دراستهُ في اثناء اقامتهِ في الريف للدوافع الحقيقية لحوادث قتل نظار الزراعات تلك الحوادث التي هي وليدة فوضى اجتماعية لا سبيل الى انهائها بغير انهاء أسبابها

فهرس الجزء الثالث

من المجلد الخامس والتسعين

٢٦١ السر في حرارة النجوم
٢٦٩ التيار الكهربائي المحيط بجو الارض
٢٧٣ فلسفة سياسي أو سياسة فيلسوف : لعلي ادهم
٢٧٨ يعقوب صروف و «الاشياء الباقية» في الحياة . الذكرى الثانية عشرة لوفاته
٢٨٣ كلمات للدكتور يعقوب صروف : فضائل الحرب والسلم
٢٨٤ المثل العليا في الشعر : لعبد الرحمن شكري
٢٩١ اللجلجة في الكلام واستخدام اليد اليسرى : للآنسة زينب الحكيم
٢٩٥ طائرات المستقبل — اتجاه جديد في صناعتها
٣٠٠ محمد شاكر : لأحمد محمد شاكر
٣٠٨ البن والقهوة بين التاريخ والعلم
٣١٧ خليل مطران شاعر العربية الابداعي : للدكتور اسماعيل احمد ادهم
٣٢٨ ان تؤمني (قصيدة) للدكتور ابراهيم ناجي
٣٢٩ الاثمار وقيمتها الغذائية : للدكتور عبده رزق
٣٣٣ خامات الصناعة والحرب وأعواضها : بحث اقتصادي صناعي مقابل
٣٤١ غنى الجار : (قصيدة) لعبد الحميد الديب
٣٤٢ فليكس فارس : لصديق شيبوب
٣٤٦ النقد الادبي : لجبرائيل جبور
٣٥٢ الانزعات : لرضوان محمد رضوان

٣٥٧ باب المراسلة والمناظرة * حول مباحث عربية : للدكتور بشر فارس . حول مقال التعليم : لعبد الحافظ نصار . ذيل : لمقال الدكتور بشر
٣٧٠ باب الصناعة * جولة في مصنع مصر للازرار . تنشيط الانتاج في مصر
٣٧٤ باب الاخبار العلمية * اقتراب المريخ والمشتري وزحل . كيميائي مصري وزوجته . هالفرك السر . التسمم بالكدميوم . السفانيلاميد والتيفود . سر الشباب الدائم . حكمة الناظرة . عجائب معرض نيويورك العالمي . الجان الكهربائية . الاشعة الكونية . البصاصة الكهربائية
٣٨٢ مكتبة المقتطف * نحت المناجم في أحوال الجواهر . نقد الشعر . ملخص الكيمياء . الطبع والصنعة في الشعر . الطب النفسي طبياً وأدبياً . التراسي . لماذا تأخر المغول ولماذا تقدم غيرهم . سيف الدولة وعصر الحمدانيين . الخلافة في مذهب رشيد رضا . عاصفة فوق مصر

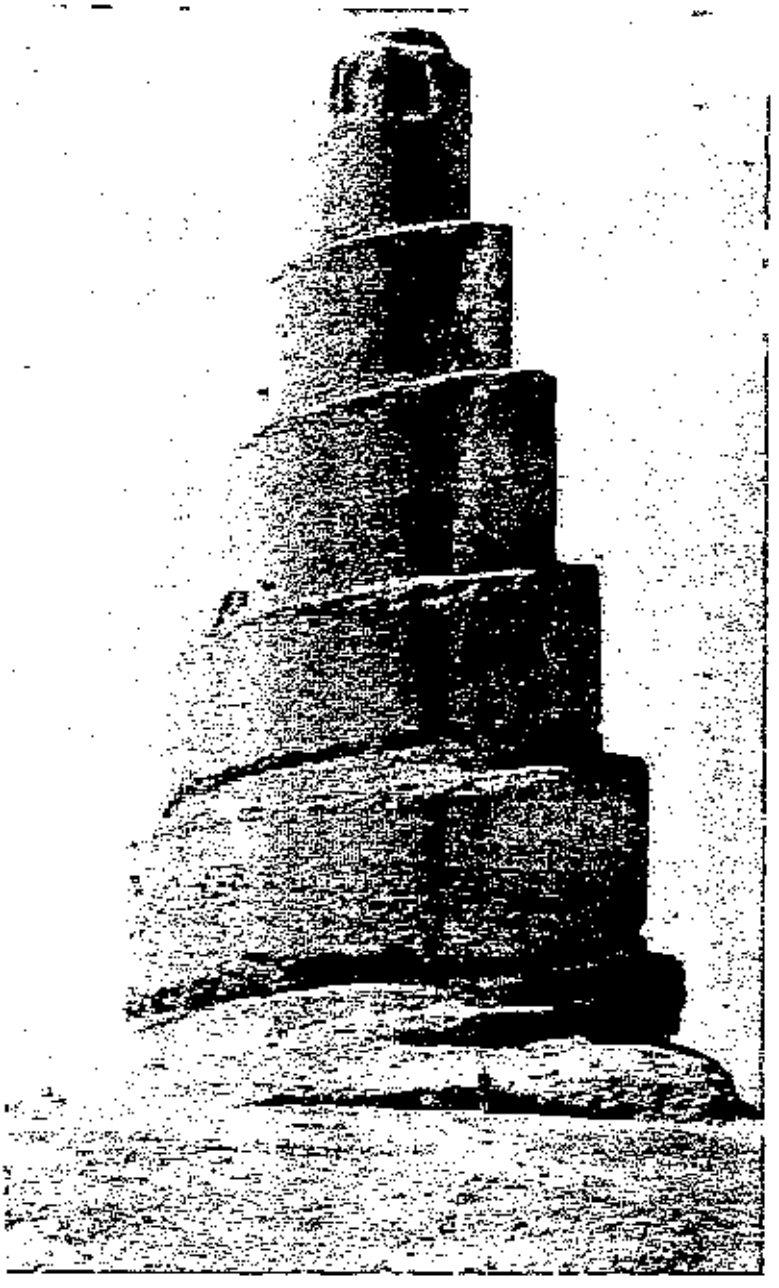

المأذنة الملوية بالمسجد الكبير بسامرا

[راجع مقال تأسيس سامرا صفحه ٤٥٤]